قلوب عبير

مارغريت واي

هروب

www.elromancia.com
مرمورية

قلوب عبير

HARLEQUIN — "ABIR" — No. K14

هـُـروبٌ

استلقت على ظهرها لتجد الالم يزداد في رأسها، ووجه غرانت يختفي عن ناظريها. مدت يدها بقصد لمسه وقالت:

ـ انني لا اكاد ارى وجهك يا غرانت.

امسك يدها وقال:

ـ قولي لي متى ترينه بوضوح.

اغمضت عينيها الى ان توقفت الارض عن الدوران. عندئذ فتحتهما لتجد عينيه الرماديتين مسمرتين عليها، واصبعه يداعب وجنتها. تكلّمت برقّة:

ـ انني بخير يا غرانت. عاد كل شيء الى وضعه الطبيعي وثباته.

لاحظت ان عينيه اشدّ ثباتاً واكثر اتساعاً، وذلك لأن نظراته كانت مختلفة... انها حزينة تعكس تأمّلاته. قالت متنهّدة:

ـ اتمنى لو ابقى هنا الى الابد.

ـ اكاد اقول انه الوضع الذي ارغب فيه ايضاً.

لبنان ١٠ ل.ل.	الكويت ١ د	اليمن ٤ ر	السودان ٨٠٠م
سورية ١٠ ل.س.	الامارات ١٢ د	تونس ١٥٠٠ د	U.K. £ 150
الأردن ٨٠٠ ف	البحرين ١٥٠٠د	ليبيا ١ د	France F 10
العراق ٥٠٠ ف	قطر ١٢ ر	المغرب ٥ د	Greece Drs 200
السعودية ١٢ ر	عمان ١٥٠٠ر	مصر ١٠٠ق	Cyprus P 1500

خلف السكينة يكمن دائماً شقاء قهرناه.

ديفيد غريسون

www.elromancia.com
مـــر مـــور يـــة

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
THE TIME OF THE JACARANDA

© MARGARET WAY 1972
© 1984 Harlequin (Cyprus) Ltd.

حقوق التأليف: مارغريت واي
جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة محفوظة لهارلكوين (قبرص) المحدودة

المراسلات
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ ـ خرجت أدريان من بيت والدها، الذي تزوج بعد موت امها، آملة أن تشق طريقها بنفسها. . . واستطاعت أن تقنع السيد ماننغ بأنها السكرتيرة التي يبحث عنها.

انحدرت شمس الصيف عن التلال لتغمر الوادي بأشعتها الذهبية ولتلبس سارانغا أبهى حللها مع تفتح الزهور في هذا الفصل، الذي يعبق فيه الشذى حتى في المراعي. ولا تقع فيه العين بين السهول المليئة بالأشجار وضفاف النهر الخصبة الغنية الا على الطبيعة الفرحة المتألقة. لقد ساد المناخ المعتدل واحتفظت الأرض باخضرارها المتماوج في ألف لون ولون. واكتظت الحقول بأزهار الاقحوان التي حاكت في روعتها أجمل ما في حدائق سارانغا من زهور. وبينما تألقت كل زهرة منها ووريقة ببريق خاص تحت وهج الشمس، حلقت فوقها الطيور مغردة، وملأ السرور الجو العطر الدافىء، واصلاً الى انحاء المنزل كله.

وصخبت حدائق البيت وخمائله بالألوان، بينما اكتنفته من الداخل هدأة الأصيل. في جدار قاعة الجلوس ساعة أنيقة ثبتت على قاعدة برونزية مزخرفة، واحيط ميناؤ ها بأكاليل من الورد نقشت على البورسلين الأبيض وعند الساعة الثالثة انبعث منها طنين سبق دقاتها الثلاث التي مزقت الصمت.

نظرت ادريان من مقعدها غاضبة، ثم نهضت وسارت عبر القاعة الطويلة الكثيرة النوافذ وهي مصممة تصميماً حاداً على الاحتفاظ بهدوئها حتى آلمها رأسها من شدة الجهد. ولعلها حسبت ان المنظر البهيج سيهدئها. تراقصت موجات الحر امام عينيها، في حين هزت النسيمات المنعشة اشجار الحديقة ونباتاتها.

غابت ادريان عن واقعها برهة كادت دورة الزمان ان تتوقف في خلالها

www.elromancia.com

وتتلاشى معها مشاكلها. احست بنفسها خفيفة كورقة طائرة وناعمة كالأصوات الخفيضة في الحديقة. الا ان الواقع ما لبث أن فرض نفسه ثانية وبقوة. فتساءلت عما أخّر الرجل. قد يكون غرانت مانغ من كبار ملاكي الأراضي، لكن كثير عليه أن يجعلها تنتظر ساعة كاملة لتحظى بمقابلته. وفي ردة فعل عفوية، تأملت ادريان ساعتها الأنيقة الجديدة التي خلقت في نفسها شعوراً مغايراً لموقفها في تلك اللحظة فأشاحت بنظرها حالاً عن هدية ليندا اذ اصابها شيء من الدوار. انشغلت افكارها بليندا العزيزة، بزوجة والدها الثانية، بالدافع الحقيقي وراء وجودها في سارانغا الآن. وجوهر القضية هو الشبه الكبير بين ادريان ووالدتها، مدلين برنت، التي لم تطق ليندا ما يذكّرها بها. ولم يكن احد ليلومها على موقفها خصوصاً انها ناضلت سنوات عدة للتخلص من شبح السيدة برنت الحسناء، ابنة الجاه، قبل أن تحلّ محلها فعلياً.

فلقد عملت ليندا مدة طويلة في شركة برنت الهندسية حيث بدأت حياتها كواحدة من مجموعة الضاربات على الآلة الكاتبة. وما ان انقضى الاسبوع الأول، حتى استحوذ رب عملها الوسيم على قلبها ولم تستطع قهر رغبتها بالحصول عليه، الاّ انها تمكنت بمكرها أن تخفي غيرتها من زوجته وكراهيتها لها. وطالما رددت ليندا في فترة تناول الشاي ان الحياة لم تمنّ عليها بالعطايا السخية المتوفرة لنساء كثيرات غيرها يتمتعن بالحسن والمركز الاجتماعي المرموق والزوج البهي الطلعة والطفل الحلو الهيئة والمعشر مثل ادريان. اما ليندا فكانت ترهق نفسها بالعمل طوال النهار وراء المكتب الجامد، وبالسهر ليالي موحشة في منزلها يائسة محبطة، علماً انها غاية في الجاذبية. ولم يدر احد السبب لولا أن احد الموظفين الساخرين في الورش، وهو معجب بليندا، اكد ان الفتاة تسر باعلان استيائها وضجرها. غير ان ليندا صعقت مثلها مثل الجميع عندما علمت ان مدلين برنت قد فارقت الحياة بعد خضوعها لعملية جراحية بسيطة. ولم يمض يومان على صدمة ليندا، حتى تنبهت لفرصتها الذهبية. ويا لها من فرصة مذهبة كالأحلام مجنحة كالآمال! الا انها لم تحقق هدفها بسهولة، بل سلخت اربع سنوات من عمرها تناور بذكاء وحنكة وتقابل جون برنت بلا شروط الى أن عرض عليها الزواج آخر الأمر. ولم تحس بالأمن الا بعد انتهاء مراسم الزواج التي

استغرقت عشرين دقيقة.

ولما اصبح زواجها امراً واقعاً، اسقطت القناع عن وجهها فواجهت ادريان اذذاك، وبعد سنوات من العذوبة والتودد، عداوة مدمرة لم يقر لها قرار. وكانت ليندا تتمتع بحس مرهف وادراك عميق يتمتع به الناضجون المجربون. لذلك، لم تظهر انزعاجها الا في الأوقات المناسبة. لكن من النادر ان تستطيع امرأة خداع امرأة اخرى.

غير ان والد ادريان خدع، أو انه بدا كذلك. وكلما التقى الثلاثة، تحولت ليندا مثالاً يحتذى في المودة والمحبة. وغدت هي وادريان كشقيقتين متحابتين ظاهراً ومتعاديتين ضمناً. لم تخرج ليندا من المعركة سالمة اذ اتضح لها مع تقدم ادريان في السن ان المنزل لن يتسع لهما معاً. فالفتاة جريئة وتتميز بصراحة مذهلة تزيد وضع ليندا حراجة خصوصاً وان عليها الظهور صفاً واحداً مع ادريان في الحفلات والسهرات. لذلك اعتبرت ليندا امكان عمل ادريان في مزرعة سارانغا لتربية المواشي هدية من السماء، لا لغنى المكان فحسب، ولكن لبعده قرابة ٦٥٠ كيلومتراً عن المنزل.

وفي الاسبوع الماضي سخرت ادريان من ليندا، التي تصرفت بلطف بالغ فاق حدود المعقول، خصوصاً عندما رفضت الاّ ان ترافقها في جولتها على المتاجر لشراء الملابس المناسبة للرحلة، وكأنها لم تعد تطيق انتظار ساعة الانطلاق. ومع ان ادريان رحّبت بفكرة ابتياع الملابس لأن والدها يدفع ثمنها، الا انها انزعجت من ليندا، التي رافقتها كظلها واشترت ملابس لنفسها ايضاً. فمن منهما التي كانت تستعد للرحلة؟!

واتسم موقف جون برنت المبدئي بالغضب والسخط من فكرة مغادرة ابنته الوحيدة المنزل. على انه سرعان ما اقتنع تحت تأثير المرأتين. ورأت ادريان ان بوسع ليندا اقناع زوجها برغبة ابنته بدخول معترك الحياة. هذا صحيح. غير ان ادريان لا تريد الخروج قسراً من عشها الأبوي وهذا ما حدث فعلاً. وتمتمت ادريان: «يا لبؤسي وشقائي!» ولكن، ماذا يجدي التفكير بهذا الأمر؟ لقد حضرت الى هنا بقصد الهرب. ثمّ ضغطت انفها على زجاج النافذة مرددة: «لن يوهن عزمي شيء على الاطلاق». وأدهشها، من خلال الحديد المشبك امام النافذة ذلك المنظر. فمزرعة سارانغا تفاخر بالمسكن القديم الجميل الذي يبرز اناقة الهندسة التي ادخلها

مستعمرو استراليا الأوائل وهي المعتمدة على تشييد المباني من حجر الرمل وتزويده بالحديد المزخرف، مما يترك اثراً طيباً في النفس. وقد استمتعت أدريان على رغم توترها برحلتها من المحطة الى المزرعة اذ انبسط امامها الريف شاسعاً وعابقاً بأريج الزهور ورائحة الصيف الى أن بلغت مدخل المنزل الجميل. لم تتوقع أن يكون في هذه الروعة اذ كانت تقف بالممر المؤدي اليه ست من اشجار الجكرندا الاستوائية تفتحت زهورها رقيقة جميلة.

عبثت النسيمات بالأشجار وأوراقها فرفعت ادريان بصرها مأخوذة بكثافة الظل وخضرة الأرض ودعة الهواء. وانحرف الممر الطويل الى اليمين انحرافاً بطيئاً سمح للمرة الأولى برؤية البيت الواسع المحاط بأشجار خضراء ظليلة انبعثت منها رائحة الأزهار الزكية. وانتصبت امام البيت في وسط الساحة شجرة بونسيانا رائعة بدت اغصانها المثقلة بالأزهار اعجوبة في منطقة تبعد كثيراً الى الجنوب من خط الاستواء، كما اضفت على المنزل سحراً ورونقاً يؤهلانه لأن يعرض في صور بطاقات البريد.

وفي حين توقعت ادريان ان يلوذ سائق سيارة الستايشن بالصمت، فوجئت بهدوء السيدة فورد مديرة المنزل وتكتمها، ولم تستطع تحديد عمرها. لقد اكتفت السيدة فورد بادخالها الى البهو الأنيق. ثم قدمت لها، فور وصولها، فنجان شاي لذيذ لتعوض عن جفائها.

وصرفت ادريان وقتاً طويلاً تتأمل الثريا المدلاة فوق رأسها، وهي مصنوعة في منطقة ووترفورد الايرلندية، والأخرى المعلقة في سقف حجرة الطعام حيث استطاعت تسريح نظرها ايضاً. واكتشفت لاحقاً ان كلتا الثريتين ابتيعتا في مزاد علني اجري في مدينة دبلن عاصمة جمهورية ايرلندا. ثم ركزت عينيها باعجاب على مجموعة من التماثيل العاجية والنقوش المحفورة في قطع من العاج وخزانة زجاجية اسندت الى الحائط. تذكرت ان والدتها اقتنت مجموعة مماثلة باعها والدها لأسباب تجهلها، وقد غضبت منه لأن امها سمحت لها آنذاك بالاعتناء بقطع المجموعة بغية تنمية تقديرها للجمال.

كان اصحاب سارانغا يتمتعون ، الى جانب غناهم المعروف، بذوق مرهف الى حد يذكّر زائري المنزل بقصور اوروبا الفخمة ويفاجئهم بوجود

مثل هذه المباني في الريف الاسترالي. الا ان غنى آل مانينغ كان يسمح لهم باقتناء افضل ما في اوروبا واستراليا. ولعل الأمر الوحيد الثابت فيهم ميلهم الى امتلاك التحف القديمة. ثم استقر نظر ادريان الهائم على لوحات زيتية ايطالية قديمة تمثل ازهاراً مختلفة.

ما الذي يؤخر السيد؟ اخذت ادريان تحس بالتعب والضياع.

وسمعت للحال ضجة خفيفة في الممر، تبعها صوت رجل تميز بجاذبيته وحدّته. خفق قلبها خوفاً قبل أن يدخل من الباب الزجاجي الواسع رجل طويل في اوائل العقد الرابع من عمره لوّحت الشمس بشرته.

بدت عليه امارات الذكاء والاعتداد بالنفس والقدرة على مجاراة الآخرين. حوّلت ادريان عينيها المسحورتين عن عينيه الآسرتين وخديه البارزي العظام لتستقر على ذقنه. ومر وقت طويل قبل أن يقول غرانت مانينغ:

ـ طاب نهارك يا آنسة برنت، آسف لانتظارك لي طويلاً.

الا انها لم تجن من اندفاعها للرد سوى الدهشة. فقد رأته يشعل سيجارة ويأخذ مجّة طويلة، ثم يؤكد:

ـ لست يا آنسة برنت السكرتيرة النموذجية التي احلم بها، علماً باني لست افضل من يحكم في هذا الأمر. فباتريسيا باركر لم تكن تفضلك في شيء.

افترضت ادريان ان باتريسيا باركر هي سكرتيرته السابقة فرفعت رأسها غاضبة اذ شعرت برفضه لها. ورمته عيناها الزرقاوان بنظرات اعجاب خالطها الاستياء. عندئذ صارحها قائلاً:

ـ ارجو الا تسيئي فهمي يا آنسة برنت. فأنا احب الحسان وإن تميز طبعهن بالحدة مثلك. لكنني لست ادري اذا كان بامكاني التمتع بوجود سكرتيرة حسناء في مكتبي وذلك لكثرة اعمالي.

شهقت ادريان وقد عجزت عن تصديق قوله، وهي بنت القرن العشرين التي لم تألف التذلل في طلب الوظائف. ثم انتصبت واقفة وقد تملكها السخط:

ـ هل استنتج يا سيد مانينغ ان قولك يعكس فكرة التمييز بين الجنسين من جهة، وتفكير اهل الريف من جهة اخرى؟ باستطاعتي التأكيد لك باني

لا اثير فضول احد في المدينة، وأجدني مضطرة للقول بانك قد خيّبت آمالي.

ساد صمت بليغ احست فيه ادريان برعشات الخطر الأولى اذ لم يعد امامها مجال للتراجع. ورفعت نظرها الى غرانت لتلمح المرح على وجهه وهو يبالغ في تهكمه:

ـ لعلني اسأت اليك يا آنسة برنت العزيزة بتصرفاتي الريفية الغريبة. لكنك تظلمين نفسك بكل تأكيد، فالمرأة الجميلة تفقد الرجل الحكيم صوابه حتى في أرقى المدن.

اغتاظت ادريان وفقدت السيطرة على اعصابها فهتفت:

ـ لا يسعني القول الا انه لا داعي لحذرك مني يا سيد مانتغ. فأنا لست سوى فتاة عاملة لا حسن فيها ولا اغراء.

ازداد بريق السخرية في عينيه وأجاب:

ـ من السهل معالجة هذا النقص يا آنسة برنت.

صدمت ادريان صدمة خفيفة. هل قصد اظهارها بمظهر الحمقاء؟ وأخيراً تمكنت من الاجابة بتصنع:

ـ اشعر ان حديثنا غير لائق يا سيد مانتغ.

ـ اذا كان الأمر كذلك يا آنستي العزيزة، فأنت التي بدأت. فالواقع انك...

حاولت ادريان ان تحاكيه دهاء وهدوءاً خصوصاً وانه اكثر من استعمال عبارة الآنسة برنت، الأمر الذي اغاظها بعض الشيء. ولكنه حدد بصره اليها وقرأ افكارها، وأضاف:

ـ الواقع يا عزيزتي اني مثال للرجل الريفي الكثير المشاغل. فلدي اعمال مكتبية وفيرة اتمنى صادقاً احالتها على من ينفذها. على اني آمل أن تتغلبي على صدمتك الأولى يا آنستي. فأنا لا املك الوقت والصبر للبحث عن بديل لك. هل تجيدين الضرب على الآلة الكاتبة يا آنسة برنت؟

همست برقة محاولة اظهار براعتها امام مداعبته وعدم لياقته:

ـ الى حد يثير اعجابك يا سيد مانتغ.

ابتسم غرانت حتى برزت اسنانه بيضاء ناصعة ازاء بشرته السمراء وقال لها:

ـ سوف اغيب بقية النهار. اطلبي من السيدة فورد اي شيء تحتاجينه، فهي ستعتني بك الى حين عودة السيدة مانتغ، زوجة عمي.

ولما بلغ الباب، استدار قائلاً:

ـ هل يسعك يا آنسة برنت التلطف بمسايرة رب عملك الريفي، بعقد شعرك الى الوراء أثناء ساعات العمل على الأقل؟

لمست ادريان شعرها الناعم بعد أن غادر غرانت الغرفة مبتعداً.

www.elromancia.com

٢ـ بدأت ادريان ترتاح الى الذين عرفتهم في المنزل، والى انسجامها في العمل ولكن فيرا، صديقة غرانت، ظهرت لها فجأة لتنكد عليها ارتياحها، بشتى ألوان الحسد والغيرة.

استيقظت ادريان في صباح اليوم التالي على صوت طائر القرلة يدوّي في طرف الشرفة وكأنه ضحكات آدمية، وعلى اريج الياسمين تحمله النسيمات المتسللة على حجرتها عبر الباب المفتوح على الشرفة، وعلى الشمس المتسربة عبر الستائر المعدنية لتلون قطع الاثاث المصنوعة من خشب الارز بذهب اشعتها.

وسرّها ما يحيط بها من تسهيلات تدهش اثقل الضيوف وتسكتهم، فكيف اذا كان الضيف عاملا عند رب البيت؟ والحقيقة انها شغلت بمفردها جناحاً خاصاً يتألف من حجرتي جلوس ونوم، وحمام كان في الأصل خزانة واسعة تتميز بدقة تصميمها. وغطى البلاط الاصفر ارض الحمام وجدرانه، كما كسا ارض وجدران المعتزل المخصص للدش المزود بشاشة من الالياف الزجاجية تنعكس عليها اطياف القصب والرمال والاصداف في صورة تشبه قعر البحر. رصفت على منضدة الزينة قوارير زجاجية ملئت بماء البحر وبعض كائناته لتحاكي في طرافتها وجمالها الحمام والمغسلة. واتضح لها اهتمام رب عملها بسعادتها. فتذكرت كيف انعطفت السيدة فورد قليلا خلال جولتها السريعة حول المنزل بعد ظهر أمس. لعل السيدة فورد لا تحسن الظن بالفتيات الجميلات.

تبين لادريان ان الجميع توقعوا عودة السيدة مانتغ- ربة المنزل وسيدة المنطقة الاولى- في غضون ايام، من مؤتمر نساء الريف. وفكرت بما سيكون رأي السيدة مانتغ فيها لاسيما انها بدت قاسية مثل غرانت. ولكن لتدع مشاكل الغد لوقتها!

انتصبت ادريان، وادت بعض التمارين الرياضية البسيطة لتبلغ حدود اليقظة التامة قبل ان تدير الدش. ولم تلبث ان انتهت من الاستحمام وارتداء ثيابها وتسريح شعرها ونزلت الى حجرة المائدة حيث صف كل شيء فوق خزانة اطباق جانبية. ولم يسمح اضطراب ادريان لها بتناول شيء غير قهوتها وقطعة خبز طازجة. ومعروف عن السيدة فورد مفاخرتها، عن حق، بجودة الطهي. فعشاء الامس كان فاخراً حيث زادت وحدتها من متعتها في تناوله. حين فرغت من رشف فنجان القهوة الثالث، بدأت تتساءل عن خطوتها التالية. عندئذ دخل غرانت مانتغ الغرفة وقد اضفت عليه ملابس الركوب التي يرتديها، ميزة الرجل الريفي النموذجي. تأملت عيناه الرماديتان الباردتان ادريان بقميصها الحريري الاصفر وتنورتها المصبوغة باللون نفسه ورأسها الصغير وتسريحة شعرها التي اظهرت ملامح جمالها مع انه لم يكن ممن يمعنون النظر في النساء. وهمس ببعض السخرية:

ـ تبدين رابطة الجأش يا آنسة برنت... بل اكاد اقول انك اشبه بسيدة تدير اعمال شركات عدة. لكنني لا ارى ان هذا ينطبق عليك بدقة.

ماذا يقصد؟ انها لا تشبه «سيدات الاعمال»! ان لديها شهادة تثبت قدرتها على ادارة الاعمال. ولم يلبث غرانت ان اضاف ببعض المكر فيما استدار نحو الباب:

ـ هيا الى المكتب قبل ان اغير رأيي.

نهضت ادريان ودفعت الكرسي قبل ان تلحق به الى جناح المنزل الغربي عبر الممر الطويل البارد مجتازة عدداً من الغرف الواسعة. ولما بلغا مكتبه الفسيح المكتظ بالكتب والمجلات والنشرات الدورية الصادرة عن مؤسسة تربية المواشي، وتلالا من الرسائل، وقفت ادريان مذهولة بينما تقدم غرانت الى المكتب ورفع الرسائل المختومة بشرود. اضطربت اذ اثارتها جاذبيته. الا انه رفع اليها نظره بحركة مفاجئة وسألها بحدة وبشيء من التندر:

ـ هل تظنين ان باستطاعتك معالجة الامر؟ فمن الواجب الاحتفاظ بالبريد. ولعل بامكانك كتابة مسودة جواب على الرسائل العادية وان تتركي لي الرسائل الاخرى، ان الهدف الرئيسي هو خفض عدد الرسائل هنا قدر الامكان.

استقامت كتفا ادريان. وتقدمت أدريان من المكتب وهي تقول بشيء من البرودة:

- سأتدبر الامر يا سيد مانتغ.

- اذن، هيا الى العمل وسوف اتركك وحدك.

- خرج بعد ان هز برأسه. وانتظرت ادريان الى ان ابتعد عن الغرفة فدارت حول الطاولة، وأخلت حيزاً منها لترتب فيه الرسائل.

يا الله، ما اغرب الرسائل التي يتلقاها هذا الرجل! اسئلة من الشركات والمنظمات، وطلبات- اي طلبات! انها موجهة من مختلف المؤسسات والجمعيات الخيرية، ودعوات لحضور الاجتماعات الرعوية في كل ارجاء استراليا، ومقالات من المجلات والنشرات الدورية والشهرية، والف موضوع وموضوع لم تتصور ادريان انه يهتم بها.

كانت قد رتبت الرسائل قدر المستطاع حين شرعت في طبع الاجوبة عليها. ولم يكد يحين وقت الغداء حتى احرزت تقدماً ملحوظاً. فسرت بانجازاتها. ولشدة انهماكها واستغراقها في العمل، لم تنتبه الى السيدة فورد الواقفة في الباب وهي تحمل صينية مليئة بشتى انواع الطعام. لذلك اضطرت مدبرة المنزل الى تحريك ملعقة واحداث قرقعة. فرفعت ادريان نظرها اليها. وقالت:

- ارجو المعذرة على تكلفك عناء المجيء الى المكتب. لكن يبدو ان العمل قد انساني الطعام يا سيدة فورد.

- لا بأس عليك يا عزيزتي فالسيد مانتغ قد اقام حفلة لبعض رجال الاعمال. ويعتقد انك تفضلين الانفراد في هذا الحال.

وقفت ادريان لتناول الصينية من يد السيدة فورد وعلّقت بقولها:

- بالطبع. ما اروع هذه الاطعمة يا سيدة فورد!

ثم رفعت نظرها فلمحت اثر الرضى على وجه السيدة الاخرى التي اشارت الى طاولة المكتب المرتبة حديثاً وقالت:

- سيكون لديك عمل كثير اذا بقيت هنا يا عزيزتي. فالسيد مانتغ هو محور النشاط في المنطقة بسبب ما يتمتع به من طاقة فذة ولا يقعده عن العمل سوى هذه الاعمال المكتبية.

اطرقت ادريان موافقة:

- صحيح يا سيدة فورد. وانا هنا لاساعده.

ابتسمت لها السيدة فورد بلطف واسرعت نحو المطبخ بخفة اذ لاحظت انها تضيع وقتها ووقت ادريان. اما الاخيرة، فادركت مدى جوعها وتعرفت الى محتويات الصينية- خبز، قطع من الزبدة، دجاج، سلطة وقهوة سادة، كما تحبها. استقرت في مقعدها بعد ان ادارت المروحة لأن الحر بلغ اشده.

وسمعت بوضوح صوت غرانت مانتغ يتحدث الى رجل آخر تخلو نبرة صوته من الحزم فقررت الاسراع في غدائها والعودة الى مراسلاتها. اعدت بعض الاجوبة في ذهنها، ثم اخذت تضربها على الآلة الكاتبة الكهربائية. وحمدت الله انها عرفت كيف تستعملها، والا لكان عملها مضاعفاً.

بعد قليل سمعت وقع اقدام في الممر الا انها لم ترفع رأسها حتى يقدّر رب عملها جديتها. قرع السيد مانتغ الباب قرعاً خفيفاً ودخل الغرفة بصحبة رجل اشقر الشعر متوسط القامة له كتفان قويتان ووجه مشرق آسر وعينان شديدتا الزرقة. فتأمل ادريان كمن يرى حلماً. اما غرانت، فسأل سكرتيرته متهكماً:

- كيف الحال؟

وقبل ان تتمكن من الاجابة، انفجر الزائر صارخاً:

- بحق الشيطان، اذا لم تقدمني الى الآنسة، فساعرفها انا بنفسي.

ضحك غرانت فيما ازاح يده السمراء النحيلة على طاولة المكتب:

- دعيني اقدم لك يا آنسة برنت قريبي السيد كريستوفر هارنغتون من مزرعة كاريوا، وهي اقرب المزارع الينا.

اندفع كريستوفر الى الامام وصافح ادريان بحماس قائلا:

- مرحباً يا ادريان. لقد اخبرني غرانت انه احضر مساعدة للعمل في مكتبه. غير اني لم اتوقع ان تكوني على هذا القدر من الجمال. الحقيقة اني لا اسجن فاتنة مثلك في مكتب.

قاطعه غرانت بتهذيب، وعقب مبتسماً:

- بالضبط يا كريستوفر! لقد اصبت في قولك. لكن الآنسة برنت حضرت الى سارانغا لتعمل وتساعد في تطوير المزرعة.

اضطربت ادريان قليلا. الا انها افلتت يدها من كريستوفر وردت عليه

بابتسامة ابرزت الدقة في تكوين اسنانها:

- يسعدني ان التقيك يا سيد هارنغتون.

- لا احد يناديني السيد هارنغتون، بل كريستوفر يا ادريان. ولا بد ان نلتقي مراراً.

حينئذ فطنت ادريان انها لم تعد تمسك بزمام الحديث مع كريستوفر استدارت نحو طاولة المكتب وجمعت الرسائل التي انتهت من ضربها وقدمتها الى غرانت آملة الا يجد فيها خطأ خصوصاً وأنها امام طرف ثالث، وهمست:

- عليك ان توقع على هذه الرسائل يا سيد مانينغ.

ابتسمت لكريستوفر على رغم الخوف الذي اعتراها قبل ان تلتقي نظراتها بنظرات غرانت التي نمّت عن شيء من التقدير. ثم استدار نحو كريستوفر. ووضع يده على كتفيه، ودفعه نحو الباب قائلا:

- ودّع الآنسة برنت يا كريستوفر. فربما لن تستطيع رؤيتها قبل وقت طويل.

على ان كريستوفر المغامر توجّه الى ادريان مستفسراً:

- هل تركبين الخيل يا أدريان؟

- كلا يا كريستوفر.

فانفجر غرانت غاضباً:

- يا الهي! هل جئت الى سارانغا وانت لا تجيدين ركوب الخيل؟ لا اكاد اصدق.

احست بالدم يتصاعد الى وجهها، وظهر الانفعال على محياها بينما رنت منها التفاتة غاضبة الى غرانت، الذي انهى حديثه بهدوء:

- احضري صباح غد الى الاصطبل عند الساعة السادسة.

ابتسم كريستوفر مطمئناً وقال:

- لا عليك يا ادريان فساعلمك ركوب الخيل. هذا امر بسيط.

اما غرانت فضغط بشدة على عنق قريبه قائلا:

- الى اللقاء يا آنسة برنت. اخبري السيدة فورد انني سأمضي بقية نهاري في كاريوا.

توارى كريستوفر ملوّحاً بيده واتضح جلياً انه ألف تسلط ابن خاله

غرانت.

اما ادريان، فتراجعت في كرسيها حيث غمرتها اشعة الشمس الحادة المتسربة من النوافذ الواسعة وتلألأ رأسها الصغير الاحمر فيما اطبقت جفنيها وراحت ترسم في مخيلتها صورا جميلة للمستقبل.

لم تنم طوال تلك الليلة بل استلقت لساعات في سريرها ترقب ضوء القمر يتسلل عبر الدوالي وتشغل تفكيرها فلم يغمض لها جفن. سارانغا! يا لها من عالم آخر رائع بعيد عن المنزل وعن ليندا! كريستوفر هارنغتون! من المؤكد انه يقف الى جانبها ولا يعترض على الفتيات الحسناوات.

ثم رددت عبارة فتيات حسناوات بصوت عال وراودها اضطرابها مجدداً عندما اعادت تقييم مقابلتها لغرانت مانينغ. احتارت ماذا تقول عنه وهو المتحمس لفكرة الفتاة العاملة وتساءلت عما يمكنها فعله ان هو اصابها بسهامه وهمست:

- اغلب الظن انني ساستسلم لسحره.

تقلبت على سريرها محاولة طرد طيف غرانت من فكرها. ثم بدأت تعد اغنام سارانغا الى ان غفت. لم تنتبه لشيء الا لجرس المنبه يقرع. انتفضت من سريرها. ولبست قميصها الحريري القشدي اللون وبنطلونها الاسود وهي تترنم بالرغم من قلقها. املت ان تناسبها تلك الملابس اثناء الركوب ولم تنتبه الى انها لم تعقص شعرها الى الوراء الا بعد ان اجتازت قسماً كبيراً من الممر.

تلقاها العشب الاخضر الكثيف والنسيم العليل والجو الساكن المنذر باشتداد الحر فازدادت يقظتها وتعاظم استعدادها لمواجهة اي طارىء في حضرة غرانت مانينغ وشخصيته المعقدة التي لا تستطيع خبرتها المحدودة ان تحيط بكافة جوانبها. تابعت سيرها بين الاشجار حتى لمحت الاصطبل الى يسارها. توقفت لما لم تلمح اثراً لبشري واحد، ولم تعرف اذا كان عليها ان تعود الى المسكن ام تنتظر قدوم غرانت هذا اذا لم ينس موعدهما. الا ان انتظارها لم يطل اذ سمعت وقع خطوات تأكدت انها خطوات غرانت مانينغ لما فيها من الثبات والقوة. تقدم منها ملوّحاً بسوط الركوب القصير فخجلت واضطربت. غير انه دنا منها متفحصاً ثيابها ووجهها النضر المحمر ارتباكاً. ثم خاطبها بلهجة جافة:

ـ المرأة الدقيقة في مواعيدها اغلى من الجواهر يا آنسة برنت، او هكذا يقولون. اود ان الفت نظرك الى ضيق بنطلونك لكنه سيفي بالغرض الى ان نشتري لك ثياباً لركوب الخيل. في أي حال، آمل الا تكوني ثائرة.

ابتسمت ادريان على رغم دهشتها، وردت بثقة:

ـ ما الذي جعلك تقول هذا يا سيد مانينغ؟

تجاوزها الى الأصطبل ليعود بمهرة شهباء نحيلة الجنبين لوحت له بذيلها. وما ان وقع نظرها على ادريان حتى رفعت رأسها وانتصبت اذناها وبرزت عيناها السوداوان الواسعتان اللتان تنمّان عن بعض الفضول. فعظم حبور ادريان. وعرّفها غرانت الى المهرة قائلا:

ـ هذه هي غما الوادعة اللطيفة. لا داعي ان تخشي منها شيئاً.

لوحت المهرة بذيلها ثانية وقربت فمها من ادريان التي داعبته برقة فيما انسابت انفاسها على بلوزتها. وفي الوقت نفسه ابصرت المرح في عيني غرانت الذي سلمها المهرة ضاحكاً:

ـ يبدو انها تحبك. وهذا سيسهل عملنا.

علّمها غرانت طوال الساعة التالية كيف تمتطي الجواد ثم تترجل عنه، وكيف تشد اللجام وتضع رجليها في الركاب وتعدل حزام السرج. كما اكد انه سيمضي وقت طويل قبل ان تألف مشية الحصان وحركة اقدامه اثناء ركوبها عليه. غير انه لم يتوقف عن تعليمها وتدريبها حتى اتقنت ركوب الحصان اثناء الخبب. والغريب انه اثبت مهارته في التعليم واظهر صبراً ومنهجية وارتاحت ادريان الى الانسجام غير المألوف بينهما.

ساعدها مع نهاية الدرس في الترجل عن ظهر الحصان. غير ان قدميها علقتا في الركاب لفرط حماستها فسقطت على ذراعيه حيث استلقت برهة قبل ان يوقفها على قدميها هامساً بعذوبة وهزء:

ـ ما اغرب طريقتك في الترجل عن مهرتك يا آنسة برنت!

أطلقت ضحكة قصيرة فيما تأملت عيناها الخضراوان الحانقتان عينيه.

رفع الهواء ياقة بلوزتها كما عبث بشعرها. فرد غرانت احدى الخصلات الطائرة الى مكانها بلا انتباه ثم سحب يده قائلا:

ـ تمرني على الركوب بعض الوقت كل يوم. وسأطلب الى احد العمال مراقبتك وارشادك. وحين تعود زوجة عمي سنشتري لك ملابس ركوب

خاصه. اما الآن، فاذهبي لتناول فطورك.

لم تعترض ادريان على كلامه واجتازت الممر باتجاه المسكن تسير الهوينا.

لم تر رب عملها طوال الاسبوع لكنها ارتاحت الى غيابه لأنه استحال عليها عدم الاكتراث به او الاطمئنان الى حضوره المزعج لذلك اعتبرت انه من الافضل الا تراه. اعتنت بالملفات وادخلت عليها كل ما استجدّ من مواد. كما قامت بطبع بضع مقالات اعدها لمجلات مختلفة.

وذات مساء اظلم المكتب وكادت الشمس تغيب قبل ان تنتهي ادريان من عملها. وسمعت اذ ذاك وقع خطوات رشيقة في الممر. وما هي الا لحظات حتى وقفت السيدة فورد في الباب المفتوح وصرخت مستغربة:

ـ يا للسماء! لا شك انه ليس بمقدورك العمل في هذا المكتب المظلم!

تقدمت من مفتاح النور واشعلته فطرفت عينا ادريان وغطتهما بيدها.

ثم انحنت لترفع غطاء الآلة الكاتبة عن الارض موضحة:

ـ لم اتوقف كي اشعل النور لكثرة مشاغلي. لكني، والحمد لله، قد انهيت عملي الآن.

ـ ستحضر السيدة مانينغ هذا المساء وتتناول العشاء معكم. لذلك اعتقدت انك ربما ترغبين في تغيير ملابسك وارتداء ثوب جميل.

ـ هذا بالضبط ما سافعله يا سيدة فورد. اشكرك من كل قلبي. من المؤكد ان السيدة مانينغ هي زوجة عم السيد غرانت مانينغ.

ـ أجل يا عزيزتي. وكم يحزنني القول بان والد السيد غرانت وعمه قد قتلا لدى سقوط طائرتهما في الجبال. فلسارانغا طائرتها ومطارها الخاصين كما تعلمين.

وكان عم غرانت يقود الطائرة في ذلك اليوم، منذ اربعة عشر عاماً. وقع الخبر على اهل المنطقة وقوع الصاعقة. اما السيدة مانينغ، فتعيش مذ ذاك هنا. وتقوم برحلة خارج البلاد كل بضعة اعوام. ستجدين فيها للوهلة الاولى امرأة هادئة ومتحفظة الا انها سيدة رقيقة نذرت نفسها لخدمة المجتمع منذ وفاة زوجها.

تنهدت السيدة فورد فيما بدا انها استرجعت ذكريات السنين الماضية.

اتجهت ادريان الى غرفتها وبدأت تنقب بين ملابسها متسائلة عن مدى جمال الثوب الذي سترتديه، خصوصاً وانها ليست ضيفة. اخيراً استقر

رأيها على ثوب اسود بلا اكمام تعلوه ياقة تطوق العنق وتزين صدره ازرار صغيرة مذهبة. استحمت على عجل وزينت وجهها باعتناء قبل ان تعقد شعرها وترتدي ثوبها المريح، الذي ابرز ملامح جسمها المتناسقة. وبعد ان ثبتت في اذنيها حلقا مذهباً وانتعلت حذاءها الذهبي اللون، رشت قليلا من العطر الثمين على عنقها وساعديها وانطلقت عند السادسة الى البهو.

اضطربت عندما سمعت اصواتاً كثيرة تنبعث من البهو ووقفت عند الباب مترددة اذ رأت القاعة تغص بالزائرين الذين حولوا ابصارهم اليها وكأنهم يتوقعون ان تقدم لهم عرضاً راقصاً. عندئذ اقترب غرانت منها بلطف وهدوء حيث ادخلها الى الغرفة وقدمها الى زوجة عمه قائلا:

ـ يسعدني يا ادريان ان اعرفك بزوجة عمي السيدة مانتغ.

ذعرت ادريان لان غرانت ناداها باسمها مستغنياً عن الالقاب.

اما السيدة مانتغ، فابتسمت لها بحنو ومدت لها يدها دون ان تقف. وهتفت:

ـ كيف حالك يا عزيزتي؟ لقد اخبرني غرانت عنك. لكن، والحق يقال، اني لم اتصورك على هذا القدر من الجمال. انت تصلحين لعرض الازياء.

اربكت مجاملة السيدة مانتغ المقصودة ادريان قليلا. غير انها ضغطت على اليد الممدودة لمصافحتها، وقد بهرها الحسن البادي على تلك السيدة التي ناهزت الخمسين عاماً. واكدت ملابس السيدة مانتغ الفاخرة وبشرتها النضرة الملونة بمهارة، وتصرفاتها التي تنمّ عن شيء من الدلال، وتسريحة شعرها التي تدل على انها من بنات المدن العريقة. تأملت ادريان عيني المرأة الزرقاوين مبتسمة. وبادلتها السيدة مانتغ الابتسام. حينئذ ادارها غرانت قليلا وقال:

ـ اعرفك يا ادريان بالآنسة فيرا سترلنغ وشقيقها بريان من مزرعة كرنرفون.

صافحت ادريان شاباً لطيفاً كشفت ابتسامته الدافئة عن تودده لها. ثم التفت فتاة شقراء طويلة بارعة الحسن سددت اليها نظرات مخيفة، بينما راقبت حركات غرانت وسكناته بيقظة. توقّعت ادريان نشوء عداوة بينها وبين فيرا، مع انه لم يكن هناك من داعٍ لخوف الاخيرة من منافسة ادريان

لها على غرانت. الا ان السيدة مانتغ قطعت على ادريان افكارها قائلة:

ـ قدم يا غرانت بعض الشراب لادريان قبل العشاء.

فرمقها غرانت بنظرة ساخرة تبعث الحزن في النفس. ثم سألها:

ـ هل تفضلين يا ادريان عصير العنب ام عصير الكرز؟

ـ عصير الكرز اذا سمحت يا غرانت.

سرت لانه ابتسم عندما سمع جوابها. لكن فيرا سألت مشدوهة:

ـ هل تناديك الآنسة برنت باسمك يا غرانت، مستغنية عن الالقاب؟

سحب غرانت سيجارته. وقبل ان يتمكن من الرد، اوضحت السيدة مانتغ وقد عقدت جبينها وثمت نبرتها عن التوبيخ:

ـ وماذا يمكنها ان تناديك يا عزيزي؟ فهي في اي حال تشغل منصباً غريباً، وتقيم معنا في المنزل.

تصاعد الدم حاراً الى وجنتي ادريان وندمت على اسقاطها الالقاب حين نادت رب عملها باسمه. ارتاح الجميع لدى حضور السيدة فورد واعلانها ان العشاء اصبح جاهزاً. سيطر النفور على جو الوجبة الشهية فقد عبّر صمت فيرا عن عداء شديد بينما كشفت نظرات شقيقها الموجهة الى ادريان عن ضياعه. ولم يغب القلق عن محيا غرانت، على رغم انه مازح الجميع. وكم امتنت ادريان لوجود السيدة مانتغ معهم. فلو لم توجه ربة المنزل الحديث وجهته الصحيحة، لانتهى اللقاء الاول بمواجهة خصوصاً بعد ملاحظة فيرا الجارحة، التي خلقت توتراً شديداً تمنت ادريان معه لو تنتهي الوجبة وتتمكن من العودة الى جناحها. والحقيقة انه ما ان بدأ الحاضرون بتناول قهوتهم، حتى استأذنت بالانصراف متذرعة بضرورة الكتابة الى اهلها. لوّحت لها السيدة مانتغ مودعة ودعتها الى جلسة طويلة في صباح الغد.

لكنها تمكنت، وهي في الممر، من سماع الفتاة الاخرى تردد بانفعال:

ـ الحقيقة انني لا اعتبرها جريئة. ولا ارى مبرراً لاناقتها الزائدة.

لم تسترق ادريان السمع الى المزيد من الكلام بل هرولت الى غرفتها وقد تملكها الغضب، وترددت عبارة اناقتها الزائدة في مسامعها. ولكنها املت الا ترى فيرا وبريان سترلنغ بعد اليوم لشدة ما كرهتهما.

ذهبت مع فجر اليوم التالي الى الاصطبل حيث تنتظر غما مع بعض

العمال الذين قدموا لها النصح والارشاد. استمتعت بساعة الركوب. ثم سمعت اصواتاً بعيدة احبت ان تستكشف مصدرها.

لم تكن قد رأت من المزرعة سوى الممر الطويل ولذا املت ان يجد غرانت متسعاً من الوقت ليرافقها في جولة حولها. والواقع انها ذهلت لمجرد التفكير بجولة استطلاع في ما يزيد على ٦٥٠ الف دونم في قلب منطقة المواشي التي تفاخر باغنامها السمينة. وما زاد في دهشتها ادارة غرانت مزرعة لتربية الخيول المخصصة للاستيلاد علاوة على تربيته للاغنام. يا له من رجل فذ يدير عملا ضخماً بهذا النجاح!

فكرت ادريان بموقف غرانت من فيرا سترلنغ القوية الشرسة، وشقيقها المائع الشخصية الذي لم تسهم ملاطفته لادريان في اعطائها انطباعاً جيداً عنه.

وما ان تحولت بالفرس الى الممر حتى رأت غرانت وفيرا يهبطان سلم المنزل. القت عليهما التحية ملوحة بيدها فرد غرانت تحيتها بمثلها، فيما مدت رفيقته بصرها الى الامام. انحرفت ادريان بالفرس جانباً، وغرقت في افكارها الخاصة.

ولما انتهت من تناول فطورها، أُبلِغَتْ ان السيدة ماننغ تنتظرها في مكتبها فهرعت الى الجناح الشرقي وقرعت الباب. ثم فتحته مترددة عندما سمعت السيدة ماننغ تردد: تفضل. وجدت نفسها في حجرة انيقة فرشت باثاث فخم يتناسب مع صاحبته التي تقدمت من ادريان مبتسمة ابتسامة ساحرة وهي تقول:

ـ ادخلي يا عزيزتي حتى يتسنى لي زيادة معرفتي بك لاسيما انه لم تتح لنا فرصة الحديث ليلة الامس.

اشارت لادريان بالجلوس فيما تراجعت الى وراء المكتب واحتلت مقعدها مبتسمة. بدت عليها الرصانة وامارات الاهتمام بنفسها، بالرغم من اعتنائها بأمور كثيرة بالغة الاهمية. تذكرت ادريان قول السيدة فورد عن اهتمام هذه السيدة بشؤون المنطقة. انحنت السيدة ماننغ الى الامام وأردفت تقول: «اعلم يا عزيزتي انك جئت لمساعدة غرانت. والله وحده يعلم مدى حاجته الى تلك المساعدة. غير اني اتساءل اذا كان بامكانك تخصيص بعض الوقت لمساعدتي عندما لا تكونين منهمكة بتنظيم شؤون

غرانت. فكثيراً ما انشغل وتتراكم على الاعمال. وكم سأكون ممتنّة لك لو أعطيتني بعض مساعدتك القيّمة!

توقفت قليلا قبل ان تضيف في محاولة لطمأنة الفتاة:

ـ اذا كنت تفكرين بموقف غرانت، فاني اؤكد لك انه موافق.

اكتفت ادريان بالابتسام:

ـ يسعدني ذلك يا سيدة ماننغ.

ـ عظيم يا عزيزتي. لقد اثنى غرانت على كفاءتك ومهارتك.

ارتعشت ادريان قليلا لعلمها ان غرانت لم يجدها حسناء فحسب وانما عاملة ماهرة ايضاً. مهلا! الا يمكن ان تكون هذه العبارة اضافة الحقتها السيدة ماننغ بكلامها لطمأنتها؟ لكن الأخيرة تحدثت الى ادريان حديث رجال الاعمال:

ـ لعلك علمت يا عزيزتي اننا نسعى الى اضافة جناح للمستشفى المحلي حتى نوفر على الامهات عناء السفر الى المدن البعيدة لوضع اطفالهن. اعتقد انك تتصورين ضخامة العمل المطلوب لهذا المشروع. انه يقع بمعظمه على عاتقي، الامر الذي لا يزعجني البتة لأنه يعطيني فرصة للقيام بعمل بناء.

حولت السيدة ماننغ بصرها الى شجرة البونسيانا المزهرة خارج النافذة، ويبدا انها انطلقت بعيداً بافكارها. تمكنت ادريان من ادراك قسوة الحياة على صديقتها التي ترملت في شرخ الصبا. لعل ذلك يدفعها الى الاكثار من تعهداتها والتزاماتها. وما لبثت السيدة ماننغ ان حددت النظر الى ادريان قائلة:

ـ ستعقد اللجنة النسائية المسؤولة عن المشروع اجتماعاً يوم الاربعاء المقبل، لذلك ارجو ان ترافقيني الى المدينة لكتابة الملاحظات وتدوين التقرير. ولعلنا نوفق في الوقت نفسه لشراء ملابس ركوب خيل مناسبة لك.

انقطع حديث السيدتين عند سماعهما قرعاً خفيفاً على الباب، دخلت على اثره السيدة فورد حاملة القهوة وبعض الكعك المدهون بالزبدة. نهضت ادريان وقرّبت طاولة صغيرة من مجلسهما بينما اوضحت السيدة ماننغ قائلة:

ـ ما الطفك يا عزيزتي!

ابتسمت السيدة فورد ابتسامة رقيقة دلالة موافقتها على مجاملة السيدة مانتغ المتعمدة واللطيفة في آن. ثم سألتها:

- هل سيتناول السيد غرانت والآنسة سترلنغ الغداء هنا؟

- كلا يا سيدة فورد. كان من واجبي ابلاغك الامر، الا انني نسيت. لا اظن ان ثمة داع للاهتمام بهما الا اذا حضرا.

لم تقابل السيدة فورد ابتسامة السيدة مانتغ بمثلها، بل وقفت تسوي ثنيات مئزرها صامتة ثم خرجت بهدوء. حينئذ اوضحت السيدة مانتغ بدون مقدمات:

- بين غرانت وفيرا صداقة قديمة تعود الى ايام طفولتهما واهتماماتهما المشتركة الكثيرة.

فطنت ادريان الى نبرة استياء، او ربما تحذير، في حديث السيدة مانتغ الجذل فلزمت الصمت لعجزها عن الرد. الا ان السيدة مانتغ لم تلبث ان تحولت الى الكلام عن ادريان. وكشفت بذلك عن معرفتها الوثيقة بكل ما يتعلق بالفتاة. ولشد ما اعجبت الشابة بتعلق مضيفتها بغرانت، وهو ابن شقيق زوجها.

طالت جلسة المرأتين حول قهوتهما الصباحية. واخيراً غادرت ادريان مكتب السيدة مانتغ حاملة صينية القهوة. اودعتها المطبخ وهي في طريقها الى المكتب حيث اعتنت بتوزيع بريد الصباح الذي احضره احد العمال بعد رحلته اليومية الى المدينة. ولما دخلت المكتب وفتحت النوافذ لتستنشق رائحة الصيف، ادركت ان غرانت عمل ساعات طويلة خلال الليل الفائت في المكتب بعد نهار مضن من العمل في المزرعة. وحمدت الله على ما وهبها من ذكاء وسعة خاطر يتطلبهما عملها.

بعد ان وزعت البريد تولت الرد على بعض الرسائل فيما تركت البعض الآخر لغرانت حتى يرد عليها. كما جمعت كدسة كبيرة من الخطابات الموجهة الى السيدة مانتغ. انقضت بضع ساعات عليها وهي تعمل قبل ان تسمع صوت خطوات رشيقة. رفعت نظرها لتشاهد فيرا سترلنغ متكئة بوقاحة على احد مصراعي الباب، لتخاطبها بتعنت:

- سمعتك تضربين على الآلة الكاتبة بسرعة مذهلة؛ فحسبتك تقومين بهذا العرض لظنك اني غرانت.

اجابت ادريان بحدة:

- ابداً، فلخطوات غرانت وقع آخر، ولا اتصوره يسير على رؤوس اصابعه حول المكتب متجسساً.

- فعلا. الا ان اقامتك لم تطل هنا حتى تقدر اذناك على تمييز مشية غرانت او سواه.

لم تشأ ادريان الخوض في هذا النقاش التافه. فصمتت، ولم تعلق. اما فيرا، فقربت احد المقاعد وجلست عليه بينما اخرجت من جيبها علبة سجائر واشعلت واحدة منها. نفثت دخانها الكثيف في وجه ادريان معبرة بذلك عن عدائها الشديد لها. فاضطربت ادريان وتعجبت من موقف فيرا الجميلة. وقد ازدادت اناقتها في ثياب الركوب التي ترتديها. تصورت انها لو كانت مكانها، لما بلغ غضبها هذا المبلغ. ولكن، من يدري؟ عندئذ ضحكت ادريان من نفسها. فضاقت عينا فيرا غيظاً، وكلمتها محذرة:

- ارجو ان تأخذي بنصيحتي. لا تتصرفي وكأنك احد افراد الاسرة. فبامكان غرانت الاستغناء عنك بسهولة خصوصاً ان رأيه لم يستقر على اختيارك. ولأنه لم يرد ان يطلعك على الامر بنفسه رأيت انه من الأفضل ان اؤدي له هذه الخدمة المتواضعة. فنحن صديقان حميمان.

راقبت ادريان فيرا وهي ترفع ذرات الرماد عن ركبتها وتبذل الجهد في السيطرة على نفسها. تنبهت الى الحقد الدفين في نفس الشقراء المغرورة، والى استعداد غرانت للادلاء برأيه في اي ظرف او حال. غير انها ردت على ضيفتها ممتنة:

- اشكر لك يا آنسة سترلنغ اهتمامك بي. واعدك بأخذ كلامك بعين الاعتبار.

ابقت ادريان عينيها منخفضتين لئلا تنعكس عليهما مشاعرها الحقيقية التي لم تظهر على ملامحها الباردة. وبعد هنيهة تمكنت من رفعهما وقالت:

- استأذنك يا آنسة سترلنغ بالذهاب الى السيدة مانتغ لتسليمها بعض الرسائل.

فعرضت فيرا نقل الرسائل بنفسها. الا ان ادريان ابت عليها ذلك بحجة ان السيدة مانتغ قد تطلب اليها الرد على بعض الرسائل. ثم دارت حول المكتب حيث كانت تجلس ضيفتها الحسناء.

انتظرت فيرا خروج ادريان من الغرفة، فتوجهت الى مقعد السكرتيرة التي تجيد الضرب على الآلة الكاتبة ووجدت عليها مذكرة طويلة. نفضت رماد سيكارتها الحار على الصفحة المخطوطة وراقبته يحدث ثقباً فيها ثم غادرت الحجرة وكأن شيئاً لم يكن.

في مساء تلك الليلة اجتمعت ادريان والسيدة ماننغ حول مائدة العشاء في سهرة لطيفة اكتشفت اثناءها ادريان ان ربة المسكن محدثة لبقة واسعة الاطلاع. ومما زاد في سرورهما اتفاقهما على امور عدة منها ولعهما الشديد بالموسيقى. وحين علمت السيدة ماننغ ان ادريان تدربت على عزف البيانو في المعهد الموسيقي، طفح وجهها بالبشر، وهتفت:

- رائع يا عزيزتي! لا بد ان ارسل في طلب البيانو الذي تركته في سيدني لانه سيفيدك ويفيدني.

كادت دموع ادريان تسيل عندما خطر لها انها في مقابل البيانو الجميل الذي اضطرت ان تتخلى عنه بسبب مغادرتها منزل والدها وانها ستعوض عنه في سارانغا.

تمهلت المرأتان في شرب قهوتهما ثم افترقتا سعيدتين بالصداقة التي نشأت بينهما.

وبينما كانت ادريان تستعد للنوم سمعت قرعاً خفيفاً على الباب. توجهت اليه وفتحته لتجد غرانت واقفاً بقامته المديدة النحيلة وملامحه السمراء المنسجمة مع البزة الكتانية البيضاء التي يرتديها. خاطبها قائلا بدون مقدمات:

- هل يمكنك النزول معي يا ادريان لقضاء عمل طارىء؟

تبعت السكرتيرة رب عملها الى الجناح الغربي حيث تسطع الاضواء، وتبين لها انه زار المكان قبل ان يقصد غرفتها. ولما بلغا الباب، اشار لها بالدخول امامه فتقدمت الى طاولة المكتب فيما توجه هو الى خزانة الملفات واخرج منها ملفاً طبع عليه اسمه باناقة. قال لها:

- تلقيت اليوم معلومات جعلتني اسرع في توقيع صفقة مع ولكس فرغيسون لكن نظراً الى انشغالي طوال نهار غدٍ مع زبائن اميركيين يريدون شراء احد جيادي، اجدني مضطراً الليلة الى كتابة بعض الرسائل حتى تكون جاهزة للبريد في الصباح. فهل لك ان تعدي الآن مسودة تلك

الرسائل؟

اجابته:

- بل بمقدورك ان تملي علي مباشرة نسخ الرسائل المنقحة، اذا شئت.

- حسناً. فلنباشر.

لم تكد تمضي نصف ساعة على بدء عملية الاملاء، حتى توقف غرانت فجأة ثم سحل سيكارته قائلا:

- ما رأيك ببعض القهوة؟ فالقهوة التي تقدم في المطاعم والفنادق كريهة بحيث لا يمكن شربها؟

افترضت ادريان، هذه المرة خطأ، انه تناول العشاء في الفندق مع فيرا. غير انها عرضت عليه ان تصنع له قهوته بنفسها. ثم انتصبت واقفة بسرعة كبيرة فتشنجت عضلاتها واضطرت ان تمد يديها وعنقها وتقوس ظهرها لتتخلص من بعض التوتر. ولما عادت عيناها والتقت بعينيه، لمحت فيهما شيئاً من المرح. ابتسمت له فجأة ابتسامة عذبة تغير معها الجو على الفور. تحكم بهما الصمت قليلا فحولت بصرها عن عينيه، وتكلمت بسرعة بقصد اخفاء ارتباكها الآني:

- انك تفضل القهوة المرة، اليس كذلك؟

- اجل. سوف اطلع على الرسائل اثناء غيابك.

اجتازت ادريان الممر واشعلت النور في المطبخ النظيف فاكتشفت ان السيدة فورد تعمل في مطبخ نموذجي يحوي فرنين مشادين في الجدار، ومجموعة ضخمة من اطباق التسخين، وعدداً كبيراً من الخزائن المصفحة، والرفوف التي وضعت عليها قطع جميلة من البورسلين وكتب الطهي.

دنت من خزانة المؤن المعلقة وانزلت منها علبة قهوة ثم تنفست تنفساً عميقاً لتستعيد توازنها. عندئذ خطر لها انها شديدة التأثر برجولة غرانت، وانه سبق لها وتصورت لحظة تجاذب وتقارب مثل تلك التي سبقت خروجها من المكتب. لكنها لم تلبث ان طردت هذه الافكار وعزّت نفسها بالقول ان نساء قليلات يستطعن مقاومة سحر غرانت. وبينما غلت القهوة، اتكأت على احدى الخزائن واغمضت عينيها، ثم سمعت صوت غرانت الساخر يناديها من الباب:

- لا تغفي يا آنسة برنت. لقد حان وقت القهوة - أجفلت وضاقت عيناه

حين لمح الحمرة الخفيفة تكسو وجنتيها. ثم تقدم الى احدى خزائن الجدار واخرج منها صحنين وفنجانين. ضحكت ادريان ضحكة خفيفة وقالت:

- اغمضت جفني لاريح عيني من ضوء الفلوريسون المتعب.

- عظيم!

ارتاحت عندما اضاء مصباح الغلاية الكهربائية معلناً انتهاء عملية الغليان. اذ اتيحت لها فرصة للعمل. صبت القهوة الزكية الرائحة. ثم قصدت حجرة الاطعمة لاحضار بعض البسكوت المغطى بالشوكولا. وفي طريق عودتها، سمعت صوتاً انثويا حادا ينبعث من باب المطبخ ويسأل بحدة:

- هل هذه حفلة خاصة، ام يحق لي المشاركة؟

وفيما احضرت ادريان لفيرا فنجاناً وصحناً، قرب غرانت لها كرسياً واجلسها عليه. وخاطبت فيرا ادريان بتعال:

- اضيفي بعض الكريما الى قهوتي يا آنسة برنت.

اخرجت ادريان الكريما من الثلاجة. واستعدت لصبها. الا ان فيرا اوقفتها معترضة:

- اني افضل الكريما المخفوقة.

استطاعت ادريان ان تتمالك نفسها. الا ان غرانت تدخل في الحديث موضحاً:

- ليس هناك كريما مخفوقة. الا يمكنك تناول النوع الآخر؟

- علي ان اتكيف مع الوضع يا حبيبي، اليس كذلك؟

وقفت ادريان حاملة فنجانها بانتباه شديد. ثم استأذنت بالانصراف قائلة:

- ساذهب الى المكتب لطباعة العناوين على غلافات الرسائل، اذا سمحتما.

خرجت بدون ان تلقي نظرة خلفها وقد استفظعت وقاحة فيرا وشدة الكراهية بينهما.

بعد ربع ساعة حضر غرانت الى المكتب وعلى وجهه تعابير مبهمة وقال لها:

- بوسعك الانصراف الآن. هل فرغت من كل هذه الرسائل؟

اطرقت ادريان وصعب عليها النطق بسبب الغصة في حلقها. ثم اعلنت:

- اجل. كل شيء على ما يرام.

علق بلهجة جافة:

- عظيم. هيا اخرجي كي اطفىء الانوار.

غطت الآلة الكاتبة ودارت حول الطاولة. تناول غرانت الرسائل من يدها وتفحصها الى ان بلغت الباب. حينئذ اطفأ الانوار. تعاظم احساسها بدنوه منها تحت جنح الظلام فتسارعت دقات قلبها. استاءت من شدة تأثرها به. اما هو، فاطبق يده على ذراعها الناعمة واخرجها الى الممر حيث افلتت ذراعها. فانزل يده بسرعة، وقال لها:

- اذهبي الى غرفتك بمفردك لأطفىء أنا.

ودعته بتهذيب وعادت الى غرفتها متسائلة اذا كان قد ادرك انها تظاهرت بالبرود فيما هي تتحرق شوقاً اليه.

www.elromancia.com

٣ـ استاء غرانت من خروجها مع كريستوفر، فوجه اليها تأنيباً قاسياً اعترضته ادريان باللهجة نفسها، ولكنها عادت لتعتذر اليه حين بدأت تفكر في معنى تصرفه وتعنيفه لها.

في صباح اليوم التالي التقت ادريان برهة بغرانت وكان يعدو الى الخارج مرتدياً ملابس العمل. فتوقف صائحاً:

ـ لا تعملي خلال ساعات الصباح.

فشكرته ومضت الى حجرة الطعام الخالية. الا ان السيدة مانينغ سرعان ما انضمت اليها بأناقتها المعهودة. تعجبت ادريان من قدرة السيدة مانينغ على الاحتفاظ بشعرها مصففاً تصفيفاً انيقاً وهي بعيدة مئات الأميال عن دور تزيين الشعر الحديثة، ووقفت احتراماً لها. الا ان الأخيرة اشارت اليها بالجلوس.

تقدمت السيدة مانينغ من خزانة الأطباق والفضيات ورفعت عنها صحناً من البيض المقلي ثم جلست الى الطاولة وسألت ادريان:

ـ هل نمت جيداً الليلة؟

ـ اجل. فأنا احب جناحي الذي يتحول جنة حقيقية بفعل روائح صريمة الجدي والياسمين.

ـ هذا صحيح. فأريجهما زكي ينشي النفس. انا احبه ايضاً.

ساد الصمت بينما استعدت السيدة مانينغ لتناول الطعام. ثم عادت تطرح اسئلتها على ادريان:

ـ هل تفحصت بريدي هذا الصباح يا عزيزتي؟ هل يمكنك تخصيص بعض الوقت لمساعدتي اليوم؟

لولا تأكد ادريان ان عمل السيدة مانينغ لن يستغرقها سوى جزء من ساعات الصباح لما عرضت ان تساعدها في هذه الأثناء. وأضافت السيدة

مانينغ:

ـ ألن يحتاجك غرانت هذا الصباح؟

ـ كلا.

تنهدت السيدة مانينغ تعبيراً عن ارتياحها وقالت:

ـ يا لحظي السعيد! فالواقع ان لدي اعمالاً كثيرة تتطلب انجازاً. ارجو ان توافيني الى مكتبي عند الساعة العاشرة حين اكون اعددت كل شيء.

أنهت المرأتان فطورهما صامتتين. وبعد ان جمعت ادريان الأطباق على صينية اخذتها الى السيدة فورد وصعدت الى غرفتها حيث ارتاحت بعض الوقت. لقد كذبت على السيدة مانينغ، ولم تنم نوماً جيداً بل سهرت ساعات طويلة تفكر في كل كلمة تبادلتها مع غرانت في المساء. كانت القشعريرة تسري في جسمها كلما تذكرت لمسته لها. اما الآن فهي تلعن الرجل وتتعهد الا تسمح له باثارتها ثانية وهو الذي يسرق من عينيها النوم.

عادت ادريان الى واقعها. فالواجب يدعوها الى ضبط نفسها لأنها جاءت الى سارانغا لتعمل لا لتفكر بغرانت مانينغ. ثم نهضت من سريرها بسرعة ورتبت هندامها قبل أن تذهب بحثاً عن السيدة مانينغ.

كانت السيدة مانينغ قد نظمت رسائلها وأعدت بعض الأجوبة المستعجلة. وما ان رأت ادريان حتى حيتها بابتسامة قلقة وطلبت اليها نقل تلك الردود السريعة. وافقت الفتاة وأدنت كرسيها من طاولة المكتب.

كانت المرأتان قد انجزتا عدداً من الرسائل عندما سمعتا قرعاً متواصلاً على الباب. وقبل أن تتاح للسيدة مانينغ فرصة الرد، انفتح الباب واندفع كريستوفر هارنغتون داخلاً. تأمل ادريان قليلاً ثم امسك بالسيدة مانينغ وطبع على وجهها بضع قبلات مدوية. الا انها لمست وجهه بحنو وقالت:

ـ كم اتمنى ملاحظة التحسن الفعلي في سلوكك يا كريستوفر.

أفلتها واتجه الى ادريان قائلاً:

ـ مرحبا يا ادريان الجميلة. لا شك انك تتوقين الى قبلة.

انحنى وقبل وجنتها، فصاحت السيدة مانينغ:

ـ كفاك طيشاً يا كريستوفر! لا تؤاخذيه يا ادريان فلا احد يستطيع السيطرة عليه سوى غرانت.

والحقيقة ان ادريان لم تنزعج البتة من تصرف كريستوفر بل ابتسمت له.

فتأوه قائلاً:

- اني اغرق في بحر عينيك الزرقاوين يا ادريان.

اطلقت السيدة مانغ تنهيدة حارة وعلقت:

- من الخير لنا ان نوقف عملنا يا ادريان لأننا لن نستطيع انجاز شيء في حضرة هذا الفتى الشقي!

وبدا واضحاً سرور السيدة مانغ بقدوم كريستوفر. وسألته:

- هل تنوي تناول الغداء معنا يا عزيزي؟

- كلا يا عزيزتي. فأنا مصمم ان اري ادريان مزرعتنا أثناء فرصة غدائها طبعاً.

- لا يمكنني البت في هذا الموضوع يا كريستوفر، ولو اني اتصور ان غرانت لن يعترض. ولعله يقوم هو بهذه المهمة.

فعقب مستهجناً:

- غرانت! ارى انه منهمك في استقبال الزبائن، ولا شك انه سيعقد صفقة رابحة.

- لكنك تعلم يا كريستوفر ان غرانت يجد وقتاً لكل شيء.

- لا تنقصي من قدري يا سيدتي المصون. فادريان تتوق الى الخروج معي كما تلاحظين.

رمقت ادريان بنظرة مرتبكة. ثم اعلنت موافقتها على خروجها مع كريستوفر بقولها:

- افعلا ما شئتما، فأدريان تستحق استراحة بسبب خدماتها الجلّى هذا الصباح.

فقبلها كريستوفر ثانية ثم انصرفا. ولم تثر لمسة كريستوفر، الذي امسك بذراع ادريان في طريقهما الى خارج المنزل، اياً من الأحاسيس التي اثارتها فيها لمسة غرانت. توجها الى مقدم البيت حيث تنتظرهما سيارة كبيرة فتح كريستوفر بابها الأمامي وأمسكه الى ان جلست ادريان على المقعد المجاور لمقعد السائق. عندئذ اغلق الباب باحكام، ودار حول السيارة. ثم احتل مقعده قائلاً:

- حسناً! استعدي الآن للتمتع بالرحلة.

تراجعت في مقعدها وهيأت نفسها للرحلة. وما ان انطلقا حتى اجتازا

سيارة مرسيدس سوداء متوقفة الى جانب البيت. فسأل كريستوفر بحدة:

- أليست هذه سيارة الأفعى فيرا؟ لم انتبه لها عند البيت. اهي هنا؟

تذكرت ادريان كيف خرّبت فيرا الصفحة التي طبعتها واجبرتها بذلك على اعادة طباعتها فمالت الى موافقة كريستوفر على وصفه، لو انها تعرف فقط حقيقة دوافعه. ولذلك اجابت بهدوء:

- اجل، انها فيرا. لقد التقيتها منذ بضع ليال هي وشقيقها. ورأيتها بعد ذلك بضع مرات لكني لم ار شقيقها.

- لا بد انك التقيتها. ولا شك انها تكرهك لأنها مغرمة بغرانت كما نعلم جميعاً. واي فتاة حسناء مثلك تبدد كل آمالها.

حوّل كريستوفر عينيه، المليئتين بالمرح والتفهم، عن الطريق لتستقرا على ادريان وقال:

- تعلمين انني اقدّر غرانت كثيراً. فقد ادى لي خدمات كثيرة جعلت فيرا تتصور انه يفرط في مساعدتي. لقد اطلعتني اللئيمة على رأيها ذاك فأبلغتها اني سأضربها اذا عادت الى مثل هذا الكلام. ومذذاك تحولت صداقتنا الى عداوة.

ثم رمقها بنظرة مرحة فلم تتمالك نفسها من الضحك قليلاً. وأوضحت:

- لا اشك في ذلك، اذ لا اتصور ان هناك امرأة على وجه الأرض ترحب بأن تضرب.

- الحق يقال ان الضرب يفيد فيرا، فهي شديدة الحذر مع غرانت الى حد انها لا تطل كلمة في غير موضعها. ومع انه يميل اليها، الا انها لم تتأكد من موقفه بعد. وأظن ان اليأس بدأ يساورها.

شاطرته رأيه. الا انها لم تطلعه على مشاهداتها وفضلت الاحتفاظ بها لنفسها. ولما خرجا من بوابة سارانغا الرئيسية الى الشارع العام، استقامت ادريان في جلستها وأعلن كريستوفر بزهو وبدون اكتراث:

- يا له من شيطان انيق!

فاستفسرته عن هوية الشيطان الأنيق، وهي تعلم ان هنالك شيطاناً انيقاً واحداً. رماها كريستوفر بنظرة لمحت فيها شيئاً من الجدية. ثم اوضح:

- غرانت، يا عزيزتي. لا تقولي انه لم يثر اهتمامك حتى الآن. انكما ستكونان زوجين رائعين. وكان جيداً انني دخلت على الخط بشخصيتي المختلفة.

رسم كريستوفر دائرة واسعة بيده. وحدثها بزهو عن ابن خاله مظهراً فضائله ومشدداً على مزاياه الحميدة. وزاد تقدير ادريان لرفيقها عندما قال:

- لا تزال كاريوا تبعد عشرين ميلاً من هنا. كل هذه الأراضي تخص سارانغا التي حوّلها غرانت الى افضل مزرعة من نوعها في نيوساوث ويلز. الجميع هنا يكنّون الاحترام لغرانت. واؤكد لك ان هذا يتطلب جهداً وسهراً متواصلين.

اقترب موعد الغداء في نهار انذر باشتداد الحر في فترة ما بعد الظهر. فخفض كل من كريستوفر وادريان زجاج النافذة بجواره. امتلأ انفاهما برائحة العشب في المراعي وامتد امام اعينهما الطريق الترابي. اشار كريستوفر الى مجموعة من الرعيان تدفع قطعان الأغنام من مراعي البرسيم الخضراء الى ظلال الصنوبر الوارفة واطلق بوق سيارته، فاشرأبت اعناق الأغنام اليه ثم لم تلبث ان نطحت بعضها بعضاً. وسألها كريستوفر:

- هل تسنت لك يا ادريان مشاهدة استعراض كلاب الرعيان؟

- اجل، فالجميع يسعون الى مشاهدة هذا الاستعراض.

- يمكنك الاستمتاع بهذا العرض دون أن تدفعي اجرة الفرجة.

- هذا يسرني للغاية لأنني لم ار شيئاً من الريف حتى الآن.

- انك تزيدينني شوقاً الى التجوّل معك في المزرعة. لكن، كيف تسير دروس ركوب الخيل؟

- اعتقد انني في تقدم يا كريستوفر. لكنني لم اتجاوز مرحلة العدو السريع حتى الآن.

فشجعها مطمئناً:

- سوف تتجاوزينها لا محالة. ومتى فعلت، تصبحين قادرة على التجوال معي وأنت على ظهر الجواد. وهذا سهل وضروري في آن لأن المزرعة كبيرة. ان حبي لهذه الربوع يفوق الوصف. ومتأكد من عجزي عن العيش في المدينة لأن جوها يخنقني.

وهنا عبر الشارع حيوان كنغرو صغير فضغط كريستوفر على الفرامل

وأشار بيده الى حيث تشتد كثافة اشجار البقس الصفراء والرمادية، وتمتم:

- يا للعين! انظري الى الجدول هناك. ان مياهه عميقة، حتى في فصل الجفاف، الى حد يسمح بالسباحة فيها. لا بد ان نركب خيولنا يوماً ونزوره لعلنا نحظى برؤية طائر الناقوس الذي يتخذ من الجدول مسكناً. أويسعني القول انك لم تري احد تلك الطيور ايضاً؟

هزت ادريان رأسها وقالت مبتسمة:

- اقر انه يجدر بنا ان نبحث عن هذه الطيور ونكمن لها حتى نشنف آذاننا بسماع صوت احدها ونتمتع بمشاهدة ذيله الأخضر والأزرق والذهبي. فصوت هذا الطائر يراوح بين نعيق الغراب لحظة، وبين رنين الأجراس لحظة اخرى، كما اعلم. وآمل ان نسمعه معاً.

بلغا اعلى التلة فقابلتهما سحابة غبار مندفعة من الأفق البعيد. وسألت ادريان:

- ما هذا يا كريستوفر؟ أهي سيارة؟

- كلا، انها أبقار سارانغا ترعى عند طرف المزرعة. وغرانت يربي عدداً من الأبقار بقصد اكتفاء المزرعة ذاتياً. اما على المنقلب الآخر من التلة، فتقوم كاريوا حيث اشجار البرتقال والليمون الحامض التي ساعدني غرانت في زراعتها. بساتيني صغيرة، الا انها تكفيني، وسوف ترينها وهي تنمو.

- كم ارغب في ذلك يا كريستوفر. ولكن، هل تعتقد انه يجوز لي زيارة كاريوا خلال ايام العمل؟

رد بثقة مطلقة:

- لا تخافي يا فتاتي، فغرانت لا ينهش احداً. كما اريدك أن تتعرفي الى والدتي. من المؤكد انك ستعجبين بها.

استقرت ادريان في مقعدها مع انها لم تتخلص من خوفها وقلقها. فغرانت مانغ يتوقع منها عملاً جيداً يدفع اجرته لكنه لن يرضى ان تقوم بنزهة في الريف أثناء دوامها حتى ولو حصلت على اذن من السيدة مانغ. لكنها طمأنت نفسها بالقول انه اعفاها من العمل صباح هذا اليوم.

لم تلبث بساتين كاريوا ان ظهرت للعيان. فصاحت ادريان:

- يا الهي! ما الدافع الى ابراج المراقبة الصغيرة هذه يا كريستوفر؟ آمل انك لا تطلق النار على من تضبطه يسرق بضع ليمونات من حديقتك.

ـ هذه الأجسام التي تسمينها ابراج مراقبة ما هي الا مراوح تقي اشجاري خطر الصقيع في الشتاء وذلك عن طريق نقلها الهواء الساخن من طبقات الجو العليا. لا اريد ان اسمعك تكررين عبارة ابراج المراقبة الصغيرة.

صمت كريستوفر الى أن بلغا باحة مسكن كاريوا فقفز من مقعده وتوجه الى جانب السيارة الذي تجلس فيه ادريان، وفتح لها الباب قائلاً:

ـ اهلاً وسهلاً بك يا آنسة برانت في كاريوا. صحيح ان مسكننا لا يضاهي سارانغا فخامة وأناقة، الا انه يتمتع بسحر خاص.

لقد اصاب كريستوفر. فلا تحيط بالبيت رياض وحدائق غناء، ولا تبرز فيه معالم فن العمارة القديم المتسمة بالضخامة والرونق. والمسكن بناء يشبه البنغل منخفض السطح تحيط به بعض الأشجار المزهرة المختلفة الأنواع، لكنه يتمتع فعلاً بسحر خاص. ثم اضاف كريستوفر:

ـ والدي هو الذي بنى هذا المسكن. الا انه لم يقم فيه طويلاً. فلقد مات في معسكر سجناء الحرب. كم اتمنى ان اظل على قناعتي بأن ما افعله في المسكن والمزرعة يبعث في روحه الرضى.

كادت ادريان تنفجر باكية، فضغطت بيدها على يد كريستوفر قائلة:

ـ اني واثقة من ذلك كل الثقة.

ـ اما الآن، فهيا اصعدي يا ادريان العزيزة.

ساعدها على ارتقاء الدرجات الست. وما ان بلغا اعلى السلم، حتى انفتح باب الشريط واطلت منه سيدة شابة سوداء الشعر، هتفت فرحة:

ـ اهلاً وسهلاً بادريان. انك تطابقين وصف كريستوفر الاخّاذ تماماً.

لاحظت ادريان شبهاً كبيراً في لون الشعر والعينين بين غرانت والسيدة هارنغتون، التي تحاكي الحمامة وداعة ورقة. بادلت مضيفتها الابتسام بمجيبة:

ـ وانت كذلك يا سيدتي.

امسكت السيدة هارنغتون الباب المفتوح لتسمح لادريان بدخول المنزل الذي بدا بفضل ذوق السيدة هارنغتون وخيلتها ومهارتها مرتع راحة واستجمام لها ولكريستوفر. فلقد كسيت جدرانه الداخلية بألواح من خشب الصنوبر دلكت بالشمع لتظهر العقد فيها جلية. وانسجمت زينة

المسكن مع حياة الريف بألوانها الهادئة من اخضر وأزرق وفيروزي.

تطلعت ادريان الى ربة المنزل بعينين يملأهما الاعجاب فابتسمت السيدة هارنغتون وأعلنت:

ـ جعلتني معرفتي بكريستوفر اعد الغداء. فهيا لتتناولاه يا عزيزي.

تقدمتهما الى حجرة المائدة وساعد كريستوفر المرأتين على الجلوس. وساد الغداء جو مرح عززه انسجام الثلاثة، وبزت السيدة هارنغتون ابنها مرحاً واندفاعاً. استمتعت بخبر تلقي ادريان دروساً في الركوب، واكدت انها لن تجد معلماً افضل من غرانت. حصلت ادريان خلال نصف ساعة على معلومات كثيرة عن غرانت، وبدا انه معصوم عن الخطأ في رأي السيدة هارنغتون ونجلها، اللذين اوردا كثيراً من النشاطات الاقليمية التي يلعب فيها غرانت دوراً رئيسياً.

لم ترض السيدة هارنغتون ان تساعدها ادريان في غسل الأطباق، وأصرت على دعوتها الى تكرار الزيارة، متمنية لو تحضر في المرة المقبلة على ظهر مهرتها. وبينما هما في الطريق، قال كريستوفر:

ـ كنت متأكداً ان والدتي ستحبك. كما انها تحب غرانت كثيراً، لكن يبقى عليك ان تسمعي رأيها في فيرا التي لا نعرف الكثير عن موقف غرانت منها. صحيح ان فيرا جميلة، الا ان باستطاعتك خطف الأضواء منها.

اكتفت ادريان بالابتسام لانتقاء كريستوفر كلماته. لم تخض في الموضوع لعلمها ان من الخير عدم السعي لـ «خطف الأضواء» من فيرا سترلنغ، تلك الفتاة الحسناء التي تحطم الجميع للحفاظ على مصالحها الخاصة. ثم طلب كريستوفر معرفة بعض المعلومات عن حياة ادريان في سيدني، فقدمت له صورة جذابة وغير دقيقة عن حياتها المنزلية. الا انها وجدت صعوبة في شرح موقف ليندا، التي عادت لتعثر عليها في شخصية فيرا.

لدى وصولهما الى سارانغا عند الساعة الثانية، رأت ادريان من داخل السيارة غرانت منهمكاً في الحديث مع رجل آخر. انتابها شيء من الخوف لأنها تذكرت انها اعفيت من العمل خلال ساعات الصباح، وان الوقت الآن قد تجاوز الظهر بساعتين. نفخ كريستوفر بوق سيارته باتجاه غرانت. ثم اوقفها وفتح الباب لادريان حتى تترجل. وانزعجت اذ صرخ مودعاً:

ـ لن استطيع التكلم معك يا ادريان، فعلي الاسراع في العودة. الى

اللقاء.

اندفعت ادريان نحو البيت، وبعد أن سارت مئتي متر تقريباً ناداها غرانت فتوجهت نحوه بعد أن سوت شعرها المرتب، بسبب قلقها. راقب هو ورفيقه تقدمها الى ان ادركتهما وأجابته بتهذيب وهدوء:

ـ اجل يا سيد مانغ؟

وهنا عرّفها بالرجل الواقف معه بقوله:

ـ اقدم لك صديقي الأميركي ماكس بلايك . هذه هي سكرتيرتي يا ماكس.

ابتسمت ادريان ابتسامة رقيقة للزائر الاميركي الذي بدا مرتبكاً اذ ردد قبل ان يضيف بسرعة:

ـ سكرتيرتك يا غرانت؟ اخبرني غرانت انك تجيدين الضرب على الآلة الكاتبة يا آنسة برنت. وهذا بالضبط مع احتاجه. فهلا تفضلت بطباعة بعض الرسائل لي؟

لم تصدق ان غرانت يقول عنها شيئاً حسناً، لكنها اجابت محدثها بهدوء:

ـ اني على اتم الاستعداد يا سيد بلايك. متى تريدني ان ابدأ ذلك؟

حوّل ماكس نظره الى غرانت مستفسراً ثم قال:

ـ بامكاننا ان نبدأ الآن يا غرانت اذا كان هذا لا يزعجك.

ـ ابداً. فلننطلق الى المكتب اذن.

تقدمهما في الدوران حول المنزل ولما بلغا المكتب تنحى جانباً ليسمح لهما بالدخول. وقال:

ـ خذ وقتك يا ماكس. سوف اعود اليك بعد قليل.

لم يلق غرانت حتى تلك اللحظة نظرة واحدة باتجاه ادريان، فأيقنت من استحالة خلاصها من القصاص. اما ماكس بلايك، فابتسم لها، وأخذ يذرع الغرفة ذهاباً وايابا. وقبل أن يبدأ باملاء أية كلمة طلب اليها ان تستمهله حين يسرع في الحديث. لكنه في الواقع املى عليها الرسائل ببطء وتقطع. وما ان انتهى من عمله حتى اتكأ على طاولة المكتب وسألها:

ـ ما الذي دفع بفتاة حسناء مثلك الى العمل وراء المكتب؟

سخرت ادريان من ماكس. انه احد الرجال الذين لا يوازنون بين الحسن والمهارة. لكنها تحاشت الرد على سؤاله، واكتفت بالقول:

ـ سوف اعيد طباعة رسائلك يا سيد بلايك.

اما هو، فألح في سؤاله:

ـ ما سبب وجودك هنا؟

صمتت ادريان قبل أن تجيب بجفاء:

ـ حضرت الى هنا لكي اعمل يا سيد بلايك.

ـ ما رأيك بأن تشاركيني العشاء في المدينة الليلة؟

ترددت ادريان في الادلاء باعتذارها اللبق. وسرعان ما خرج الأمر من بين يديها اذ رد غرانت على ماكس بلهجة متسلطة:

ـ لا يمكن لادريان تلبية دعوتك يا ماكس لأنه لا يسمح لها بالخروج وحيدة في المساء طالما هي في منزلي.

ارتبك الاميركي الزائر، وقال:

ـ فهمت. ولعل هذا افضل حل.

وهنا، دعاه غرانت الى تناول القهوة حتى تكمل ادريان عملها. غادر الرجلان المكان تاركين لها حرية العمل. وحضر غرانت بعد ساعة ليسألها باقتضاب:

ـ هل انتهيت؟

اومأت بالايجاب فتقدم منها وتناول من يدها الرسائل المعدة للتوقيع والغلافات التي رتّبت فيها بدقة. ثم أعلن بلهجة لم تخل من الغضب:

ـ سوف اعود بعد قليل.

تنبهت ادريان الى صعوبة ارضائه فسرت في اوصالها رعشة خفيفة. وعاد بعد عشر دقائق ليبادر بالقول:

ـ اولاً، لا اسمح لك بالخروج من المزرعة الا باذني. ثانياً، عندما اعطيك فرصة في الصباح، لا اقصد فترة من دوام بعد الظهر. ثالثاً، لا ارضى أن تديري رأس كريستوفر، فهو وان كان شاباً لطيفاً وطيباً، الا انه سريع التأثر بعينيك الزرقاوين.

راقبته ادريان يخرج سيجارة من جيبه ويشعلها ويمج منها مجة طويلة قبل أن يجدد النظر اليها عبر سحابة الدخان قائلاً:

ـ هل فهمت؟

عجزت عن تصديق ما سمعته اذناها، فانتصبت واقفة وضربت طاولة

المكتب بركبتها، ثم اجابته متبعة اسلوبه في الكلام:

- لم اسمع في حياتي كلها أقسى من كلامك. لكن اعلم، أولاً، انني سأذهب حيثما أشاء في وقت فراغي. ثانياً، لقد قضيت الصباح كله اعمل للسيدة مانغ التي اذنت لي بمرافقة كريستوفر، ثالثاً، لم أفكر لحظة أن ادير رأس كريستوفر. ورابعاً، انك اكثر الرجال الذين التقيتهم غروراً وتعنتاً واستبداداً وشكاً.

ابتعد غرانت عن متكئه على الطاولة واندفع نحوها. امسك بكتفيها ضاغطاً عليهما ثم صاح بها:

- كم اتمنى لو تتاح لي فرصة تربيتك يا آنستي، فأنت جموحة وعنيدة الى اقصى الحدود.

حاولت ادريان الافلات منه، الا انه ابقى على قبضته عليها صارخاً:

- اهدأي! لا اريد مجادلتك. ما عليك الا ان تطيعي اقوالي. هل تفهمين ما أقول؟

صرّت ادريان اسنانها وأجابته:

- اجل يا سيد مانغ.

ونفخ غرانت بيأس، وأردف:

- تحسنين صنعاً اذا تذكرت درس اليوم. لكنني استغرب كيف يسمح لك والداك باتخاذ القرارات بنفسك. من الخير لك ان تسجني في غرفة موصدة الأبواب.

خنقت ادريان كل فكرة في رأسها للاعتراض، فيما ارتجفت غيظاً وحنقاً، وتحركت قبضة يدها بين انفتاح وانغلاق، وكادت عيناها تنفجران بالبكاء. ولولا خجلها وحيائها الشديدين، لقلبت كل معايير السلوك. اما غرانت، فتأمل وجهها الصغير الناطق بالتحدي. ثم توجه بسرعة الى الباب وصاح بقسوة قبل أن يغلقه وراءه بعنف وغضب:

- الأفضل لك أن تقومي الآن بعمل ما.

ألقت ادريان نفسها على طاولة المكتب مرتجفة وقد ندمت على ثورتها واستهجنت سلوكها السيىء الذي ما كان ليظهر الا مع غرانت مانغ. فهذا الوحش يثيرها ويفقدها صوابها! انها ما تزال تشعر بالألم الناتج عن غرز يديه في كتفيها والذي لن يزول أثره قبل اسابيع عديدة. لكنها

استغربت كيف انه لم يفكر بطردها، علماً ان احداً لا يحاسبه في قراراته.

التقطت انفاسها ثم عادت تنظم البريد. تخلصت من هياجها بضربها الآلة الكاتبة بشدة وطردت غرانت من فكرها فيما صبت اهتمامها على الآلة الى ان انجزت قسماً كبيراً من العمل. ثم بدأت تخطط لمزيد من العمل في نظام الوثائق الذي انشأته والذي لقي رضى «السيد».

كانت الساعة قد جاوزت الخامسة، والشمس بدأت تغيب عن المكتب عندما انهت ادريان عملها وسمعت وقع خطوات ثابتة في الممر فتساءلت عما اذا كانت ستواجه شجاراً جديداً. اما غرانت، فوقف بالباب، وأعلن ساخراً:

- ها قد عاد ذلك الوحش المغرور المستبد المتعنت.

انسحرت بأناقته فما كان منها الا ان ضحكت من نفسها، وعبرت عن اسفها بقولها:

- ارجو المعذرة يا سيد مانغ. فلست ادري ماذا دهاني.

عقب والمكر يتماوج في عينيه السوداوين:

- أوَلا تدرين حقاً؟! انا لا ادري ايضاً اذا كان اعتذارك مقبولاً يا آنسة برنت.

ثم استقام في وقفته ودخل المكتب. فضحكت ادريان ضحكة خفيفة وقالت:

- أوَلا تعلم انك اوجعتني كثيراً؟

رد بكثير من العنف على رغم انه مد يده لمساعدتها على الوقوف:

- ليس بما فيه الكفاية على ما يبدو.

الا ان ادريان زادت في الاستفسار:

- اذن، هل صفحت عني يا سيد مانغ؟

اشتد ضغط يده السمراء النحيلة على يدها. فألمتها قبضته. ثم اوضح:

- طبعاً. فأنا لا اتناول عشائي مع اعداء.

لم تستطع ان تركز بصرها عليه، بل شعرت بضرورة الهرب من هذا الرجل الذي يفجرها من الداخل. اما هو فهزها قليلاً وصرخ:

- ادريان! انظري الي.

ففعلت ما امرها به ورمته بنظرة غامضة من وراء اهدابها الكثيفة. لن

يدرك ردة فعل قلبها. ولكن، ربما علم. أفلت يدها وعاد يخاطبها بنبرة قاسية:

ـ فليساعدك الله يا آنسة برنت. اما الآن، فهيا الى غرفتك وبدّلي ملابسك. ارتدي شيئاً غريباً.

رأت سيارة فيرا من غرفتها اعدت نفسها لمواجهة شرسة بينما نقبت في ملابسها عن ثوب غريب ترتديه. وفي محاولة لجرح كبرياء غريمتها، استقر رأيها آخر الأمر على ثوب حريري ازرق بسيط التصميم يعتمد في أناقته على نوع قماشه وعلى الفتاة التي تلبسه. ثم تفوّهت بعبارة لم تحدد المقصود بها: «هذا الثوب سيحطمك».

لا شك ان السيدة ماننغ قد ارتدت ملابسها الأنيقة للعشاء. فلا يسمح لأحد بالتخلي عن أناقته في سارانغا حيث لا يجوز لأي كان ان يرتدي ملابس رثة ويجلس تحت ثريا من الكريستال صنعت بيد فنان. ولما كان غرانت ماننغ يملك على ادريان حواسها، فكرت بالعودة الى سيدني والبحث عن وظيفة اخرى. الا انها نبذت الفكرة ووصفت نفسها بالفتاة السخيفة. فلا ريب ان غرانت قد اعتاد ان تنهار النساء امامه وان يستسلمن لوسامته وغناه.

أنهت ارتداء ملابسها ثم تفحصت وضع احمر الشفاه الذي استعملته. اخضعت نفسها بعد ذلك لفحص دقيق في المرآة. ومع انها لم تكن مغرورة، غير انها ابتسمت لطيفها في المرآة، وهتفت: «عظيم يا آنستي». وانطلقت من ثم الى حجرة المائدة.

تنبهت لدى دخولها القاعة الى التعبير الغريب في عيني غرانت اللتين رمقتاها باعجاب، ولم تشأ النظر اليه لسبب عجزت عن تفسيره. جلست الى جانب السيدة ماننغ المتعبة مركزة اهتمامها على الحساء المثلج. اما فيرا، فبدت أنيقة في قميصها الحريري، وأظهرت شيئاً من المرارة في تعليقاتها الطريفة. كما اوحى مظهرها بالثراء والكسل من جهة، وبالليونة المكتسبة من لطف غرانت من جهة اخرى. لكن ادريان فضلت محادثة السيدة ماننغ. فقالت:

ـ ارى انك متعبة يا سيدة ماننغ، فهل استطيع مساعدتك؟

ابتسمت السيدة ماننغ للفتاة القلقة وأجابتها:

ـ كلا يا عزيزتي. في أي حال، انني اشكر لطفك. وأحسب خير دواء لتعبي هو النوم الجيد خلال الليل. لكن لا تنسي انك ستذهبين معي غداً الى المدينة حيث نعقد اجتماع لجنة المستشفى عند العاشرة.

ـ وكيف انسى ذلك الموعد الذي اتطلع اليه بشوق؟ ان كل شيء هنا جديد بالنسبة اليّ ومثير كما تعلمين.

تأملت السيدة ماننغ الفتاة برهة، ثم قالت:

ـ الحقيقة يا ادريان انه ينطبق عليك وصف والدي للفتيات الحسناوات اللواتي يزين صدور البيوت الا انك تفوقينهن جميعاً في مهارتك العالية وكفايتك العظيمة. فقد اتممت لي اليوم عملاً ممتازاً اشكرك عليه من كل قلبي.

طفح وجه ادريان بالحبور لسماعها كلمات التقدير. عندئذ سأل غرانت:

ـ ماذا يجري عند طرف الطاولة الآخر؟

ضحكت السيدة ماننغ بعفوية وأجابت:

ـ كنت اهنيء ادريان على عملها الممتاز. انني اجهل سبب دهشتنا لاجتماع الذكاء والجمال في فتاة واحدة. ولعل ذلك وجه آخر من الأفكار التي تغذونها انتم معشر الرجال فينا نحن النساء.

ـ لا اعتراض لي على قولك يا سيدتي العزيزة، خصوصاً وان امامي على طاولة العشاء ثلاثة امثلة تدحض ذلك الرأي البالي.

ـ احسنت! ما ادق تعبيرك!

رفعت ادريان في تلك اللحظة عينيها عن الطاولة لتواجه نظرة الكراهية في عيني فيرا. فتملكها الاشمئزاز وتساءلت إلامَ تتحمل غيرة النساء وحسدهن وهي التي تحملت ما فيه الكفاية من غطرسة ليندا وأذاها؟ اما غرانت، فتطلع الى رأسها الجميل بينما غرق في التفكير. ثم قال:

ـ لماذا لا تدلين بدلوك يا آنسة برنت؟ فالحقيقة اني تهيأت لسماع تعليقك.

تخلصت ادريان من انقباضها وأجابت بلهجة جدية:

ـ احسب اننا نحن النساء نفاخر بزينتنا وحسننا كجزء من مسؤوليتنا تجاه انفسنا. وبعد ان سمح الرجل المتسلط لاتباعه من النساء بتلقي

العلم، وجد نفسه مضطراً للاقرار ببراعتهن العقلية، لذلك اصبح الجمال والذكاء قاعدة لا استثناء، ولطالما اظهر الرجل حيرة وارتباكاً تجاه الجنس الآخر.

حاول غرانت جهده الا يضحك وهو يعلق على ما تحوّل من ملاحظة عابرة الى نقاش تاريخي اجتماعي:

- لا استغرب موقفك يا آنسة برنت، انما توقعت ان تكوني متحمسة لتحرير المرأة، وان تكوني احدى النساء اللواتي يؤكدن على ضرورة معاملتهن تماماً كالرجال على اساس ان لا فوارق بين الجنسين.

- لست وحدك الذي تدرك هذا الأمر يا سيد مانتغ. ولعلك توافقني في القول ان المساواة بين الجنسين هدف متعب وغامض.

- ليس متعباً فحسب وانما مليء بالاحباط. فأنا احب المرأة المرأة، لا المرأة التي تنتحل شخصية الرجل. وأفضل أن اوفر المعيشة للمرأة على ان تنتزع مني دوري في لعبة الحياة. لا شك يا آنسة برنت ان قوة المرأة العظمى تتمثل في ضعفها.

- لعلني اشاطرك الرأي يا سيد مانتغ خصوصاً بعد أن تفضلت وافهمتني موقفك. لكن من الواضح ان علاقة الرجل بالمرأة ظلت في اطار لعبة: اخضعي لأنتصر عليك.

ابتسمت ادريان للسيدة مانتغ التي استمتعت بالمحادثة، وعقدت جبينها عند سماعها عبارة ادريان الأخيرة، وعلقت:

- اعتقد ان غرانت محق في بعض ما قاله. فأنا افضل ان اموء كالهرة على ان ازأر زئير الأسود. فالرجال هم افضل ما نحصل عليه من الحياة ولا مجال للتخلص منهم.

ردت ادريان مبتسمة:

- وهل افسحوا لنا المجال؟

تبرمت فيرا التي التزمت جانب الصمت من سير الحديث. فعلقت وقد بدت واثقة من حسنها:

- لا يسعني القول بأن الجمال مظهر عام كما تحاول الآنسة برنت ان تفهمنا.

عندئذ انبرت السيدة مانتغ للرد:

- صدقت، فالجمال الحقيقي نادر حتى لو كانت الملامح العذبة اساساً له. فالذكاء والفطنة والرقة والحنان والدفء ومحبة الآخرين هي من عناصر الجمال الأساسية.

ثم استقر بصر السيدة مانتغ على ادريان قبل أن تضيف:

- ونتيجة معرفتي الضئيلة بأدريان، يمكنني القول انها تتمتع بهذه الميزة.

علت الحمرة وجه ادريان وعجزت عن الرد في حين بلغ التوتر والغضب اشده في صوت فيرا وهي تقول:

- لا شك انك ستزيدينها غروراً يا سيدة مانتغ. الا تتصورين ان كريستوفر قد اشبعها اطراء وغزلاً؟

تشنج فم السيدة مانتغ فيما سددت نظراتها الى فيرا وأجابت مبتسمة:

- لا يخطىء الشباب في اطرائهم الفتيات الحسان.

تعاظم انزعاج ادريان. فتطلعت الى غرانت لتجد نظراته المليئة بالاعجاب موجهة نحوها. دفعت كوبها بارتباك. ثم استأذنت السيدة مانتغ بترتيب اسطواناتها العديدة وبذلك تحوّل الحديث الى موضوع أقل حساسية واثارة. وكشف غرانت سعة معرفته بالموسيقى، الأمر الذي فاجأ ادريان بعض الشيء. فسخر منها بقوله:

- ما الذي يدهشك يا آنسة برنت؟ الحقيقة اني اجد متسعاً من الوقت للتمتع بمباهج الحياة وفنونها.

ضحكت ادريان من سرعة ملاحظته وقالت:

- اكرر اعتذاري يا سيد مانتغ، فلست اعرف من يفضلك ذوقاً وتهذيباً. الا ان مظهرك يوحي بانك رجل قفار.

لم يعترض غرانت على ادعائها، في حين اكدت ضحته السيدة مانتغ بضحكتها العذبة. لكن فيرا هبت للدفاع عن حبيبها قائلة:

- لا يسعني ان افهم موقف الذين يمضون الوقت في سماع الموسيقى داخل منازلهم. فأنا اعشق الطبيعة والبراري واعتبر أي لحظة امضيها في المنزل بدون عمل مضيعة للوقت.

اضطرت السيدة مانتغ الى مواجهة فيرا وكبتت ضحكاتها لكنها أبقت على ابتسامتها المعبرة وهي تقول:

- من حقك التمسك برأيك هذا الذي يؤيدك فيه الكثيرون. الا اني

لست احدهم.

حينئذ تنبهت فيرا الى انها تمادت في تحدي عضو بارز من اسرة غرانت. فسارعت الى تصحيح موقفها بقولها:

ـ لا يمكن لأحد الادعاء بأنك تمضين وقتاً طويلاً داخل المنزل يا سيدة ماننغ. على اني آمل الا اكون قد ازعجتك بصراحتي وجرأتي.

ردت السيدة ماننغ باستخفاف:

ـ ليس ثمة ما يزعج يا فيرا لأن العالم لن يخلو ممن يعجبون بالموسيقى او يكرهونها. فهذا موقف شخصي. انت، على سبيل المثال، بارعة في الرياضة وكل النشاطات التي تجري خارج المنزل.

ثم التفتت السيدة ماننغ الى ادريان مضيفة:

ـ هل تعلمين يا ادريان ان فيرا بطلة في الفروسية تفوز بالجوائز الأولى في السباقات على صعيد استراليا؟

وهنا، عرضت فيرا على ادريان مساعدتها في دروس الركوب فقالت:

ـ سمعت انك تتمرنين على ركوب الخيل. اذن، بوسعي ان القنك بعض الدروس. فما رأيك ان نلتقي صباح الغد؟

فكرت ادريان ساخرة بأن فيرا تستطيع تلقينها بعض الدروس فعلاً! ابتسمت ابتسامة غامضة للفتاة وقد ابت ان تستغل عرضها المنطوي على نوايا مبيتة، فأخذت تبحث عن طريقة تخلصها من ذلك العرض عندما تدخلت السيدة ماننغ قائلة:

ـ عليكما الا تحسبا حساب الغد يا عزيزتي لأن ادريان ينبغي أن تحضر معي الى المدينة.

اقتنعت فيرا بقول السيدة ماننغ فتنفست ادريان الصعداء اذ لا يمكنها ان تسلم نفسها لعناية فيرا خصوصاً انها تحرز تقدماً في تمريناتها. كما انها لن تغدو بطلة في الفروسية حتى ولو تسنت لها كل فرص التدريب.

قصدت السيدة ماننغ بعد قليل قاعة الجلوس مصطحبة ادريان معها. تطلعت الأخيرة وراءها فرأت غرانت يجر كرسي فيرا نحوه. وأسفت اشد الأسف لأنه لم يرافقهما. الا انها سارعت الى توبيخ نفسها على هذا التفكير. فلماذا تحشر نفسها بين فيراوغرانت اذا كانت فيرا تريده على هذا النحو المجنون؟

جلست مع السيدة ماننغ تصغيان بشغف الى اسطوانة موسيقى كلاسيكية، ثم قطعت السيدة ماننغ احلامها أثناء سماع الموسيقى لتحدث ادريان:

ـ آمل الا ازعجك بما سأقوله يا عزيزتي لأني اقصد الخير لك. فأنت شابة، ولا زلت اذكر احاسيس الشباب. وعليه، لا تسمحي لغرانت بأن يدير رأسك حتى لو كان ذلك سهلاً عليه. فقد انتظرته فيرا طويلاً وأحسب انه ينوي الزواج منها علماً بانه يصعب التكهن بمواقف غرانت. اما انا، فلا احب تلك الفتاة على رغم انها امرأة ريفية من حيث منشئها، ومضيفة كريمة حين لا يتعلق الأمر بعواطفها. لا شك انك ادركت بحسك المرهف انها تكرهك. لذلك، ابتعدي عنها.

اغمضت ادريان عينيها بكآبة وغرقت في بحر الموسيقى. اما ربة المنزل، فأطلقت تنهيدة ارتياح ورددت:

ـ عظيم يا عزيزتي!

٤- خرجت للتنزه مع كريستوفر، ففاجأتهما عاصفة شديدة. وما ان بدأ الخوف يسيطر على أدريان حتى وصل غرانت لانقاذهما... عاد الى تأنيبها... وشعرت انها باتت تدرك معنى سلوك غرانت!

صممت ادريان على تنظيم البريد قبل انطلاقها الى المدينة فدخلت المكتب قبيل الثامنة والنصف من صباح اليوم التالي مرتدية تنورة داكنة الزرقة وبلوزة حريرية صفراء. وأملت ان يناسبها هذا النوع من الثياب الذي يلائم الفتيات العاملات. وفي حين لم تتنبه الى مدى تناسق قوامها الممشوق مع كافة أنواع الملابس، أدركت ان لون بلوزتها يزيد البريق في عينيها وشعرها الذي جمعته في ضفيرة سترت بها عنقها بناء على رغبة رب عملها. فكرت ان تقص شعرها اثناء وجودها في المدينة بغية رفعه عن كتفيها. ووجدت ان ذلك لا يغير شيئاً خصوصاً ان غرانت لا يأبه لشعرها.

لم تبدأ ادريان العمل الا عند الساعة التاسعة والربع، فوزعت البريد حزماً ثبتتها بملاقط معدنية. وعند التاسعة والنصف قصدت مكتب السيدة مانينغ التي بدت هذا الصباح في ثوبها البيج وقبعتها البيضاء سيدة المنطقة الأولى بدون منازع. وهكذا تذكرت ادريان انها مكشوفة الرأس فاضطربت، الا ان رفيقتها أثنت على ترتيبها بقولها:

ـ انك رائعة يا ادريان. هل أعددت كل شيء من دفاتر وأقلام وسواها؟

هزت ادريان رأسها ايجاباً، فاستأنفت السيدة مانينغ كلامها:

ـ فلنتطلق اذن يا عزيزتي. سيوصلنا احد العمال الى المدينة. سنرجع مع غرانت بعد الظهر.

تقدمتها الى المدخل الرئيسي ثم الى سيارة الستايشن الواقفة بانتظارهما. حيا السائق السيدة مانينغ باحترام فائق. ثم ابتسم لادريان. لم يتبادل الثلاثة الحديث في الطريق لانشغال السيدة مانينغ بشؤون الساعة. وفكرت

ادريان بالسائق مؤكدة انه شاب مشرد لا يتجاوز التاسعة عشرة من عمره. ولما التقت نظراتهما في مرآة السيارة ابتسمت له، فذهل وانحرف بالسيارة الى أقصى اليمين. هبت السيدة مانينغ توبخه مذعورة، ثم لم تلبث ان غرقت في تفكيرها ثانية. عندئذ تجنبت ادريان النظر اليه، وركزت بصرها على جانب الطريق.

وما هي سوى نصف ساعة حتى بلغوا مدينة كوريونغ، ومروا في شارعها الرئيسي المحاط بأشجار البهار والمكتظ بسيارات الستايشن وشاحنات الماشية. فوجئت ادريان بمساحة المدينة وحيويتها علماً انها مركز مقاطعة غنية تعتمد على بيع اصواف الأغنام.

رأت خارج مكتب البريد المركزي موقف سيارات مسيج يحمل لوحة برونزية تذكارية. وعلمت ادريان لاحقاً انه شُيّد تذكاراً للأخوين مانينغ اللذين أسهما في غنى المدينة والمنطقة المحيطة بها. وبعد ان ترجلت المرأتان من السيارة، ودّعت السيدة مانينغ السائق. ثم قطعتا الشارع المستحم بأشعة الشمس باتجاه مبنى حديث مزوّد بواجهة زجاجية تحمل لوحة تذكارية نقش عليها بحروف ذهبية: «قاعة مانينغ التذكارية».

خففت السيدة مانينغ سرعتها عند مدخل البناية واستدارت نحو ادريان متحدثة:

ـ لسنا نحن الذين أطلقنا هذا الاسم على المبنى علماً ان غرانت قد أسهم بالقسم الأكبر من المال اللازم لتشييده. وتجري فيه نشاطات مختلفة تتراوح بين حفلات الزفاف والاجتماعات السياسية.

دخلت المرأتان المبنى المكيّف وارتقتا بضع درجات أوصلتهما الى قاعة مخصصة لاجتماعات اللجان انبعثت منها جلبة حديث النساء الحاضرات اللواتي صمتن عندما أطلت السيدة مانينغ. حيّتهن رئيستهن وهي في طريقها الى المنصة تتبعها ادريان وقد تملكها الخوف الذي يعتري اي فتاة تشارك للمرة الأولى في الحفلات الاجتماعية. استهلت السيدة مانينغ الاجتماع بالقول:

ـ يسرني ايتها السيدات ان أقدم لكنّ مساعدتي المؤقتة الآنسة ادريان برنت المقيمة معنا في سارانغا والتي رافقتني لتدوين محضر الجلسة. كما أتمنى ان أسمع آراءكن بسرعة.

وقفت ادريان وابتسمت للسيدات المجتمعات، وتمنت لو تعرف مدى تأثيرها على هذا الجمع من سيدات الريف اللواتي قبلن السيدة ماننغ قائدة لهن. ولما توقعت ان تتناولها النساء في أحاديثهن هذا المساء، أملت ان تفوز برضاهن.

ولم تكد السيدة ماننغ تعلن عن انعقاد الجلسة حتى أخذ قلم مساعدتها يسابق ألسنة السيدات اللواتي أدلين بآراء محددة ومتعارضة أحياناً حول المشروع العزيز على قلوبهن وأفضل الطرق لجمع الأموال له. انتهى الاجتماع عند الواحدة، فوقفت السيدة ماننغ تحدث سيدة ذات ملامح جدية وحازمة. اما ادريان فتفحصت الملاحظات التي دونتها. ارتفعت فجأة عاصفة ضحك دفعت ادريان للتطلع الى مصدرها في آخر القاعة. لمحت غرانت يقف شامخاً وسط مجموعة من السيدات يجاملهن ويلاطفهن. علا الضحك ثانية، فاغتاظت ادريان. في تلك اللحظة حوّل غرانت بصره الى المنصة، وشاهد امارات الغضب بادية على سكرتيرته، فخفضت رأسها. انفصل غرانت عن محدثاته بلباقته المعهودة، ومشى الى مقدم القاعة حيث استوضحها عن سبب عبوسها. فأكدت انها لم تفطن الى سلوكها هذا. عندئذ تأملها متفحصاً وقال:

ـ لماذا تكذبين؟ كنت أراقبك.

أشاحت بوجهها بعيداً وقد اربكتها نظراته. ثم سألته بسرعة:

ـ هل سننطلق الى المنزل فوراً؟

ـ لماذا تسألين؟

ـ اريد ان أقص شعري.

ـ لماذا؟ لماذا بحق السماء؟

ترددت ادريان في جوابها وقد أدهشها عنف اعتراضه. ثم أوضحت:

ـ يخيل لي انه يزعجك.

ازدادت نبرته جفاء:

ـ لكنني أرى جمالا وأنوثة عظيمين في شعرك يا آنستي.

ـ لم أرغب في مجاملتك يا سيد ماننغ.

ـ اعتقد انك تقصدين ازعاجي من وراء كل ذلك. ولكن، هل يسعنا الاتفاق على ابقاء شعرك كما هو لأني ألفت منظره؟

تنفست عميقاً بينما ضحك متابعاً حديثه:

ـ اننا نختلف كثيراً. فما هو السبب؟

اسرعت السيدة ماننغ في محادثتها حتى لا تبقي غرانت منتظراً، وخاطبته شاكرة:

ـ لقد كانت ادريان مساعدة ممتازة يا غرانت. وأشكرك اذ سمحت لي باصطحابها.

التفت الى سكرتيرته ساخراً فيما كلّم زوجة عمه:

ـ أرى انها اسعد حالا معك يا سيدتي.

دافعت السيدة ماننغ عن رفيقتها بقولها:

ـ ادريان فتاة تنبض بالنشاط والحيوية. وعليه، لا يسعها الا ان تقاوم طغيانك.

هز رأسه في عياء مصطنع:

ـ لكما الله! اما أنا، فأتساءل اذا كانت احداكما مستعدة لمقاومة دعوتي الى الغداء؟

ابتسمت له السيدة ماننغ بمودة ووجدت ادريان نفسها تسترخي بالرغم من ثورتها الدائمة في حضرته. اما هو، فقادهما الى المطعم المجاور الذي كاد يخلو من الزبائن، الا ان الرواد القلائل عرفوا غرانت وزوجة عمه. وبعد ان أجلس رفيقتيه، قصد مجموعة من الزبائن الجالسين عند واجهة المطعم.

لم تكلف السيدة ماننغ نفسها عناء قراءة لائحة الأطعمة، واقترحت على ادريان تناول شيء من الشواء. فوافقت الأخيرة بدون تحفظ اذ شعرت ان غرانت قد قطع شهيتها. وعند عودته أكد انه يعرف ماذا سيأكلون، فقال:

ـ شيئاً من الشواء، أليس كذلك؟

علقت ادريان مبتسمة:

ـ احسب ان هذا قد حدث من قبل.

تطلعت السيدة ماننغ الى المطعم الصغير النظيف قائلة:

ـ اجل يا عزيزتي، فهذا هو الطبق الوحيد الذي يعجبني هنا.

تدخل غرانت موضحاً:

ـ تقصد زوجة عمي العزيزة ان تقول انهم لا يحسنون تحضير الشواء.

www.elromancia.com

ادركت ادريان صحة رأي رفيقتها عندما قدم الغداء. وأثناء الطعام قال غرانت:

- ارجو ان تتجولي يا هيلن مع ادريان بعد الغداء لشراء ثياب ركوب الخيل. اما انا فسأزور مكتب الشؤون الرعوية مدة ساعة مما يعطيكما وقتاً كافياً للتجوال.

قاطعته السيدة ماننغ قائلة:

- لم أنس هذا الأمر يا عزيزي.

بدا الاضطراب على ادريان اذ رددت:

- لكني لا أحمل سوى عشرة دولارات في حقيبتي يا سيدة ماننغ.

هزأ غرانت منها:

- يا للمسكينة! انها لا تحمل سوى عشرة دولارات!

- كف عن تعذيب الفتاة! لا تقلقي يا عزيزتي، فسوف تنظم حساباتك.

بادرت للقول:

- آه، ولكن...

قاطعها غرانت هامساً:

- اهدأي يا صغيرتي، فالمزرعة ستدفع ثمن ملابس الركوب.

بلعت ادريان ريقها وصمتت لعجزها عن مجادلته في أي حال. ضحك غرانت قائلا:

- من العيب فعلا ان أعذب الفتاة. لا تقلقي يا آنستي، فسوف ننظم حساباتنا بطريقة أخرى.

عندئذ تولت السيدة ماننغ زمام الحديث.

- لقد انتهينا من الغداء وبامكاننا الآن ان نذهب الى محلات كوربانز.

دفع غرانت الحساب وخرجوا من المطعم الى الشارع المشتعل بأشعة الشمس فاضطرت ادريان ان تضع نظارتيها الشمسيتين، فيما ودعها غرانت ملوحاً بيده وهو في طريقه الى وكالة شؤون المراعي المحلية.

عثرت ادريان على ما يناسبها من ملابس الركوب بسرعة، وأكدت للسيدة ماننغ ان قدها النحيل قد سهل عملية الشراء. ضحكت السيدة موافقة، ثم رددت وقد لاحت اطياف الذكرى في عينيها الزرقاوين:

- يسعني التأكيد بأنك شديدة الضمور يا عزيزتي، وكم أعجب من تجاسرك على ركوب الخيل، فأنا لم أجرؤ على ذلك لكوني نشأت وترعرعت في المدينة.

خرجت المرأتان الى الشارع بعد ان اشترتا كل ما احتاجتا اليه. لوّح غرانت بيده من سيارة مرسيدس فضية حاكى لونها لون عينيه ساعة الغضب، ثم ترجل من السيارة وفتح لهما الباب. ولما استقرت السيدة ماننغ في مجلسها على المقعد الخلفي طلبت الى غرانت ان يسلكوا الطريق الطويل حتى تتمكن ادريان من مشاهدة ما تبقى من ازهار الأكاسيا التي تأخر موسمها هذا العام بسبب الصقيع. رد مطمئناً:

- هذا ما كنت انوي فعله يا سيدتي العزيزة. هلا تفضلت بالجلوس الى جانبي يا ادريان؟

التقت عيناها المتقدتان شوقاً بعينيه فيما ساعدها في الجلوس على المقعد الأمامي المخصص لشخص واحد. ثم دار حول السيارة واحتل مقعد السائق. أدار محرك السيارة وأخرجها بمهارة من الموقف.

لم يكن الطريق الطويل سوى ممر ترابي واسع طوته السيارة بسهولة. وكانت تنتصب على جانبيها اشجار السنط البراقة وكأنها اعمدة كهربائية مزودة بمصابيح تنير الطريق. وقالت ادريان:

- ما اجمل هذه الأشجار! أذكر ان عربة احد بائعي الخضار والفاكهة في لندن كانت مصنوعة من قضبان اشجار السنط. الا ان اشجار هذه الفصيلة في انكلترا لا توازي اشجارنا خصباً وجمالا.

انحنت السيدة ماننغ على المقعد مستفسرة:

- هل زرت لندن يا عزيزتي؟

- اجل، فقد اصطحبني والدي معه في رحلة عمل منذ خمس سنوات.

استوضحها غرانت:

- كم كان عمرك آنذاك؟

- سبع عشرة سنة يا سيد ماننغ.

حوّل نظره عندئذ عن الطريق وركز عليها، فأربكها سلوكه الغريب. وللمرة الأخيرة اعترفت انها غارقة في حبه حتى أذنيها، وان حبه قد اخترقها حتى العظم. الا انها حمدت الله لأنه لم يعرف انها لا تنوي تسليمه قلبها.

أما السيدة مانغ، فقالت مستفسرة:

ـ لا شك ان هذه خبرة جيدة لشابة مثلك. فهل زرت أنحاء أخرى في اوروبا؟

ـ اجل. لقد قضينا ثلاثة أشهر نزور الأماكن السياحية. وبعد عودتنا الى استراليا بمدة قصيرة تزوج والدي من ليندا.

تشنّجت نبرة صوتها دون قصد منها. ولكن أحداً من رفيقيها لم يلاحظ ذلك.

تبادل غرانت الحديث مع ادريان، فتناول قصة بطل روماني قديم قص غصناً من احدى اشجار الحرج المظلم أمام بوابة الجحيم، واتخذ من الغصن الشبيه بقوس النشاب رمزاً لحظه السعيد. عند انتهائهما من الحديث، أوقف السيارة الى جانب الطريق وترجل منها. ثم قصد شجرة تسمى كوتامندرا وقطع منها غصناً يشبه القوس. وعاد الى السيارة يخاطب ادريان برقة ويراقبها بيقظة:

ـ هذا هو القوس!

تأملت أوراق الغصن الرقيقة المشتبكة في مجموعات زاهية الألوان وكادت دموعها تسيل. رفعت بصرها الى غرانت لتجده قريباً منها للغاية فصاحت:

ـ ما أجمله!

راقبت السيدة مانغ المشهد بقلق متعجبة الا يكون غرانت على دراية بتأثيره على فتاة لها احاسيس ادريان ومزاجها. وافترضت ان لا مفر من ايذاء المسكينة في نهاية المطاف، الأمر الذي تعارضه أشد المعارضة. ولم تنس ان فيرا أكدت في هذا الصباح بالذات عزمها هي وغرانت على اعلان خطوبتهما في المستقبل القرب. ولكن، لتذهب فيرا الى الجحيم! انها لن تحبها مهما فعلت. طلبت الى غرانت برقة:

ـ دعنا نكمل الطريق، ارجوك!

احتل مقعد السائق مجدداً. قاد السيارة فيما لفّهم الصمت. ولما وصلوا الى سارانغا، حملت ادريان الغصن المذهب معها الى غرفتها.

سافر غرانت في اليوم التالي الى سيدني لحضور معرض بيع بالات الصوف. وكانت سكرتيرته قد شاهدت طوال الاسبوع الماضي البالات

تشحن في عربات شحن صغيرة، وقد كتب على كل واحدة منها رقم المزرعة واسم مالكها. وتجري كتابة العبارتين ذاتهما في محطات التسليم.

كان يفترض ان يدوم المعرض ثلاثة او أربعة ايام وتوقعت ادريان ان يطلب رب عملها خلالها افضل سعر لأصوافه نظراً الى حاجته الماسة الى المال للايفاء بالتزاماته. ولما لم تكن تعرف شيئاً واضحاً عن معارض بيع الصوف التي تستوعب اكثر من ٩٠ في المئة من انتاج الصوف الاسترالي، قررت اجراء دراسة للموضوع اثناء غياب مديرها. اعتمدت في دراستها على المقالات العديدة التي ألّفها غرانت- عضو المجلس الوطني للأصواف- في مواضيع تحسين انواع الصوف واختبارها وتسويقها وعلى الرسائل العديدة التي تلقاها من مؤسسات الصناعات الصوفية.

دخلت المكتب لتجد على الطاولة رسالة موجهة من غرانت اليها. وأبرزت كتابته المتميزة بالثبات والوضوح والاندفاع والثقة معالم شخصيته البارزة والمليئة بالنشاط والدقة والخيال. ولما وجدت نفسها تبتسم ازاء الرسالة، قطبت جبينها مستغربة سذاجتها. اذا كانت الأن تبتسم لكتابة الرجل وخط يده، فماذا تفعل غداً؟

حوّلت بصرها ثانية الى المكتب حيث ترك لها غرانت مواد كثيرة يجب ضربها على الآلة الكاتبة. لقد توقع بلا شك ان تكون جاهزة عند عودته. جلست الى الآلة الا انها غرقت في أحلام يقظتها، وتساءلت كيف سيقضي أمسياته في سيدني. من المؤكد ان قامته المديدة وبشرته السمراء وقسماته الوسيمة ستجعل منه رفيقاً يفخر به. لم تلبث ان هزت رأسها بعصبية وأدخلت الورقة في الآلة.

حضرت السيدة مانغ الى المكتب في وقت الغداء، ودعت ادريان الى مشاركتها سندويشات الدجاج التي أعدتها السيدة فورد. أصابت ادريان اذ رأت ان السيدة مانغ تشكو من الوحدة احياناً، وانها ارتاحت الى رفقتها. لقد سهل على المرأتين الخوض في أي حديث بحرّية.

أخبرتها السيدة مانغ ان فيرا طارت مع غرانت طمعاً بالاستمتاع بالرحلة والأضواء. فهمت ادريان ان رفيقتها لا تنصح اي فتاة عاقلة بالتعرض لفيرا وخصوصياتها، وان كانت هي لا تطيق الفتاة، وتستغرب تعامي غرانت عن مساوىء فيرا التي لا تظهر سوى الرقة والعذوبة في

حضرته.

رن جرس الهاتف بعد الظهر، فردت ادريان على المكالمة. أتاها صوت كريستوفر من الطرف الآخر يجاملها ويلاطفها. سلمت السماعة من ثم الى السيدة ماننغ التي عادت الى قاعة الجلوس بعد ربع ساعة وأعلنت انها دعت ماريون وكريستوفر لقضاء عطلة الاسبوع معها في سارانغا. ثم أضافت:

- اني قلقة على ماريون. فقد جعلت كريستوفر محور حياتها، وهذا خطر على سيدة موهوبة وجذابة مثلها. لا بد لكريستوفر ان يتزوج، فماذا سيحل بها عندئذ؟

حاولت ادريان ان تغير وجهة الحديث قليلا:

- اذكر ان كريستوفر اخبرني قصة وفاة والده. يا لها من مأساة!

- انها كذلك يا عزيزتي. ما أكثر المآسي التي حلت بأسرتنا وأقاربنا!

لاحظت نبرة الحزن تطغى على صوت محدثتها الآن وبعد مرور سنوات عديدة على الحادث المفجع، واحتارت كيف تعزيها. الخسارة جسيمة ولا يمكن تعويضها. لذلك خفضت رأسها، وركزت اهتمامها على الاسطوانات. الا ان السيدة ماننغ استدركت قائلة:

- لا يمكننا يا عزيزتي ان نعيش على الذكريات والآلام. من هنا، افترض ان ماريون ستذهب الى سيدني للعيش هناك مع شقيقتها بعد ان يتزوج كريستوفر. هذا ما سأفعله انا ايضا عندما يتزوج غرانت.

تلقت ادريان الجملة الأخيرة بصمت شديد اذ ان مجرد التفكير بأن غرانت سيتزوج كان كافياً لارباكها وضعضعتها. قررت تغيير الموضوع ثانية:

- هناك شبه كبير بين غرانت والسيدة هارنغتون، أليس كذلك؟

- اجل يا عزيزتي، خصوصاً في لون الشعر والعينين. الأهم من ذلك ان غرانت يحب عمته كثيراً وهي تحبه. كما انه يعتني بها وبكريستوفر. والحمدلله ان كريستوفر رجل نبيل المشاعر غيور.

ضحكت ادريان لأن كريستوفر لم يكن يتسم بنبل للشاعر والغيرة فحسب، بل بالبراءة والاندفاع ايضا. انتقلت عدوى الضحك الى السيدة ماننغ. عندئذ استأنفت ادريان ترتيب الاسطوانات، فيما غرقت المرأتان في

صمت مريح تخللته محادثات هادئة وانتهت الأمسية الحلوة عند الساعة العاشرة.

بدأت ادريان في صباح اليوم التالي مهامها بالتدرب على ركوب الخيل. امضت بعد ذلك ساعتين في ترتيب مجموعة السيدة ماننغ الضخمة من الاسطوانات. انتقلت من ثم الى تنظيم الملفات والأوراق في المكتب. حل الظهر قبل ان تحرز تقدماً فعلياً. وكانت تتطلع في الوقت نفسه الى عملية قص الورد من الحديقة عند الغروب، التي كلفتها بها السيدة ماننغ.

خرجت في تمام الخامسة والنصف مساء الى الحديقة الممتدة على جانبي الطريق الموصل الى مسكن سارانغا حاملة مقصاً وسلة كبيرة. ولم تلبث ان ملأت السلة بالأزهار والسراخس، فازدهت بالألوان الصاخبة. حينذاك عبرت القنطرة ذات الباب الابيض الى باحة خلفية مصوّنة جُعلت روضة للورود المتماوجة مع نسيم المساء.

انتشت من روعة المنظر، فقطعت كثيراً من الورود الصفراء والحمراء القرمزية والقرنفلية وأضافت اليها بفرح كبير عدداً وافراً من الورود البيضاء. انها تعشق اللون الأبيض وترتاح اليه. لم تنته من عملها قبل ان يحل الغروب وتزول حمرة الشفق.

سارت الهوينا باتجاه البيت الى ان لمحت السيدة ماننغ متكئة على الدرابزين الحديدي، فحثت السير بينما قالت الأخيرة:

- ما اروع ورودك! سأترك لك حرية ترتيبها لعلمي انك فنانة بارعة.

- سأبذل قصارى جهدي. ولكن، هل يمكنني وضع الورود البيضاء في غرفتي؟

- طبعاً يا عزيزتي. اما الآن فاسرعي لأن ماريون وكريستوفر سيصلان بعد قليل لتناول العشاء معنا.

اتجهت ادريان الى المطبخ حيث استأذنت السيدة فورد باستعمال أحد المقاعد الخشبية الشاغرة. اختارت عدداً من الأوعية المناسبة لحفظ الأزهار ومنها غلاية برونزية ضخمة احضرت من مراكش. ووجدت السيدة فورد نفسها تنشغل عن تحضير العشاء بمراقبة ادريان وهي ترتب الأزهار، وعلقت بفرح:

- يا لبراعتك في تنسيق الأزهار!

- يسعدني ان يكون هذا رأيك يا سيدة فورد.

- يخيل الي ان أزهارك قد نمت في أوعيتها. أما أزهاري فتبدو مشتاقة للعودة الى حديقتها.

- سوف أنقل الورود والأزهار الى القاعة الآن. ثم أذهب لتبديل ملابسي.

ولما بلغت الباب استدارت اليها قائلة:

- لا يحسن احد الطهي مثلك. لا شك ان وزني سيزيد نتيجة لذلك.

- هذا لطف منك يا عزيزتي. كم أقدّر فيك تذوقك للطعام الشهي.

ضحكت ادريان وغابت مع حملها العطر عن الأنظار.

وفور مباشرتها ارتداء ملابسها سمعت صوت بوق سيارة كريستوفر. فنظرت من غرفتها ورأت امه تخفق في سعيها لايقافه عن استخدام (الزمور). ضحكت بينها وبين نفسها، ورفعت سحاب ثوبها الأزرق المزركش من وسطه الى العنق، ثم خرجت مسرعة لاستقبالهم.

استطاعت ان تسمع المرأتين تقهقهان وهي في طريقها الى البهو. وافترضت انهما تضحكان على ملاحظات كريستوفر الجريئة والذي قادها الى البهو وهو يقول مبتسماً:

- جميعنا ننتظرك ايتها الفاتنة! ألا توافقني السيدتان على القول ان جمال ادريان ملفت للأنظار؟

علقت ماريون ضاحكة:

- أنصحك يا عزيزتي ألا تتأخري عن اسكات ابني الطائش في كل مناسبة يغازلك فيها.

سرّ الجميع بتقديم العشاء، وتحدثوا مرحين فيما تناولوا حساء الهليون والدجاج المحمّر والفطائر المحشوة بقطع الأناناس والمغموسة في عصير المشمش. قال كريستوفر وهو يلتهم طبقاً آخر من الحلوى:

- يا للسيدة فورد! ما أمهرها!

- مسكين انت يا كريستوفر! يبدو انك لا تأكل أبداً في منزلك.

الواقع انه أظهر كل دليل على صدق ما قالته والدته. ولما أحضرت الطاهية العشاء بالغ في اطرائها على صنيعها. الا انها اكتفت بالابتسام لوالدته لأنها لم تكن تكثر من الكلام.

مر الوقت سريعاً، ولم ينم أي من الأربعة قبل منتصف الليل. استلقت ادريان تراقب التغيرات في ضوء القمر المتسرب الى غرفتها وهي تفكر بالجدية التي ظهرت على كريستوفر وهو يعدها بالذهاب في رحلة في اليوم التالي. كان النور في الردهة ينعكس على شعره، ولم تتمكن من رؤية عينيه. وكانت تعلم، بالطبع، ان عليها ان لا تحول صداقتها البريئة الى علاقة حب فعلية.

طلع الصبح على سارانغا مشرقاً صافياً، وبعد الفطور توجه كريستوفر الى المطبخ ليتفحص استعدادات وتموينات السيدة فورد للرحلة الموعودة.

كان الجو مناسباً للرحلة مع انه ينذر بهبوب عاصفة. الا ان كريستوفر امل الا يحدث ذلك، وتوقع ان يرجعا قبل العاصفة بوقت طويل.

انطلقا عند العاشرة والنصف بعد ان فتح لهما احد العمال- روبي- بوابة المزرعة ابتسمت له ادريان وتحدث معه كريستوفر قليلا. انهما يعرفان بعضهما جيداً على ما يبدو.

لم تقد ادريان غما التي عرفت وحدها كيف تلحق بحصان كريستوفر مقلدة سيره. تنفّسا رائحة الصباح الزكية وهما يجتازان حديقة التفاح ويراقبان الصقور تندفع في ذهاب وايابٍ في سماء زرقاء صافية غير محدودة. اكتفى كل منهما بالابتسام للآخر بين الفينة والفينة، واستدار كريستوفر كل بضع دقائق ليشير الى شيء يثير اهتمام ادريان. الا انهما حافظا على صمتهما معظم الوقت وتمتعا بصفاء الجو. اما الغربان فظهرت بوفرة هذا الصباح وأكثرت من نعيقها المزعج.

عبرا بعد ساعة من السير عدداً كبيراً من البوابات، ووصلا اخيراً الى سفح تل صغير شديد الانحدار مليء بالصخور الضخمة. سألته ادريان:

- كيف ندور حول هذا التل؟

- لن ندور، بل سنتسلقه.

- لكنه يقف كالجدار!

- دعك من الخوف.

ثم صاح بالجوادين. وقبل ان تدرك ماذا حدث، بدأت غما بصعود التل متسلقة سفحه بحذر شديد وهي تتجنب الصخور الى ان بلغوا القمة.

لم تكد ادريان تصدق انها وصلت الى القمة، كما لم تتخيل طريقة

الهبوط. لكن المنظر فاتن. مسكن سارانغا وقلب مزرعة الأغنام يقعان وسط واد تحرسه جبال ضخمة كثيفة الاحراج. أغنام المارينوس ذات الصوف الأبيض الطويل تنتشر في السهول ترعى البرسيم الأخضر الطري. الأفراس وافلاؤها تجري وتثب على الأشجار في مملكتها الصغيرة الجميلة الوفيرة الأغنام. بعض الغيوم تظهر ثم لا تلبث ان تندفع بعيداً لتستقر فوق الجبال المغطاة بنبات العائق.

كان المنظر ساحراً حقاً، مراع تستحم بأشعة الشمس المذهبة وزيزان تقفز في الهواء وتغني جذلة.

أخذ المشهد منها كل مأخذ، فاستدارت نحو كريستوفر قائلة:

ـ ما اروع المنظر! كم أشكرك لأنك احضرتني الى هذا المكان.

ـ انه رائع فعلا.

ابتسم لها ثم ثبّت قبعته على رأسه وبدأ عملية الهبوط. عند سفح التل الآخر غمرت ادريان ازهار الاوكالبتوس المستعملة لصنع العقاقير. اتبع كريستوفر ممراً قادهما بين الأشجار التي تناثرت ازهارها عليهما حتى بلغا فم الوادي حيث أوضح:

ـ هنا، سنترجل عن الحصانين.

أدار جواده، وساعد رفيقته على الترجل معلّقاً:

ـ الطريق صعب. لذا ينبغي ان نقطعه سيراً على الأقدام. سوف أربط الحصانين هنا.

راقبته ادريان ينفذ ما وعد به. ضربت الأرض المعشوشبة بحذائها وتطلعت حولها جذلة. رائحة الهواء زكية كالبخور في هذه الفسحة داخل الغابة، تلفها باخضرارها اللطيف وتنعشها بعد التعرض لحر الشمس وقيظها. انها تسمع خرير الماء يتدفق في الجدول الجاري تحت الأشجار موفراً تربة خصبة للسراخس والنباتات الأخرى ومكثراً من رطوبة الأرض. اما الشمس التي لم تتسرب الى تلك البقعة، فكانت تسطع احياناً على الأوراق المبللة بالندى وتجعلها تتلألأ كالذهب.

رجع كريستوفر اليها وأمسك ذراعها مشيراً بيده الأخرى الى ممر صعب وهو يردد:

ـ اتبعيني حتى ننزل الى هناك.

ـ اين تريدنا ان نذهب يا كريستوفر؟

وضع يده على فمها ليسكتها وأوضح قائلا:

ـ اسكتي! لا نريد ان نجفل صديقنا.

صمتت ادريان، اما كريستوفر فوجد مُتّكأً مغطى بالسرخس، وأعد لهما مكاناً قائلا:

ـ استريحي في مجلسك لأننا قد نطيل المكوث هنا.

تمدد فحذت هي حذوه اذ احست بالسكينة والهدوء في هذه الفسحة الوارفة حيث الشمس تغمر بعض الأماكن، والثمار الناضجة تتساقط من حين الى آخر. لم يلبث ان نهض مستنداً على كوعيه، ونظر الى وجهها الفاتن. فلما أدرك انها لم تنتبه اليه، استلقى ثانية على ظهره منتظراً.

مرت نصف ساعة قبل ان تمزق حجب الفضاء صيحة طاووس حادة أمال معها كريستوفر الأغصان فانحنت ادريان الى الأمام مستندة على ذراعه لترى الطائر ينعق ويختال متخذاً من البقعة الخضراء مسرحاً له. سرعان ما غبر لحنه بسحر ساحر، وتقدم الى وسط الفسحة كما لو انه عرف بوجود جمهور. عندئذ رفع ذيله ذا الريش اللماع، فطغى جماله وتألقه على ظلمة المكان، وزهت ألوانه الزرقاء والخضراء والذهبية والبنية البراقة. راقباه بصمت وهو يسترسل في شدوه العذب الشجي. الا ان ادريان لم تتمالك نفسها من القول:

ـ آه يا كريستوفر! أولسنا محظوظين؟

تخلى الطاووس للحال عن وقفته الملكية وتراجع الى الغابة بعد ان انقلب عصفوراً صغيراً، نهض كريستوفر ومد يده الى ادريان ليساعدها على الوقوف. وقفت ونظّفت ثيابها المغطاة بالقش والأوراق والأغصان الصغيرة، ثم تراجعا الى حيث ربطا جواديهما وقد تقدم كريستوفر مسيرة العودة قائلا:

ـ سنتناول غداءنا عند سفح التل التالي.

انطلقا يكملان نزهتهما، وأبقت رأسها مكشوفاً بعض الوقت. لكنها سرعان ما أثبتت قبعتها فوقه نظراً الى حدة الشمس وحرّها. سُرّت لرؤية حيوانات الكونغرو الصغيرة ترعى في فسحات الغابات وتقفز فوق الشجيرات. سألت رفيقها:

ـ أولا تخاف الأغنام من حيوانات الكونغرو؟

ردّ مشيراً الى أم كونغرو تحمل صغيرها في جرابها:

ـ كلا بالطبع. ان حيوان الكونغرو جميل ووادع. الا انك لا تتصورين مدى الخراب الذي قد يتسبب فيه احياناً. في أي حال اني اكره اصطياد هذه الحيوانات. لكن دعينا من هذا الحديث.

شد اذذاك لجام حصانه ودفعه الى العدو. عندما بلغ أعلى التل خلع قبعته وأخذ يلوّح بها في الهواء مطلقاً صيحات غريبة. ضحكت وأكملت طريقها نحوه، فانحنى العشب تحت اقدام غما. لكنها لم تشعر بحاجة الى اطلاعه على تشجنها وتعبها حتى لا تؤكد له انها ابنة المدينة حقاً. لذلك أفلتت رجليها من الركاب في مهارة فضحك وقال ساخراً:

ـ أراهن انك متعبة.

ـ لا تقل ان التعب باد عليّ. منذ لحظات هنأت نفسي لأني لم أتعب.

ـ لا شك انك تشعرين ببعض التقلص. لا تقلقي لأن ذلك سيزول بسرعة. في أي حال، أهنئك على تقدمك الملحوظ.

ثم انطرح أرضاً وهو يئن:

ـ يا الهي، كم أنا جائع!

ـ من المؤكد ان والدتك تتعب من اطعامك باستمرار.

أجاب ببطء وهو يغطي عينيه بقبعته:

ـ انني شاب يا ادريان. في أي حال، ما هو زادنا؟

فرشت ادريان الجائعة ايضا حزمة الاطعمة التي زودتها بها السيدة فورد. كان فيها مفرش من البلاستيك وبيض مسلوق ودجاج وبندورة وخسة طرية وبطاطا وزيت وحامض وتوابل وخبز وفواكه علاوة على اناء حافظ للحرارة (ترموس) مملوء بمادة سائلة. سأل كريستوفر:

ـ ماذا في الاناء؟ آمل ألا يكون السائل قهوة لأنها شديدة السخونة.

رفعت ادريان الغطاء وقالت:

ـ لا شك اننا محظوظان. انه عصير تفاح.

عصير تفاح! يا لحظي التعيس!

اوضحت ضاحكة:

ـ آسفة. أظن ان السائل ليموناضة.

مد يده الى الأكواب الورقية قائلا:

ـ سأشرب بعضه.

وضعت الأطعمة على الغطاء البلاستيكي، وأعطته حصته الضخمة فعلّق قائلا:

ـ هذه هي الحياة يا عزيزتي. كوب ليموناضة وحصان ونحن معاً في البرية. اني أتعجب كيف يمضي المساكين وقتهم الآن في المنزل.

ضحكت واتكأت على جذع شجرة الصمغية، ثم سألته:

ـ في أي مدرسة تعلمت؟

اتجه نحو الحصانين ثم عاد يحمل بساطاً صغيراً لفه وألقاه على جذع الشجرة. قال:

ـ اسندي ظهرك على هذا البساط. الحقيقة اني تعلمت الكثير في اليومين الماضيين.

ضحكت ثانية وقالت:

ـ كفاك مزاحاً. أين تعلمت؟

ذكر مدرسة خاصة معروفة، وغرقا في حديث عن أيام الدراسة الحلوة. بعد الغداء أثقل النعاس والحر جفونهما فأغفيا برهة في ظل الأشجار. استيقظت بعد ثلث ساعة لتجد انها قد استعادت عافيتها ورأت رفيقها يحل الحصانين فسألته:

ـ كيف عرفت اني سأستيقظ في هذه اللحظة؟

ـ كنت أراقبك.

ـ لا يليق بك ان تفعل ذلك.

ـ ماذا؟

ـ مراقبة الناس وهم نيام.

ـ ولم لا؟ هيا اركبي حصانك.

أمسك الركاب بينما وجدت نفسها تقفز فوق السرج وقد أحست أن وقاحتها تتزايد. اما هو فنبهها بقوله:

ـ لا حاجة بك للتباهي ولفت الأنظار.

التمعت عيناها تحت حافة قبعتها العريضة وعقّبت بقولها:

ـ انك تعبّر عما يجول في خاطري.

أطلق تنهيدة عميقة وردد:

- يا الهي!

- ماذا هنالك يا كريستوفر؟

- لا شيء. لا تقلقي يا عزيزتي.

سارا للحال ثم سألها:

- هل تظنين ان باستطاعتك العيش هنا يا ادريان؟

- لم أفكر في الأمر حتى الآن يا كريستوفر.

- اعتقد ان بنات المدن يسأمن الريف لشدة هدوئه.

- لا أشاطرك الرأي في ذلك. ان الريف جميل، وثمة أمور كثيرة ينبغي ان تعمل في المزرعة.

- هذا صحيح. الا انني أقصد في حديثي نواحي الترفيه والتسلية.

- صحيح اني احب ارتداء الثياب الأنيقة وحضور الحفلات والسهرات بين آونة وأخرى، لكني لست اجتماعية بكل معنى الكلمة.

- لا يبدو انك فتاة لعوب. الا ان جمالك يساعدك على الظهور بهذا المظهر.

- كف عن مجاملاتك والا اوقعتني عن ظهر المهرة.

رمقها بنظرة حنو وغرق في صمت انيس. لاحت في البعيد سحابة غبار تتجه صوبهما، فصاحت:

- قف يا كريستوفر.

- ليس الآن يا عزيزتي، فانك تلمحين الطريق الممتد هنالك. لا شك ان هذه سيارة ولعلها تخص آل دونالدسون.

أوقفا جواديهما بجانب الطريق، فخفف السائق سرعته الى ان توقف امامهما. مدت السائقة وجهها الجميل من النافذة، غير ان الابتسامة فارقت محياها عندما شاهدت ادريان، ونادت كريستوفر قائلة:

- كيف حالك يا كريستوفر؟

- على ما يرام يا تامي. أين كنت؟ ادريان، هذه هي تامي دونالدسون. وهذه هي ادريان، سكرتيرة غرانت.

رحبت تامي بادريان قائلة:

- اخبرتني والدتي انك دونت محضر الجلسة للسيدة مانتغ، والحقيقة انها

لم تبالغ في وصفك.

لم يخف على ادريان تفرّس الفتاة في وجهها. الا انها أجابتها بلطف:

- اشكرك يا تامي.

عادت تنظر الى كريستوفر وقالت:

- رافقت رينيه الحامل الى المدينة. متى ستزورنا؟

- أذكر جنينها أم أنثى؟

رفعت يدها عن مسكة الباب، وصاحت متضايقة:

- زرنا، واحضر الآنسة برنت معك اذا كانت ترغب في ذلك.

لوحت بيدها مودعة ثم قادت سيارتها ببطء كي لا تثير عاصفة من الغبار فيما راقبت ادريان وكريستوفر السيارة تختفي عن انظارهما. قالت ادريان:

- انها معجبة بك.

هذا واضح بالرغم من تجاهل كريستوفر للفتاة واعتبارها مجرد زميلة سابقة رافقته على مقاعد الدراسة. مع ذلك لم تجد ادريان ضيراً في الاشارة الى الأمر. اما هو فأجابها وقد غرق في التفكير:

- انك لا شك تمزحين.

ابتسمت بينها وبين نفسها اذ أدركت ان الفكرة لم ترقه. تابعا سيرهما فأشار كريستوفر الى معالم سارانغا المختلفة، وشجع رفيقته على السماح لـ غما بالعدو. قبلت نصيحته لأنها كانت قد ألفت حركة المهرة وتعاظمت ثقتها بنفسها. أوقف الحصان بعد قليل وقال:

- فلنشرب بعض الليموناضة.

قدمت له كوباً مليئاً فشربه بنهم. قالت بقلق:

- أظن انه من الخير ان ننطلق، فأنا أرى غيوماً تنذر بهبوب عاصفة شديدة.

- وهو كذلك. الحقيقة اني راقبتك اكثر مما راقبت الغيوم.

ساعدها على امتطاء السرج، ولدى اجتيازهما التل تملكها شيء من الخوف لأنها لم تعرف مدى المسافة التي قطعاها لعظم متعتها. لكن الطريق أمامهما كانت طويلة والغيوم المتلبدة تتهدّدهما بالمطر. سارا صامتين وفي أقل من نصف ساعة تردد قصف الرعد حولهما. رفعت غما رأسها وأخذت تتبرم، فقال كريستوفر:

ـ آسف يا عزيزتي. لا شك ان العاصفة ستداهمنا.

تكلم بأسف شديد جعلها تضحك وتجيبه:

ـ لا بأس عليّ. هذه ليست المرة الأولى التي أتعرّض فيها لعاصفة رعدية. ولكن، ماذا عن الجوادين؟

ـ لا بأس عليهما. الا اني قلق عليك.

أضاء البرق الصيفي العنيف السماء قبل ان ينزل المطر نقطاً كبيرة متفرقة بادىء الأمر ثم تحولت شآبيب غزيرة، فسيطر الخوف على ادريان بالرغم من محاولاتها العديدة للتخلص من ذلك الشعور. فلقد جعل البرق المخيف عضلات المهرة تتصلب وتنتفخ على نحو ينذر بتمردها. لذا لم تعتقد ادريان ان بامكانها السيطرة عليها وصاحت:

ـ هل يسعنا ان نجد للمهرة ملجأ يا كريستوفر؟

ـ كلا. لا نستطيع الاقتراب من الأشجار والبرق على حاله.

تأملا بعضهما عبر حواجز المطر الكثيف على ضوء البرق المتماوج فوق رأسيهما، وعجزا عن فعل أي شيء. قالت:

ـ كان بودي ان أضحك.

ـ سنذهب الى الطريق.

امسك بلجام غما وأدارها نحو الطريق. وعندما بلغا الشارع كانت ذروة العاصفة قد ولت، فتقطع البرق وخف المطر. لم يلبثا ان سمعا هدير سيارة فرفعا رأسيهما ليتفحصا الدرب. صاح:

ـ جاءنا الخلاص! لا شك ان غرانت قد عاد وأسرع الينا في سيارة اللاندروفر.

كان غرانت هو القادم بالفعل. ترجل من سيارته طويلا اسمر عابساً وصرخ في وجه كريستوفر:

ـ امسك هذا المشمع. ظننتك أذكى من ذلك.

ثم استدار نحو ادريان ورفعها عن السرج بسرعة، فتمايلت بين ذراعيه اللتين طوقتاها بثبات. اما كريستوفر فارتدى المشمع الواقي من المطر، وغطى رأسه بالقبعة. ثم أوضح بلطف:

ـ خذ الحصانين الى الاصطبل.

انطلق بهما عبر الحقول فيما أدخل غرانت الفتاة المبتلة الى سيارة

اللاندروفر وقد لفها ببساط خفيف الوزن وأجلسها على المقعد الأمامي، ثم دخل السيارة وفتح النافذة.

كان الجو داخل السيارة دافئاً وحميماً، فتمنت لو انها تعيش كذلك الى الأبد.

تفحصها وسألها بحدة:

ـ أوليست لديك ذرة من التفكير والاحساس؟

ـ لست أفهم قصدك. لقد كانت رحلة ممتعة.

تأمل ثغرها وشفتيها اللتين زال عنهما احمر الشفاه قبل وقت طويل، فاحمرت خجلا وصاحت:

ـ لست أعني هذا النوع من المتعة.

عقّب بجفاء:

ـ يسرني ان أسمع ذلك.

مد يده الى المقعد الخلفي وسحب عنه منشفة فاخرة محاكة من خيوط فيروزية مطرزة بورود بيضاء وزرقاء. غطت ادريان رأسها بها ثم انفجرت ضاحكة وهي تقول:

ـ أهذه منشفتك يا غرانت؟

استدار ليتأملها بصمت. لقد التمعت حبات المطر على بشرتها كاللآلىء، وحوّلت زرقة المنشفة لون عينيها المتقدتين أسود قاتماً. أخرسها صمته فكفت عن الضحك. عندئذ صفعها على خدها فصاحت وهي تستر وجنتها المتألمة بيدها:

ـ أوه! لماذا تضربني؟

أطلق العنان لسيارته ثم أجاب موبخاً:

ـ لأنك وافقت على النزهة تحت المطر.

رفعت المنشفة عن رأسها لتجففه قبل ان تستدير نحوه قائلة:

ـ عدت أبكر مما كنا نتوقع.

ـ اصمتي يا بنيتي، والا اربكتني واخرجتني عن طريقي.

سكتت وهي تفكر. يخرج عن الطريق! كيف يحدث ذلك؟ لقد توقف المطر. كما انه سائق ماهر. انتقلت الى أقصى يمين اللاندروفر وأشاحت بنظرها بعيداً. هل لاحظت فعلا ام تخيلت الخوف الشديد على محياه؟ رأت

على مقربة من المنزل شجرة ضخمة مشطورة نصفين وملقاة على الأرض. عندما بلغا البيت، أرسلها أمامه قائلا:

- خذي حماماً ساخناً، وجففي شعرك تجفيفاً صحيحاً.

صعدت السلم عدواً لتلتقي السيدة مانغ وماريون المنتظرتين في الردهة، فألقتا عليها التحية مرددتين:

- قلقنا عليكما كثيراً.

- أرجو المعذرة. في أي حال، أطمئنكما بأننا استمتعنا بيومنا للغاية. لا أستثني بقولي العاصفة. سيلحق كريستوفر بنا بعد ان يحضر الجوادين يا سيدة هارنغتون.

هنا صاح غرانت الذي تسلق السلم قفزاً:

- اسرعي يا ادريان!

أطاعت أمره فوراً. وحين مرت امام المرآة في غرفتها، رأت الحمرة تعلو محياها والحيوية تنبض في شرايينها بسبب غرانت، فاجتاحتها سعادة عارمة وحماسة عظيمة واضطراب فعلي. يا للجنون! ألم ينادها بلهجته المزعجة «يا بنيتي»؟ أدارت الماء الساخن وتنعّمت بحمامها.

ارتدت ثوباً قطنياً قشدي اللون مزيّناً بنقوش تمثل وروداً بيضاء، وكان أحد أثوابها القليلة المزودة بزنار شدته حول وسطها. ومالت للموافقة على قول والدها بأن لا شيء يبرز أنوثة الفتاة أكثر من خصر ضامر وتنورة تتموج مع الريح. اخرجت من أسفل الخزانة حذاء مصنوعاً من السيور انتعلته، وخرجت الى البهو حيث كان غرانت وماريون غارقين في محادثة حميمة ترددت في ان تقطعها عليهما. الا ان ماريون خاطبتها بشاعرية:

- آه يا ادريان! انك أشبه بزهرة بللها المطر.

مرت بضع ثوان قبل ان يعلق غرانت بجفاء:

- لكن شعرك ملفوف بشكل كعكة بحيث لا يسمح لنا ان نعرف اذا كان قد جف ام لا.

تقدمت الى وسط الغرفة لتعلمهما بجدية وهي تعطس:

- هل تعلمان اني لا أصاب بالزكام؟

انفجرت ماريون ضاحكة، وقالت:

- فليساعدك الله ان أصبت بالزكام لأن غرانت رجل متعسف يفرض

عليك الضرب على الآلة الكاتبة في أي ظرف كان.

رمقته ماريون بنظرة حانية ثم انحنت عليه تربت يده السمراء النحيلة. راقبته ادريان يبادل عمته حنوها بالمثل، ثم يتجه الى الخزانة وهو يسأل ادريان: ماذا تشربين؟

قدم لها الشراب الذي طلبته قائلا: اجسلي يا بنيتي. اجل! هذه هي الصورة التي رسمها لها.

ربتت ماريون على الأريكة الطويلة، فتوجهت ادريان نحوها وتنورتها تتمايل. لمست ماريون احدى ثنيات القماش وقالت:

- ما اجمل ثوبك يا عزيزتي! اني في أي حال لا احب الأثواب الفضفاضة لأنها تجعل من الصعب تحديد شكل من ترتديها.

عقب غرانت ببطء مبتسماً:

- لست من رأيك يا ماريون.

حولت ادريان بصرها اليه، فاذا هو يتفحصها. اشاحت بنظرها عنه وسألت رفيقتها:

- هل عاد كريستوفر يا سيدة هارنغتون؟

- اجل يا عزيزتي. ناديني ماريون من فضلك. اشعر اني عجوز هرمة عندما تناديني شابة صغيرة مثلك السيدة هارنغتون.

في هذه اللحظة دخلت السيدة مانغ البهو بأناقتها المعهودة. ابتسمت ادريان اذ خطرت لها فكرة مناداة السيدة الأولى باسمها «هيلن». هذا مستحيل لأنها سيدة سارانغا وتتمتع بكل ميزات السيدة الأولى. جلست السيدة مانغ على مقعد واسع، وقالت لأدريان:

- ارى ان المطر الذي بللك لم يزعجك، كما أرى ان كريستوفر كان سيغني لو تساهلنا معه. الواضح من كل ذلك ان المطر يوافقكم أنتم الشباب. في أي حال، اني أتشوق لوصول البيانو. ان ادريان تعزف عليه جيداً، وما اجمل ان يوجد في المنزل موسيقي مع آلته!

ابتسمت ادريان لمحدثتها واستأذنتها في تناول بعض الشراب لأسباب صحية. تناول غرانت الكوب منها وضغط على يدها بقوة. صاحت وهي تسحب اصبعها بسرعة:

- ما أقساك!

ملأ كوبها ثانية، وناولها اياه مردداً:
- لا اسمح لك بتناول كأس آخر.
سألت ماريون السيدة مانغ:
- متى تتوقعين ان يصل؟
- ما هو؟
- البيانو.
- لست ادري يا عزيزتي. اكتفيت بطلب ارساله الي.. لعل الأمر يستغرق بعض الوقت.
همت ماريون بسؤال ادريان عن المعهد الذي تدربت فيه على الموسيقى الا ان كريستوفر حال بينها وبين الكلام اذ دخل صاخباً كعادته، وهتف:
- ها أنا أعود اليكم نظيفاً لطيفاً ولكن مع بعض الرضوض.
قال ذلك ومد يداً رضت عقلة احد أصابعها. نهضت ادريان على الفور وانحنت فوق يده قائلة بقلق:
- أرني يا كريستوفر! كيف فعلت ذلك؟
- انتظري يا عزيزتي حتى أخرج وأرضّ اليد الأخرى!
تقدم غرانت من قريبه وشده من كتفه قائلا:
- لا بأس عليه، فهو على ما يرام. ان لدي بعض الأفلام من مجموعة (برايمري اندستريز) وأريد ان أعرضها عليك.
- اراف بي يا غرانت. فأنا وادريان ننوي ان نرقص كل الرقصات الجديدة خصوصاً وانها تعلمت رقصة الفالز.
ضحك غرانت ولم يعلق بشيء.
من المؤكد ان السيدة فورد بالغت في اتقان طعامها هذه الليلة احتفاء بعودة سيد سارانغا. حنت ادريان رأسها فوق طبقها وكبتت ابتسامتها اذ فكرت ان الحياة هنا مجرد وليمة لا تنتهي، بل تختصر كل متع الحياة في أطعمة السيدة فورد. ما كان من ادريان الا ان انفجرت ضاحكة بعد لحظات. صمت الجميع عن حديثهم وتطلعوا اليها بينما سألها كريستوفر:
- ماذا دهاك يا ذات العينين الزرقاوين؟
- فكرت بعدد الولائم التي حضرتها هنا.
التفتت اليها السيدة مانغ مشدوهة لأنها اعتادت على جودة طهي

السيدة فورد بحيث اعتبرته امراً طبيعياً، وقالت بلطف:
- احسب ان لدينا طاهية مبدعة بل ساحرة في مطبخنا والحمدلله. الحقيقة اني لا أحسن سلق بيضة واحدة، وهذا امر صعب كما يقولون.
استوضحها كريستوفر:
- من يقول ذلك؟
- كل المجلات تؤكد ان سلق البيض اختبار للطاهي الجيد.
ضحكت ماريون وأوضحت:
- بالطبع لا يا هيلن.
هبت ادريان الى مساعدة صديقتها موضحة:
- لعلك تقصدين سلق البطاطا يا سيدة مانغ.
صاح غرانت:
- استحلفكم بالسماء ان تغيروا هذا الحديث الممل.
تابعت ادريان ضحكها وأصيب كريستوفر بالعدوى. عندئذ صاح غرانت:
- ماذا يجري حول مائدتي؟ اعتقد ان العصير قد أطربك.
تطلعت اليه على الفور، فلمحت المرح على ثغره. ربما كان قوله صحيحاً. الأمر الأكيد هو شعورها العارم بالسعادة.
توجه كريستوفر بعد العشاء الى جهاز الستيريو ونقب بين الاسطوانات، ثم نظر الى زوجة خاله متسائلا:
- اعذريني يا سيدتي العزيزة. أليس لديك اسطوانات لغير هؤلاء الموسيقيين الكلاسيكيين حتى نرقص عليها؟
ضحكت السيدة مانغ وأجابته:
- توجد عندك اسطوانة لجوليان بريم.
- لا تديري رأسي بأحد العازفين الكلاسيكيين المعاصرين.
- انه جوليان بريم عازف القيثارة المعروف.
كادت ادريان تنفجر ضاحكة عندما تدخل غرانت قائلا:
- ان الجو رومانتيكي للغاية، والحقيقة انكما بذلك خرجتما عن سيطرتنا.
لم يأبه كريستوفر لملاحظة غرانت، بل قال:

- رومانتيكي! هيا يا هيلن اعطيني الاسطوانة الجديدة.

توجهت الى الستيريو، لكن ادريان سبقتها اليه قائلة:

- سأتولى المهمة عنك يا سيدة مانينغ.

جثت على ركبتيها بجانب كريستوفر، فامتدت تنورتها حولها. رفعت الاسطوانة وناولته اياها. رتبت بعض الاسطوانات المقلوبة بينما ادار الجهاز، وما ان صدحت الموسيقى حتى تملكه الاستياء. تطلعت ادريان الى عيني غرانت المليئتين بالأسرار، وأملت ألا يحزر ما جال في خاطرها. اما كريستوفر فحاول ان يطفىء الجهاز. فصرخت السيدة مانينغ معترضة:

- دعنا نسمع هذه الموسيقى الرائعة.

اوضحت ادريان:

- انه يعزف العود ببراعة ايضا.

توجه كريستوفر الى غرانت قائلا:

- اعجبني وصفك للجو بأنه رومانتيكي يا غرانت. لا أظنك تنفع هنا.

لم يجبه، بل اكتفى بالضحك ثم الخروج من الغرفة. علقت ادريان وهي تطلق ضحكة لطيفة مرحة:

- آه يا كريستوفر! انك تبدو مضحكاً للغاية.

عقّبت ماريون وقد أطربتها موسيقى القيثارة:

- لا يحب ابني الموسيقى، وهو في ذلك يشبه والده.

رجع غرانت الى الغرفة وهو يحمل شريطاً سينمائياً، قال:

- هيا يا فتاي. الواجب يدعوك. دع السيدات يتلذذن بأشيائهن البسيطة.

- ان الأشياء البسيطة هي التي تعطي الحياة متعة وجمالا.

طمأنت ادريان صديقها بقولها:

- الأيام أمامنا وسنملأها مرحاً يا كريستوفر.

رمقها غرانت بنظرة استفهام غريبة وسألها:

- صحيح يا آنستي؟

رد كريستوفر بانفعال:

- أوتراهن على ذلك؟

طلبت ماريون الى غرانت ان يأخذ ابنها بعيداً حتى تستمتع بسماع

الموسيقى.

اخرج غرانت ابن عمته المعترض من البهو وهو يقول:

- هيا ايها المهرج.

قضت النساء الثلاث معظم السهرة وحدهن. تولت ادريان ادارة الاسطوانات التي اختارتها رفيقتاها، كما اخبرتها عن أيام دراستها الموسيقية.

عند التاسعة والنصف طلبت السيدة مانينغ الى ادريان ان تسأل الشابين اذا كانا يرغبان في بعض الطعام. ضحكت ماريون وأكدت ان كريستوفر يرغب في ذلك فعلا. سألت ادريان:

- اين أجدهما؟

- في غرفة عرض الأفلام يا عزيزتي. بابها هو الثالث بعد باب المكتب. لعلك لم تنتبهي لها لأنها كانت مقفلة.

وصلت الى الحجرة حيث كان عرض الفيلم قد انتهى، ووقف الرجلان يدخنان ويتحدثان. بدا لها ان غرانت شدد على نقطة معينة بينما هز كريستوفر رأسه بعنف. قالت:

- عفوكما ايها السيدان!

تقدم كريستوفر منها وضغط يدها على قلبه قائلا:

- ادريان يا حبيبتي! هل اشتقت الي؟

اجابته بابتسامة عذبة:

- صحيح. ولكن، ألست مشتاقاً للطعام؟

- طبعاً. لقد مرت أجيال كاملة لم أذق فيها الطعام. هيا بنا يا غرانت!

- لا نريد ان نزعج السيدة فورد يا كريستوفر. فاجيء والدتك واصنع القهوة بنفسك حتى أري ادريان المكان. انها لم تزره من قبل.

- رغباتك أوامر.

أوقفه قائلا:

- كريستوفر! الأفضل ان تطلب الى ماريون ان تصنع القهوة لأننا نريد شربها.

- رأي سديد وكلام مفيد.

وجه غرانت حديثه الى ادريان:

- هيا ادخلي. ارى انك تستعدين للهرب.
- ابداً يا سيد مانغ. اني استمتع بفكرة الزيارة.
سدد اليها نظرة تحذير وقال:
- اذا ناديتني السيد مانغ ثانية ستندمين على ذلك.
- حسناً يا سيدي!
الا انها عدلت ردها العفوي اذ استدركت قائلة:
- اجل يا غرانت!
ابتسمت له. لكنها تمنت فوراً لو انها لم تفعل اذا رأت عينيه تلتمعان استفزازاً ومكراً. اشاحت بنظرها بعيداً، ثم سألته:
- هل هذه حجرة خصوصية؟
- هذه ملاحظة يدلي بها أمثالك. كلا يا عزيزتي، هذه غرفة لعرض الأفلام تحتوي كثيراً من الأفلام القيمة والوسائل والأجهزة التقنية. لا داعي لاهتمامك بها. الحقيقة اني أود التحدث اليك عن كريستوفر.
كبتت رغبتها بالهرب بينما اكد لها قائلا:
- لا يسعك الهرب يا بنيتي. ارجوك الا تشجعيه على مغازلتك. ربما انك لا تعرفين ماذا تفعلين، لكنك لا تفعلين سوى تشجيعه. ان هذا واضح في عينيك وصوتك وعلى ثغرك.
اغمضت عينيها ثم فتحتهما وقد التمع فيهما النفي. قالت:
- سيد مانغ!
شدها اليه بقسوة فاحتجت:
- غرانت! اني في الحقيقة لا أعرف عما تتكلم لأني لا أشجع كريستوفر، وينبغي ان تعرف ذلك. في أي حال، ليس من العدل في شيء الا احبه...
- لكنك لا تفعلين... على الأقل، لا يشبه حبك له حبه لك. نحن الاثنان نعرف ذلك جيداً.
امسك يدها وأخذ يضرب الشرايين في رسغها. ارتجفت وسحبت يدها صارخة:
- كف عن هذا يا غرانت. بدأت أشعر كما لو انني ارنب اخضع لتنويم مغناطيسي. اعتقد اني سأعود الى سيدني.

- تذكري يا عزيزتي ان كريستوفر شاب طيب يحتاج الى فتاة أقل تعقيداً ورقياً منك.
مد يده فوق رأسها وأطفأ النور. قال:
- هيا نتناول القهوة.
حل ظهر الأحد قبل ان ترى ادريان كريستوفر او غرانت، فحزنت لأن عطلة الاسبوع شارفت على نهايتها. ان كريستوفر لطيف جداً ومن المخزي فعلا ان يظهر لها الحب ولا تستطيع مبادلته شعوره مخافة ان تؤذيه. هل يسعها التأكيد انه لن يفسر قصدها على عكس ما هو؟ توجهت الى الشرفة حيث كانت السيدة مانغ وماريون تتناقشان في وسائل جمع المال لاقامة جناح جديد في المستشفى. ابتسمت لهما قائلة:
- لماذا لا نقيم حفلة شواء ونفرض دولاراً او دولارين او حتى ثلاثة على كل من يحضر؟ ان المشروع مفيد وسينتفع به الجميع.
أثار الاقتراح فضول السيدة مانغ قليلا لأنها لا تحب النشاطات المقامة في الهواء الطلق. فعلقت:
- أتقولين «حفلة شواء» يا عزيزتي؟
أثنت ماريون على الموضوع بشيء من الجفاء وقالت:
- ولم لا يا هيلن؟ اعتقد ان الفكرة جيدة وان حدائق سارانغا تصلح للحفلات. لا داعي لاحتشاد الزوار داخل المنزل، فأنا أتصورهم يتنقلون ويمرحون بين الأشجار.
كان منزل سارانغا وحدائقه مضرب المثل في المقاطعة، وهذا ما زاد من حماسة ادريان، فأضافت على اقتراحها قولها:
- سنعلق أضواء ملونة ومصابيح بين الأشجار.
استفسرت السيدة مانغ مستغربة:
- اضواء ملونة يا عزيزتي؟
ضحكت ماريون وطمأنتها:
- انه تدبير مؤقت يا هيلن يساعدنا على جمع الأموال.
هكذا حل الأشكال. فالسيدة مانغ تريد جمع المال. سألت:
- متى نقيم الحفلة؟
- يكفي اسبوعان لابلاغ الجميع بالحفلة خصوصاً ان احداً لن يقطع

مسافة بعيدة حتى يصل الينا.

راق الاقتراح لماريون اذ عنى لها بعض التغيير في روتين حياتها اليومية. اما السيدة مانغ فالتمعت عيناها تصميماً وقالت:

- سأحدث غرانت بالأمر اثناء الغداء اذ ليس ثمة وقت نضيعه.

التقت عينا ادريان بعيني ماريون، ثم حولتا اهتمامهما الى شجرة اللوز بعيداً عن السيدة مانغ التي تبدو مضحكة حين تعتزم اثبات جديتها.

غادرت ماريون وكريستوفر باكراً بعد الظهر اذ لم يسعهما الابتعاد طويلا عن كاريوا بالرغم من وجود عمال اكفاء في المزرعة. رافقهما الجميع الى السيارة بينما تخلف كريستوفر للتحدث الى ادريان. سألها:

- ألم تشتاقي الي اليوم؟

- أي وقت من اليوم تقصد يا كريستوفر؟

- لا تتهربي من الاجابة عن سؤالي. لم أرك بسبب انشغالي مع غرانت بالمواشي.

ناداه غرانت من السيارة:

- هيا يا كريستوفر فوالدتك تنتظر.

- عليّ اللعنة! سنزور آل دونالدسون يوماً عندما يتسنى لي بعض الوقت.

- عظيم. اني أشكرك في أي حال على نزهة امس لأنها كانت اجمل نزهة قمت بها في حياتي.

- أفسدت عليك يومك.

- لا بل انني اعني ما أقول.

ألم يكن ذلك صحيحاً، وتسبب في شجار مع السيد مانغ؟

وصلا الى السيارة. ودعهم كريستوفر من خلف المقود ملوّحاً بيده. صاحت ماريون:

- الى اللقاء. اهلا وسهلا بكم في كاريوا في أي وقت.

أفلت غرانت يده عن السيارة التي همّت بالاقلاع، ثم وقف مع رفيقتيه يراقبون السيارة التي اختفت وراء المنعطف. في طريق العودة قالت السيدة مانغ:

- ثمة أمر واحد أكيد. ان الجو سيغدو اشد هدوءاً في غياب كريستوفر.

٥- استغرقها العمل في الاعداد لحفلة الشواء، فأحست بالتعب وأخذها النعاس... وحين رجع غرانت وجدها نائمة بين الزهور التي كانت تعدّها، فحملها كطفلةٍ بين ذراعيه...

كثيراً ما تمنت ادريان في الاسبوعين التاليين لو انها لم تقترح اقامة حفلة شواء لانها بدأت تعمل بدون توقف. فاضافة الى عملها مع غرانت، اصبحت مساعدة دائمة للسيدة مانغ. مرت عليها الايام كما لو انها في دوامة. لاحظت انها تخسر من وزنها بالرغم من جودة طهي السيدة فورد. ذات صباح قال غرانت لها وهو يوقع رسائله البريدية:

- كم سأسعد عندما تنتهي حفلة الشواء هذه!

- وانا كذلك.

وجدت نفسها توافقه بدون ان تدري. نظر اليها ليلاحظ ازدياد بروز العظام في وجهها، فاختفت السخرية من عينيه ولو لمرة. قال:

- اعلميني اذا كان ذلك يرهقك. كثيراً ما تتحمس هيلن لاعمالها الخيرية. من المؤكد ان وزنك قد نقص.

طرفت عيناها وضحكت بينما تألقت عيناه السوداوان تقديراً. قال:

- اوتظنين اني لا الاحظ؟ اني افعل. اني افعل.

لف الرسائل وقدمها اليها مضيفاً:

- تريد هيلن ان تعلق المصابيح والاضواء اليوم، من الخير ان ترافقيني الى كوريونغ بعد الظهر.

لا شك انه اعتبر موافقتها امراً طبيعياً لانه خرج من الغرفة من دون ان ينتظر جوابها. عادت الى الضرب على الآلة الكاتبة بنشاط متجدد وأملٍ عظيم. اذن، لقد لاحظ الساعات الاضافية الطويلة التي تعمل فيها مع السيدة مانغ. ما الطفه حين لا يتعالى عليها!

www.elromancia.com

لم يحل العصر سريعاً. عند الثانية والنصف اجلس غرانت ادريان على مقعد المرسيدس الامامي، ولوح بيده مودعاً السيدة مانغ التي خرجت لتعطيها تعليماتها الاخيرة. قالت:

- استرخي يا عزيزتي، ولا تجلسي على طرف المقعد.

استوت ادريان على مقعدها وهيأت نفسها للتمتع بالرحلة. عندما بلغا الطريق العام سألها غرانت على نحو عرضي وبطريقة اظهرت ذكاءه:

- ما الذي جعلك تتركين بيتك الوالدي يا ادريان؟ اهي زوجة والدك الشريرة؟

- ليست شريرة. لكنها لم ترغب في وجودي داخل المنزل لأني شكلت عائقاً في طريقها. في اي حال، انها تحب والدي، وهذا اهم ما في الامر.

- كم مضى على وفاة والدتك؟

- عشر سنوات. اذكر انني ظفرت قبل وفاتها بقليل بميدالية اثر نجاحي في فحص الموسيقى. رغبت في اطلاعها على النبأ وهي في المستشفى. الا اني لم اتمكن من ذلك، ولم تعرف هي النبأ. ارجوك الا تسألني ثانية عنها.

غصّت بالبكاء فنظر اليها بعينين تحاكيان عيني ماريون عذوبة ولطفاً. قال:

- يمكنك ان تبكي قليلا بقربي. قد يساعدك البكاء ويريحك. لا اتصور انك بكيت عليها كثيراً.

تمّت نبرة صوته عن المؤاساة. لكنها لم تعد الى ذكر والدتها ثانية. بعد بضعة أميال فاجأها بسؤاله الآتي:

- كيف تنقلين نبتة جميلة من تربة الى اخرى؟

لم تظن انه يهتم بمثل هذه الأمور. فأجابته بسذاجة:

- لست ادري. الا اني اتصور انه من السهل عليك اكتشاف الامر.

- ما ابعدك عن الغرور! اني اقصدك بحديثي.

اخجلتها ملاحظته. غير انها اجابته في رد فعل آلي:

- سألني كريستوفر السؤال نفسه، لكنه لم يعبر عن نفسه بهذه البلاغة.

- هل فعل؟

نظرت اليه لترى انه غرق في تفكير عميق وتغيرت ملامحه الدقيقة. واقل ما يقال ان تغيره اربكها فتراجعت في مقعدها وسكتت. ساد الصمت الى

ان وصل المدينة واوقف السيارة امام المبنى التذكاري. سألها:

- هل تريدين شراء حاجة ونحن هنا؟

- اجل (بودرا) لما بعد الحمام.

عقّب وهو يساعدها على النزجل من السيارة ويشير عبر الشارع:

- صحيح؟ هذه هي الصيدلية! خذي وقتك. ارجعي بعد خمس وعشرين دقيقة.

اغمضت عينيها بسبب وهج الشمس الحاد. عبرت الشارع وهي مصمّمة على التجول بعض الوقت في المدينة. لاحظت انها تجذب الابصار، وتعرّفت على بعض الوجوه التي لمحتها في اجتماع لجنة المستشفى وبادلت المارة الابتسام. كان الامر جديداً بالنسبة اليها خصوصاً وانها اعتادت على التجول في شوارع سيدني من دون ان تثير اهتمام احد.

اشترت من الصيدلية بعض المساحيق اضافة الى احمر الشفاه الذي لا تكتمل زينة النساء بدونه كما يقول الرجال. كم مرة انتقدها والدها لأنها كانت قد استعدت للخروج وتزينت وتبرجت لكنها لم تستعمل احمر الشفاه. هنا التقت نظراتها بنظرات البائعة التي تنمّ عن الفضول، فابتسمت لها ثم شكرتها وخرجت.

طارت في الطريق امامها ورقة حمراء، قذفها احد المارة من احدى علب الاحذية. راقبتها وهي تسقط في القناة بجانب الطريق بلامبالاة. لكن، لم تلبث ان خطرت لها فكرة. ان السيدة مانغ تنوي ان تغطي الطاولات المذكورة بازهار اصطناعية تعدها من هذه الاوراق؟ ان الازهار الطبيعية لا تلائم المناسبة. ازدادت حماستها وتعاظم اندفاعها، لكنها تساءلت لماذا لا تحمل معها عادة سوى بضعة دولارات؟ لقد انفقت اليوم معظم ما حملته من نقود وهي تريد الآن ابتياع المواد اللازمة لصنع تلك الازهار. صحيح ان الاوراق لا تكلف كثيراً، لكنها تحتاج الى اوتاد خشبية ومادة لاصقة ومشكّ سلكي.

دفعتها حماستها المتزايدة للبحث عن غرانت، فاسرعت الى مركز وكالة الشؤون الرعوية حيث ابلغت انه ربما كان في المصرف. توجهت الى المصرف المكيف وتقدمت من رب عملها قائلة:

- لدي فكرة!

- لا تقوليها هنا يا عزيزتي.
- ارجوك، كن جدياً.
- ولماذا اكون؟ ثم خاطبها بجدية: ما الامر؟
- اريد صنع بعض الازهار الورقية لحفلة الشواء.
التبس عليه الامر، فسألها:
- يا الهي! الا تكفيك زهور سارانغا؟
- هذه الزهور مختلفة ونافعة للغاية. بامكان الضيوف ان يأخذوها معهم الى منازلهم لو شاؤوا، فليس لدى الجميع حدائق كالتي في سارانغا.
- ها انك تعظينني وتوبخينني يا آنستي. حسناً، وماذا عن هذه الزهور الاصطناعية؟
- لا املك المال الكافي لشراء كل المواد الضرورية لصنعها.
- يا الهي!
- ارجوك ان تكون جدياً.
هز رأسه مبتسماً لموظف المصرف الذي قدم له بعض الاوراق ثم امسكها من كوعها واخرجها الى الشارع قائلا:
- انا الآن في غاية الجدية. تقدمي.
نظرت اليه وقد اتسعت عيناها. اجابته:
- لكني لا اعرف موقع متجر الخردوات.
- اذن، علي ان اقودك اليه.
سارا مئة متر تقريباً قبل ان يتوقفا ويدلها على متجر الخردوات في حركة مسرحية، ثم دخلاه واشترت كل ما كانت تحتاجه منه. نقل عامل المتجر الشاب نظره بينهما بدون انقطاع الى ان حدثه غرانت قائلا:
- هل هناك ما يزعجك يا توم؟
- كلا يا سيدي.
- كيف الجميع؟ هل رجع والدك من السفر؟
اخذ الشاب يعبث بدفتر حساباته بينما كان يقدّم له عرضاً سريعاً عن احواله واحوال عائلته. عندما خرجا الى الشارع قالت له ادريان:
- لقد اثرت الصبي واربكته.
نظر الى ساعته واجابها:

- ليس الى حد يجعله يكبت فضوله. والآن، ماذا تريدين ان تفعلي؟
- علي ان اشتري الاوراق الرقيقة ثم ننتهي.
- هيا اذن يا بنيتي. ان هذا اختبار جديد بالنسبة الي.
انطلقا بعد عشر دقائق عائدين الى سارانغا. وفي الطريق وجه اليها نظرة باردة. سألها:
- اليس لديك ما يكفي من الاعمال؟
- يسعدني ان اصنع هذه الازهار. انتظر حتى ترى جمالها وهي تزين الطاولات.
ضحك ضحكاً عميقاً، وقال:
- يا لك من فتاة رائعة! اليس هناك حد لمواهبك؟
- اجل، اني استطيع مثلاً ان اغني كما يغني كريستوفر.
عدّل سرعة السيارة بعنف غريب وقال:
- ها قد عدت الى الحديث عن كريستوفر.
تابعا سيرهما صامتين وادريان تنظر من النافذة بشرود وتتأمل امتزاج الالوان وتآلفها الى ان صاحت: «قف!» اوقف السيارة الى جانب الطريق. ترجلت للحال واتجهت نحو شجرة اسمتها «الصفصافة المعذبة». لحق بها بعد ثوان قليلة وكانت قد امسكت باغصان الشجرة. اقترب منها وهو يطلق صفيراً مزعجاً. استدارت نحوه وقالت:
- هذه الشجرة كنز. الا ترى انه متى نزعنا القشر عن اغصانها تصبح صالحة لتنسيق الازهار؟ كل ما علينا الآن هو البحث عن الاغصان المناسبة.
تظاهر بالارتياح وابتسم ساخراً:
- اهذا كل ما في الأمر؟ كنت اعد نفسي لسماع بعض الانغام الاوبرالية. لكنك لا تغنين في أي حال.
ضحكت ودلته على الاغصان التي ارادت قطعها. كسر الاغصان الغريبة ونقلها الى صندوق السيارة. ها هو يتورط في جمع الاغراض اللازمة لتنسيق الازهار الاصطناعية اضافة الى اعماله الكثيرة التي ينبغي ان يقوم بها اليوم! لذلك قال:
- لا تخبريني يوماً ان الجن تسكن اقبية سارانغا حتى لا اجد نفسي ابحث

www.elromancia.com

عنها.

- لا شك انك ستغير رأيك بعد ان ترى نتائج عملنا. ربما كانت خطوتك التالية هي الطلب اليّ تنسيق الازهار لحفلة زواجك من فيرا.

نظر اليها بحدة ثم صفع يدها الموضوعة على صندوق السيارة بقوة. قال:

- لاتكوني وقحة! عودي الى السيارة.

راقت مشاريع ادريان للسيدة ماننغ كثيراً وطال حديثهما عنها اثناء العشاء.

نظرت ادريان فجأة الى غرانت وسألته:

- هل يوجد في المنزل اناء نحاسي كبير ارتب فيه الازهار؟

- يا الهي! أوتسألينني؟ اجيبيها يا هيلن لان الامر خارج عن نطاق مسؤولياتي. اما الآن، فاستميحكما عذراً بالانصراف حتى اتمكن من انجاز اعمالي الكثيرة.

راقبته المرأتان بصمت وهو يبتعد. قالت السيدة ماننغ:

- لا شك اننا ازعجناه.

سرعان ما فاجأت ادريان رفيقتها بنهوضها عن الكرسي ودفعها اياه الى مكانه الطبيعي ثم مغادرتها الغرفة. ذهلت السيدة ماننغ اذ وجدت نفسها تشرب القهوة وحيدة هذه الليلة.

رفعت ادريان عينيها عن الآلة الكاتبة عندما دخل غرانت المكتب في صباح اليوم التالي ووقف يتأملها. كانت الشمس قد غمرت المكتب وانعكست اشعتها الذهبية على شعر ادريان الحريري اللماع، وبلوزتها الصفراء وذراعيها العاريتين. ترددت في مخاطبته. فتخلى عن صمته الطويل وتغيرت تعابير وجهه الجامدة. قال:

- اخبرتني هيلن انك سهرت حتى منتصف الليل تعدين ازهارك الورقية. الا اني اراك نشيطة ومعافاة للغاية وكأنك لم تسهري.

- الحقيقة اني سهرت. هل ترغب في رؤية الزهور؟

وقفت لتريه الازهار، فثناها عن عزمها قائلا:

- كلما التقيتك يا عزيزتي احسست نفسي مسجوناً في قفص...

عادت الى مقعدها حزينة وركّزت بصرها على الآلة الكاتبة. عزاها

بقوله:

- ما اعظم رغبتي في مشاهدة ازهارك. ولكن، في الوقت المناسب.

دار حول المكتب ليناولها كدسة أوراق مطبوعة من الحجم الكبير قال:

- اقرأي هذا المقال قبل ان تضربيه على الآلة حتى تقسميه الى فقرات متناسقة انه موجه الى منظمة الاصواف العالمية ويتناول قضية تطوير الاصواف الطبيعية وتشجيع تنميتها. اننا نواجه منافسة حادة من الاصواف الصناعية التي تلقى تشجيعاً كبيراً. سيستغرقك العمل في المقال وتنظيم البريد الى ان يحين الغداء. بامكانك ان تصنعي ازهارك بعد الظهر.

تحولت بافكارها الى المقال. رفعت رأسها ونظرت اليه كما لو كانت تعترض لكنه حذرها قائلا:

- لا تكثري من الاعتراض والا غيرت رأيي. هيا ابدأي العمل. لن ارجع باكراً هذا المساء. لقد اخبرت هيلن الا تنتظرني على العشاء.

عملت في طباعة المقال طوال الصباح، ولم تتناول الغداء حتى تتمكن من تنظيم البريد. ذهبت من ثم الى غرفتها واحضرت كل الادوات اللازمة لصنع الازهار الى المكتب، وكانت السيدة ماننغ قد اثنت على عملها في الليلة الماضية حين رأت الازهار قبيل الفطور. لكن، لا بد لها ان تضاعف ثناءها خصوصاً وان الفتاة فكرت باماكن جديدة تزينها باشغالها اليدوية الجميلة.

اكبت على مجموعتها من الاوراق الملونة المفيدة والرخيصة. كان صنع الورد الاحمر الكبير المنتفخ اختصاصها. ولما ادركت انها تبدو اصطناعية تحررت في استعمال الالوان وجمعت الازرق والليلكي والقرمزي والقرنفلي الى جانب اللون الاصفر في بتلات ورودها.

كانت قد بدأت بقطع مزيد من القصاصات عندما وقفت السيدة ماننغ في الباب تضغط بيدها على رأسها وتقول:

- تعالي معي يا عزيزتي حتى تقرري اين يجب ان نضع الاضواء والزينة.

وضعت المقص على الطاولة وتبعتها الى الممر الخاص المفضي الى المنزل حيث وقف رجل قصير القامة تنمّ ملامحه عن بعض البلاهة. لوّح القزم بقبعته لادريان، ثم حول بصره الى السيدة ماننغ التي انشغلت في تلخيص افكارها لرفيقتها بدقة سواء في الكلام أو في حركات يديها. تأمل الزائر

القزم سيدة سارانغا بانشداه لانه طالما سمع عنها ولم يقابلها. من المؤكد انها لا تشبه اياً من معارفه من النساء. لم تبتسم ادريان امام شفافيته خصوصاً وانه قد ينظر اليها النظرة نفسها عندما تطيل الكلام وتكثر من حركات يديها لتفهمه نقطة ما. ركزت ادريان افكارها على خطة لاضاءة المكان بينما راح الرجل يتنقل بين الاشجار بنشاط وخفة. ثم همست:

- اظن انني قد عثرت على الحلقة المفقودة.

- ارجوك ان تفعلي كل ما في وسعك يا عزيزتي. علي ان اعود الى المنزل الآن.

وجهت السيدة مانغ كلامها من ثم الى عامل الكهرباء القزم الذي اعتقد انه مهما ثرثرت السيدة مانغ فانها تظل سيدة محترمة بكل تأكيد.

انجز الكهربائي عمله بعد ساعتين أحست ادريان في نهايتها بالم شديد في رأسها نتيجة تعرضها للشمس الحامية. هذا ما اكدته لها السيدة مانغ التي نصحتها ان تخلد ساعة الى الراحة. ضغطت على صدغها حيث كانت مطرقة حادة تضرب ضربات عنيفة متواصلة داخل رأسها. وافقت سيدة سارانغا رأيها:

- لعلك على صواب يا سيدة مانغ. لا اعتقد انني اشكو الصداع، فانا اعرف اعراضه التي انتابتني مدة اربع سنوات.

استدارت نحوها بقلق. قالت:

- هيا الى المنزل يا عزيزتي. انك شاحبة.

عبرتا الشرفة الباردة الى البهو حيث جعلت السيدة مانغ رفيقتها تنتظر لتعود اليها بعد قليل بكوب ماء وحبتين من عقار مسكن. قالت:

- خذي هذه واستلقي بعض الوقت. لقد اتعبتك في العمل، وهذا ما عبّر عنه غرانت ايضاً.

توجهت ادريان الى الباب وهي تطمئنها:

- ابداً يا سيدة مانغ. الا ان الشمس حادة هنا. لا تقلقي، فالدواء كفيل بازالة الالم.

لوحت السيدة مانغ لها بيدها ضاحكة وهي تقول:

- آمل ذلك يا عزيزتي. لعلني سأتبع النصيحة التي قدمتها اليك واخلد الى الراحة انا ايضاً.

انزلت ادريان الستائر المعدنية في غرفتها، ثم جرعت حبتي المسكن، واستلقت على فراشها واغمضت عينيها.

غربت الشمس قبل ان تستيقظ وتنظر الى الستائر بدهشة. لا يمكن ان يكون الوقت قد مر بهذه السرعة. تطلعت الى ساعتها. انها السادسة. في أي حال، لم تعد تحس الالم في رأسها. رشت الماء البارد على وجهها، وسرحت شعرها الذي اسدلته، ثم وضعت بعضاً من احمر الشفاه. احست عندئذ بتحسن وتألق عظيمين. ولكن، كيف يمكنها ان تنجز كل ما عليها من المهمات؟

اعربت السيدة مانغ في خلال العشاء عن ارتياحها للتحسن الذي طرأ على ادريان، اوضحت لها تصميمها على مساعدتها لأنه لا بد ان يكون هنالك شيء افعله.

ضحكت ادريان واجابتها:

- بامكانك ان تقطعي الاوراق ثم اتولى انا ترتيبها. انه عمل بسيط يبعث على الملل.

- سواء كان يبعث على الملل ام لا، فاني عازمة على ان اجربه.

صدقت في وعدها، وسعت الى مساعدة ادريان. الا ان المخابرات الكثيرة التي تلقتها من عضوات اللجنة قاطعتها باستمرار، فاقتنعت ادريان انها كانت ستنجز العمل بسرعة اكبر لو عملت بمفردها. خاصة وأنها اعتمدت على السيدة مانغ في قص البتلات.

عند التاسعة والنصف احضرت ادريان القهوة فيما اخفقت رفيقتها باخفاء تثاؤبها، وحذرتها:

- الواقع اني لا اعرفك جيداً. لكني احذرك ان كثيراً من الاسئلة ستوجه اليك عن طريقة صنع ازهارك الجذابة للغاية.

- لا تخشي شيئاً. اني مستعدة ان يلتقط لي بعضهم صوراً وانا اصنع الازهار.

- الصورا بالطبع! انك خير من يظهر في الصور.

تلاشت ابتسامتها، وقالت:

- لا اقصد ذلك يا سيدة مانغ.

- بالطبع يا عزيزتي. لقد حولتني حفلة الشواء هذه الى مجنونة.

وضعت فنجانها على الطاولة. ووقفت وهي تبتسم للفتاة. قالت:

ـ ارجو المعذرة يا ادريان. لقد نعست كثيراً. لا تطيلي السهر لان امامنا اياماً مزدحمة بالعمل. تصبحين على خير.

ظلت ادريان تعمل وحدها في البهو الصامت. تكاثرت الازهار بين يديها. فقد كانت تقص البتلات وترتبها ثم تلفها على الاوتاد وتشد الازهار قبل ان تضعها حولها. قررت ان تصنع خمساً وعشرين زهرة اخرى قبل ان تنام. الا انها اسندت رأسها بعد قليل الى ظهر الكرسي وطرفت عينيها لتطرد منهما النعاس. لكن سلطانه قهرها.

رجع غرانت بعد الحادية عشرة الى المنزل ليجد البهو مضاءاً. توجه نحوه متسائلا عن هوية الساهر. وقف عند العتبة حين لمح ادريان نائمة بين مصنوعاتها كما لو كانت احدى الزهرات. اطفأ الثريا، وتقدم منها على نور المصباح الصغير ليطوقها بذراعه. استيقظت مذعورة، وهمست:

ـ هل رجعت يا غرانت؟

لم يجبها، بل حملها بين ذراعيه كما لو انه يحمل طفلاً. ولم يظهر رغبة في انزالها الى الارض. واحتجّت قائلة: «هذا لا يليق برجل الاعمال».

سخرت عيناه منها وأجابها:

ـ لكننا لم نعقد اتفاقاً كالذي يعقده رجال الاعمال يا آنسة برنت، اليس كذلك؟

ازداد البريق في عينيه لمعاناً، فسترت وجهها بيدها. رفعها الى اعلى واقترب منها. وسألها: ماذا تفعلين؟

تعاظمت حمرة خديها، وردت:

ـ لا تسألني...

ساد صمت غريب قبل ان يحني غرانت رأسه ويقبّل خدّها. وقال لها قبل ان تعترض على تصرفه:

ـ هكذا اقبل الاطفال، عادة.

انتابتها ارتعاشة حادة، حين لمست شفتاه مؤخر خدها، احسّت معها ان قبلة الاطفال هذه تكاد تدمّرها. وصرخت: «انزلني الى الارض، ارجوك!».

بدا للحظة انه سيرفض طلبها. لكنه سرعان ما انزلها على الارض.

عندئذ حاولت ترتيب زهورها. لكنه نهاها عن الامر لان بامكانها ان تفعل ذلك في صباح الغد.

اطاعت رغبته وودعته بسرعة.

www.elromancia.com

٦ـ اعترض على ثوبها (في الحفلة)، لأنه لم يرد ان يشاركه احدٌ في النظر اليها. وحين أوقعتها فيرا عن الفرس، وجد نفسه يعترف بحبه لها، بعد ان كشفت له، وهي تصحو من الغيبوبة، الحقيقة كلها!

مرت الايام التي سبقت حفلة الشواء بسرعة. كان عدد المدعوين مئتين ووقع عبء تنظيم الحفلة على كاهل السيدة ماننغ. وهي بدورها اوكلت كثيراً من المهمات الصعبة الى ادريان التي اظهرت رغبة وكفاية عظيمتين. ذات صباح قالت السيدة ماننغ لغرانت:

ـ لست ادري ماذا كان يمكنني ان افعل لولا سكرتيرتك العزيزة.

الواقع ان ادريان رددت بكل تواضع صدى الفكرة ذاتها علماً ان ماريون شاركت بدورها، وكثيراً ما حضرت الى سارانغا. اما كريستوفر، فكان كثير المشاغل تماماً كغرانت الذي كان يفاوض من اجل بيع جواده الممتاز، ماونتن غولد.

اطل صباح السبت، وهو يوم الحفلة، مشرقاً صافياً. كان الجو في احسن حالاته ومناسباً لاقامة حفلة الشواء، لكن المرء لا يستطيع الوثوق تماماً بالنشرات الجوية. رتبت ادريان الازهار في مواضعها قبل الغداء، وكانت المقبلات من اشربة واطعمة قد نظمت قبل ذلك بكثير. ناسب ذلك السيدة ماننغ ومساعدتها الشابة لأنهما اجهدتا نفسيهما في العمل.

بعد الغداء خرجت ادريان لتتفحص بمساعدة ماريون كل الترتيبات التي انجزتها في الصباح. وفيما هي تهم بالعودة بين الطاولات، خرج غرانت من المنزل وناداها. اتكأت على تعريشة وانتظرته في الظل حيث البرودة لم تمنع ثوبها من الالتصاق بجسمها. حين اقترب منها، ركّزت عينيها على وجهه الهادىء فخيّل اليها انه لم يعرف لحظة استرخاء كهذه منذ سنوات. قالت:

ـ ماذا تريد؟

صمت لحظة وهو يتأمل حمرتها الخفيفة. استند الى التعريشة، ولمس غطاء الطاولة. وقال:

ـ ادخلي واستريحي. ان هيلن ترتاح ايضاً، وعليك ان تقلديها. لقد تحملت الكثير من العناء في حين انه كان على هيلن ان تعتمد على خدمات نساء اخريات.

ها انه ينتقد السيدة ماننغ. وعليه، وجدت نفسها تسند رأسها من دون تفكير على ذراعه التي طوقتها وساعدتها على العودة الى المنزل. لم يعل رأسها عن مستوى كتفه. فنظر اليها مندهشاً وقال:

ـ انك اقصر من العادة.

ـ لأن صندلي بدون كعب.

تطلع الاثنان الى قدمها الصغيرة المطوقة بسيور جلدية ضيقة مصممة على شكل صندل وقال لها بشرود:

ـ يا للرجلين الرائعتين!

ـ انك لطيف للغاية. لا شك ان هذا من اثر الحفلة عليك.

شد ذراعه حولها وخاطبها بلهجة الحبت مشاعرها:

ـ من اثر الحفلة وهي لم تبدأ بعد؟

لم تستطع جواباً لملاحظته. قررت بحكمة المحافظة على صمتها.

وصلا الى المنزل فاتجه بها الى غرفتها قبل ان ينطلق الى المكتب ويأمرها:

ـ نامي حتى السادسة لأن لديك وقتاً طويلا.

التفت بعباءة واستلقت على السرير ثمّ ادركت انها لن تنام بسهولة. الا انها سرعان ما غفت. دقت الساعة القديمة في القاعة الخامسة والنصف قبل ان تستيقظ فجأة وعلى نحو تام. لماذا لا تستحم ببطء بدل ان تأخذ دوشاً سريعاً؟ ملأت حوض الاستحمام بالماء الساخن، وسكبت فيه كمية كبيرة من صابون الاستحمام السائل الثمين الذي اهدي اليها في عيد ميلادها. تصاعد البخار عطراً تفوح منه رائحة الغاردينيا. استحمت على مهل ثم رشت على جسمها بعض البودرا والتفت بالعباءة لتتمكن من ترتيب زينتها.

استرد وجهها الشاحب نضارته. طلت وجهها بلون واحد مناسب. ثم

اضافت كحلاً الى سواد اهدابها قبل ان تضع على شفتيها احمر شفاه قرنفلي لماع. قررت ان ترفع شعرها عن وجهها وترتبه بحيث يتدلى كالجرس على عنقها، فهكذا يناسب زينتها وثيابها كما يبرز قرطها المصنوع من ذهب مطروق، والطويل المتدلي تبعاً للموضة. لن يتصور احد انها ورثت حلقها هذا عن جدتها كما ورثت كل حليها التي قدرتها كثيراً واعتنت بها كل العناية، فلم تسمح لبريقها ان يخبو نتيجة حفظها في علبة مخملية سوداء قديمة، وطالما ارتدتها فضاعف جمالها من جمال هذه الجواهر القديمة.

ادخلت الحلق في موضعه، واثبتته ثم راقبته يهتز. بدا كما لو انه جزء من اذنيها، فاضفى بريقاً على وجنتيها، وضاعف من حسنها النضر.

ابتعدت عن المرآة قاصدة الخزانة لارتداء ثوبها الحريري الاسود المزين بخطوط بنية وذهبية. لبسته بسرعة ورفعت سحابه الممتد على ظهرها شبه العاري، ثم اندفعت الى الخارج.

تألق المنزل فرحاً وحبوراً. حثت الخطى الى ان بلغت القاعة حيث وقفت تتأمل الزنابق الكبيرة الموضوعة في حوض نحاسي ضخم اقنعت غرانت بادخاله الى المنزل.كان منظر الزنابق رائعاً، فزاد زينة المنزل رونقاً وجمالا نظراً الى طول الازهار الشديد والوانها القرمزية القانية والصفراء الفاقعة التي تتوسطها بقع بيضاء. اما شذاها فعاطر يملأ الجو طيباً وسحراً.

لم تطل وقفتها لئلا تكون السيدة ماننغ في حاجة اليها. رأتها في الخارج تتحدث الى غرانت، الذي بدا اشد وسامة واناقة في بلوزته البيضاء الايطالية المنشأ وبنطلونه البسكوتي اللون. طفح وجه السيدة ماننغ بشرا اذ رأت مساعدتها الشابة فيما قطب غرانت جبينه وصرخ:

ـ عليك ان تغيري ثوبك هذا يا ادريان.

اعترضت السيدة ماننغ وقد دهشت:

ـ ماذا تعني يا عزيزي؟ انها رائعة.

ـ انه ليس ملائماً. هذا كل ما في الامر.

تجمدت ادريان، وعلت الحمرة وجهها قبل ان تسرع هاربة الى غرفتها ويشاهد رفيقاها الدموع تنهمر من عينيها. اضطربت السيدة ماننغ وقالت:

ـ كيف تجرؤ ان تفعل ذلك يا غرانت؟ انها رائعة حقاً.

ـ هذا ما دفعني الى التصرف بهذه الطريقة.

سيحضر جميع سكان المنطقة الى هنا الليلة، ولن يحولوا ابصارهم عن ادريان حتى وان كانت اقل اناقة وحسناً.

تنهدت السيدة ماننغ عميقاً وقالت:

ـ الافضل ان الحق بالمسكينة لأنك آذيت مشاعرها علماً انها كانت غاية في اللطف.

استدارت بغية اللحاق بها، غير انه ابقاها في مكانها موضحاً:

ـ سالحق بها انا يا هيلن. الافضل ان تلقي نظرة اخيرة على كل ترتيباتك.

قبلت مكرهة واتجهت صوب المطبخ لاجراء مشاوراتها الاخيرة مع السيدة فورد.

اما هو، فقرع باب ادريان مردداً:

ـ هل انت هنا يا ادريان؟ ارجو ان تحدثيني.

لم يسمع جواباً من داخل الغرفة. قرع الباب ثانية وصرخ:

ـ افتحي الباب يا ادريان.

تعاظم الصمت داخل الغرفة، فازدادت نبرته حدة:

ـ آمل الا يكون الباب مقفلا يا ادريان لأني ساقتحم الغرفة عليك.

انفتح الباب امامه ودخل الغرفة ليجدها جالسة على طرف السرير مكتئبة وقد خفضت رأسها اللماع. ناداها فلم تجبه. تقدم نحوها وجلس بجانبها على السرير. اشاحت بنظرها عنه وقد صممت الا تحدثه. قال متلعثماً:

ـ اسمعي يا صغيرتي. ارجو المعذرة لوقاحتي الآن. انني لم اقصد... انك تبدين رائعة. لكن هذا الثوب... انه مثير.

لم تحرك رأسها باتجاهه فمرّر اصبعه بهدوء على ظهرها. اضطربت فقال لها:

ـ هل تفهمين الآن؟

ـ لا اتصور ان احداً يفعل ما فعلته...

قالت له ذلك، ثم خفضت رأسها ثانية، وكادت دموعها تنهمر مجدداً. اوضحت:

ـ الحقيقة انك اخجلتني كثيراً، وشعرت اني لم احسن اختيار ملابسي.

انا واثقة انني اكرهك.

اوقفها صارخاً:

ـ كفي عن هذا الهذيان. لم يكن الامر سيئاً الى هذا الحد. سيحضر كثير من الناس الليلة الى هنا. لذلك اريدك ان ترتدي ثياباً محتشمة. البسي الثوب الذي لبسته ليلة سهرنا مع ماريون وكريستوفر. انه جميل.

شد ذقنها نحوه فارتعش فمها. عندئذ دفعها قائلا:

ـ هيا. ارتدي ثيابك. اني رجل وقح، لكنني لم اقصد ايذاءك. اسرعي لأن هيلن قد تحتاجك.

خرج فيما توجهت الى الخزانة واخرجت منها ثوبها القشدي اللون.

عند السابعة والنصف كانت حفلة الشواء قد بلغت ذروتها اذ احتشد مئات المدعوين في الحدائق مع اطفالهم، وانارت الطريق الخاص الموصل الى سارانغا المصابيح المضاءة في عشرات السيارات. رأت ادريان كل النساء يرتدين ثياباً غير رسمية، فاستاءت خاصة عندما شاهدت فيرا ترتدي ثوباً اشد عرياً من ثوبها الاسود.

بعد نصف ساعة اضطرمت النيران وازدادت حمى الهياج اذ اخذ المدعوون يلتهمون طعامهم بسرعة مذهلة جعلت ادريان تحس ان لا وقت لديها للتمتع بالحفلة. وكانت السيدة فورد ترحب بمساعدة الآخرين لها. وجهت تعليماتها بسرعة الى ادريان قبل ان تعمل على اعداد مزيد من السلطة في طبق كبير. قالت:

ـ احضري قوارير البصل والخيار المخلّل وافرغيها في الصحون. ارجوك ان تعتني بالزيتون كذلك.

فعلت ما امرتها به، وحملت الصحون الى الطاولات حيث وجدت ان الخردل والمقبلات قد بدأت تنفد، فعادت الى المطبخ لاحضار المزيد.

دقت الساعة الثامنة والنصف ولم تكن قد تناولت لقمة واحدة. اما فيرا فبدا انها اكلت باستمرار من دون ان تمد يداً للمساعدة في حين ان ماريون لم تقرب الطعام تماماً كالسيدة مانغ التي غرقت في محادثة طويلة مع عجوز مخيفة كانت ترتدي بزة قرنفلية حمراء، وتصبغ شعرها بلون قرنفلي غريب. لقد اكتشفت ادريان بعد ذلك ان تلك السيدة الغريبة الاطوار هي من اغنى نساء استراليا.

كانت تعد مزيداً من السلطة عندما اوقفتها فيرا قائلة:

ـ انها سلطة دسمة اليس كذلك؟

ضحكت ادريان بينما تناولت فيرا حصة كبيرة من السلطة والمايونيز. في هذه الاثناء دخل بين الفتاتين ابن دونالدسون الاصغر، ورمى بعض الصلصة على مقدم عباءة فيرا التي انتفضت بعنف وامسكته بكتفه صارخة:

ـ ايها الوحش الصغير القذر!

فغر الصغير فاه ظناً منه ان المرأة ستلتهمه. اما هي فاستشاطت غضباً والقت ابن الخمس سنوات ارضاً وهي تصيح: «ساعدوني بحق السماء!».

لم يبك الصغير، فلم يكن من ادريان الا ان اندفعت نحوه واوقفته مثنية على جرأته: «هذا رائع يا صغيري. لا بأس عليك!».

ركز الصغير نظره على وجهها المبتسم، ورفض ان ينظر الى فيرا. ربتت ادريان على كتفه ونظفت الغبار عن ملابسه، ثم ارسلته الى اهله. بعد ذلك التفتت الى فيرا صارخة في وجهها:

ـ ايتها الشريرة!

صاحت فيرا في غضب مجنون:

ـ ماذا تقولين.

ـ لا شك انك سمعت ما قلته. هذه هي الحقيقة.

ـ انتظري حتى يسمع غرانت اقوالك.

ـ حتى يسمع غرانت ماذا؟

حوّل عينيه الرماديتين من ادريان الجاثية على ركبتيها، الى فيرا التي بهت وجهها. تقدم من الاولى وساعدها على الوقوف. اما فيرا فخاطبته بنبرة حزينة بينما مسحت يدها دمعة مزعومة وقالت:

ـ الامر بسيط يا حبيبي. ان الآنسة برنت تستغل كل مناسبة لاهانتي. لعلك تجبرها على الاعتذار مني.

ضغط يده على كتف سكرتيرته وقال بهدوء:

ـ اعتذري لأنك ناديت فيرا «شريرة»!

جفلت الفتاتان لانه سمع ما دار بينهما من حوار ولم تتوقع ادريان أن يكون قد رأى شيئاً. تقلّصت عضلاتها تحت يده، لكنه لم يرفعها. ظلت

صامتة وهي تردد بينها وبين نفسها:

- لتلعني السماء اذا فعلت.

تعاظم ضغط يده بحيث جعلها تقول:

- ارجو المعذرة لوصفي اياك بالشريرة يا آنسة ستيرلنغ.

تكلمت كما لو انها كانت آسفة على اعتذارها. يا للمجنونة! اوتعتبر ذلك اعتذاراً؟ انزل غرانت يده الى جنبه واتجه الى فيرا الثائرة، ثم دفعها الى حلبة الرقص بدون ان يلقي نظرة واحدة على سكرتيرته.

وجدت ادريان نفسها بعد قليل غاضبة ولم تقو على تناول لقمة واحدة من الصحن المليء الذي احضره لها كريستوفر. قال متذمراً:

- كم اتمنى ان اجلس معك يا حبيبتي. لكن ينبغي ان اعود الى عملي.

مع ذلك جالسها بعض الوقت يحادثها ويسايرها قبل ان يرجع الى خلف المقصف المؤقت. من المؤكد انه هدأ روعها.

عندما تقدمت السهرة اقتربت تامي من ادريان وجلست بجانبها تقول:

- اخبرني روي عن السيدة الجميلة، فعرفت انها ليست فيرا. ان فيرا شريرة الى اقصى الحدود.

من الواضح ان آراءهما حول فيرا قد تطابقت كلياً. تراجعت تامي الى الوراء، فسطعت الاضواء الملونة على وجهها الفتي المضطرب ثم سألت ادريان:

- اعلم انه من الوقاحة ان احدثك بهذه الطريقة لكني ارتاح اليك. ما رأيك بكريستوفر؟

توقعت ادريان ان تسمع هذا السؤال من رفيقتها. استدارت نحوها وقالت:

- اني اقدّره كثيراً يا تامي. ارجو ان يكون هذا قصدك.

عضّت شفتها واجابت:

- هذا هو قصدي. اني سعيدة. تعلمين انني اريده. اليس ذلك جنوناً؟ انه يبدو كما لو انه لا يراني خصوصاً عندما تكونين بقربه. ان فيك بعض السحر.. بل الغموض.

اي غموض؟ ان ثمة شخصاً واحداً على الاقل يستطيع ان يقرأ افكارها وكأنها مخطوطة في كتاب مفتوح. انفجرت ضاحكة وقالت:

- بحق السماء، لا تقولي غموضاً!

التفتت تامي بعصبية الى ادريان التي بدا عليها التأثر. اكدت:

- بل غموض! غموض كالذي نشاهده في لوحة «الموناليزا».

املت ادريان الا تشبه ابتسامتها ابتسامة الموناليزا الحائرة. اما تامي فرددت بيأس:

- لا شك انك ستعلمين ماذا اقصد عندما ترين نفسك.

ردت وهي تقاوم رغبتها في الضحك:

- اسمعي يا تامي، ربما كان من الخير لك ان تعدلي في اسلوب تعاملك مع كريستوفر. انه يعتبرك جزءاً من طفولته، ابنة جيران عادية لا اكثر ولا اقل. لعله من الواجب ان تبدي اكثر... اكثر غموضاً.

- اوتعتقدين ان ذلك نافع؟

الحقيقة ان ادريان لم تعتقد شيئاً او تعرف شيئاً، بل رأت ان المحاولة جديرة بالاهتمام. قالت:

- ارتدي ثوباً جميلاً عندما يزوركم كريستوفر بدل الجينز والبلوزة. لا تحسبي ان ارتداء الجينز والبلوزة، كما هي حالك الآن، امراً ينقص من اناقتك. الا اني واثقة انه ليس ثمة رجل يفضل ان ترتدي المرأة بنطلوناً بدل الثوب. ينبغي ايضاً ان تعتني بزينتك. ان كل ما نحتاجه هو بعض التمويه.

لما كانت تامي ترتدي الجينز والبلوزة دائماً ولا تستعمل سوى مسحة خفيفة من احمر الشفاه ومواد التجميل الاخرى ولا تعتني بعينيها، قدمت لها ادريان بعض النصائح المفيدة. نظرت تامي الى رفيقتها الجادة، وقالت:

- اؤكد لك انك من اكثر الناس تواضعاً. لقد عرفت كثيراً من الفتيات اللواتي لا يدانينك من حيث جمالهن واناقتهن لكنهن يعتبرن انفسهن فاتنات.

- ليست الظواهر والمظاهر اهم ما في الوجود لكنها تساعد بكل تأكيد. ان كريستوفر يحتاج فتاة مثلك وما عليك الا ان تفهميه ذلك. استعملي معه المكر حتى تفتنيه.

تمتمت لو تضحك. اما تامي، ففعلت ورددت: «ما الطفك!». وقف غرانت خلفها وقال:

- ما اغرب الاقوال المتناقضة التي يسمعها المرء في امسية واحدة!

استدارت تامي لتحدثه بعد ان وقفت بغية اعطائه مكانها:

- مرحباً يا سيد مانغ. انها سهرة رائعة. لا شك ان اللجنة ستثري من ورائها.

الى اللقاء يا ادريان. ساذكر كل ما قلته لي.

لوحت لهما بيدها فرحة قبل ان تتوارى بين الحشود. سألها غرانت:

- ماذا قلت لها؟

حاولت أن تقف وهي تجيبه بشيء من الغضب:

- لا اظن ان ذلك يهمك.

ضغط عليها بحيث ابقاها في مقعدها وقال:

- اجلسي يا صغيرتي. تعلمين اني كنت اتحدث الى ثريتنا الكبيرة، وانا احتاج الآن بعض الهدوء.

علقت ساخرة:

- اعرف فقد رأيتكما. كنت تبدو وكأنك تتحدث الى اكثر الناس امتاعاً.

- انها غريبة الاطوار يجب ان اعرّفك بها.

تحركت بارتباك خصوصاً انها لم ترغب في التعرف الى السيدة الثرية. قالت:

- عما تريدنا ان نتحدث الآن؟ اوتبغي ان نناقش تقليعات الليلة الغريبة هنا؟ لا شك انك لاحظت بعضها.

اوضح بجفاء بالرغم من مرحه:

- انها لا تشبه بعضها.

تحركت مجموعة من الاولاد في الطريق الخاص الموصل الى سارانغا بعيداً عن انظار والديهم. وقف غرانت ومد يده اليها قائلا:

- هيا نذهب الى بركة الزنبق حيث الجو اكثر هدوءاً؟

امسكت بيده الممدودة وسارت بجانبه الى خارج دائرة الضوء. قالت في الطريق:

- لم ار السيدة مانغ منذ بعض الوقت.

- دخلت غرفتها لتستلقي قليلا بعد ان ادت قسطها للعلى. ان هذا النوع من النشاطات لا يتلاءم مع شخصيتها.

تجمد الدم في عروقها وصاحت: «يا الهي!» ادارها نحوه وسألها: «ماذا جرى؟» اجابت بصوت مرتجف خائف:

- لقد قفزت ضفدعة لعينة فوق قدمي.

افلتها ثم كرر العبارة متمهلا حتى يتمكن من فهمها. ابتعدت عنه وصاحت:

- اني اكره الضفادع. اني اكرهك. لقد كانت سهرتي كريهة.

ضحك بهدوء واقترب منها طويلا مزعجاً مقيتاً. اطبقت يداه على كتفيها الدقيقتين وادارها نحوه قائلا:

- ترددين دائماً انك تكرهينني يا صغيرتي، فماذا افعل حتى ارضيك واغير رأيك؟

بدا في نور القمر شخصاً غريباً شديد البأس والعزم. خافت، وافلتت من قبضته بين الاعشاب الخضراء الكثيفة من دون ان تأبه للضفادع او غيرها.

بدت السيدة مانغ في صباح اليوم التالي متهللة وقد نسيت الساعات الطويلة التي امضتها في اعداد الحفلة، وانشغل فكرها بالمشروع التالي لجمع الاموال. جلست ادريان تصغي مذهولة الى حديث رفيقتها:

- تصوري يا عزيزتي اننا جمعنا الفي دولار بينها هبة كبيرة.

لم تكن بحاجة الى التفكير مرتين بالواهب. انها السيدة ذات الشعر الاحمر القرنفلي اغنى نساء استراليا. لم تحضر تلك المرأة الى الحفلة بشعرها الاحمر القرنفلي فقط، بل وبقبعة حمراء قرنفلية تلائمه. لقد اضاف وجودها على الحفلة غرابة فوق غرابة. همت ادريان بابداء ملاحظة حول صاحبة الشعر الاحمر لولا ان الاخيرة اقتحمت الباب الزجاجي برفقة فيرا في الوقت المناسب. لقد حافظت على لونها اذ ارتدت بلوزة حريرية قرنفلية وتنورة طويلة من اللون نفسه. من الممكن ان تضفي هذه الثياب جمالا وحسناً على عروس شابة، لكنها لم تفد صاحبتها في شيء. لم تدر ادريان ان ضيفتيها نامتا ليلتهما في سارانغا وذلك لأنها اوت الى فراشها عند الساعة الواحدة في حين كانت الحفلة لا تزال في اوجها.

نطقت السيدة الحمراء فلم يطابق مظهرها صوتها. انه صوت رخيم تنم نبرته عن تهذيب صاحبته وانضباطها. اما عيناها فتبدوان عن قرب ثاقبتين

حادتين.

قالت:

- صباح الخير يا صبية. اخيراً التقينا.

وقفت ادريان احتراماً لها، فلوّحت لها بالجلوس والقت بنفسها فوق احد المقاعد. راقبتها ادريان باعجاب وهي تخرج اداة صغيرة لامساك السجائر وتملأ الدنيا شهيقاً وزفيراً قبل ان تشعل واحدة. ركزت اهتمامها ثانية على ادريان، وضربت الهواء بيدها قائلة:

- عرفيني بنفسك يا صغيرتي. لقد سألت عن هذه الحسناء طوال الليلة، لكن احداً لم يجد الشجاعة الكافية لاعلامي بهويتها.

نفت السيدة مانتغ مزاعمها واعترضت بلهجة شديدة:

- ليس ما تقولينه صحيحاً يا ليلا. لقد اكدت لك بوضوح انها سكرتيرة غرانت وساعدي الايمن.

اسكتتها بحركة من يديها المزينتين بمجموعة من الجواهر الاسترالية النفيسة.

وقالت ثانية:

- عرفيني بنفسك يا صغيرتي.

ارتبكت ادريان قليلا، الا انها صمّمت ان تلبي رغبتها وتطلعها على الحقيقة كاملة.

قالت:

- اسمي، ادريان برنت. عمري اثنتان وعشرون سنة. اعمل هنا سكرتيرة للمنزل بغية الابتعاد عن سيدني لسبب او لآخر.

رفعت ليلا يدها في حركة مسرحية رائعة، ثم سردت قصة الفتاة وسيرتها ببلاغة صحفي ماهر. اوضحت:

- انني اعرف قصتك، اني اعرفها. لكل منا قصته. انت ابنة صاحب شركة برنت انجنيرنغ. لقد تزوج والدك من مادلين هاملتون الحسناء. توفيت والدتك منذ عشر سنوات... حادث مفجع! تزوج جون من سكرتيرته.. يا لها من امرأة شريرة!

- ليست سكرتيرته.

هذا هو خطأ العجوز المخيفة الوحيد، اما بقية القصة، فتعرفها بدقة.

غرقت ليلا في التفكير فيما استرجعت ذكرياتها قبل ان تقول:

- لا يهم. انني اتذكر هذا الوجه... انني واثقة اني رأيته من قبل. سيلين هاملتون. هي بالضبط. انك تشبهينها كثيراً. لكنها كانت متعجرفة للغاية.

لم يكن بوسع ادريان ان تنكر هذه الحقيقة، فطالما برزت هذه التعابير على وجه جدتها. التقت نظراتها بنظرات السيدة العجوز، واعجبت- هذه الأخيرة- بما رأته. ان ثمة شبه كبير بينها وبين جدتها. لكن الفتاة تتمتع بحيوية ونضرة ورقة لم تكن سيلين هاملتون تحاول اظهارهما امام العامة على الاقل. قالت ليلا:

- اعتقد انك لا تشبهينها في طبعها وعجرفتها.

استاءت فيرا لان ادريان الماكرة افلحت في كسب ود ليلا العجوز، كما وقعت السيدة مانتغ ضحية لمكرها. اما هي فأخفقت في استمالة السيدتين غير مرة. لا بد انها لا تملك خبرة ادريان ولا تعلم علمها. وفي حين ان فيرا لا تعمل شيئاً الا لغاية مبيّتة، فان لطف ادريان وظرفها يحث الآخرين على ملاطفتها ومسايرتها. ان الامر ليس طبيعياً، او هكذا تصورت فيرا. دخل غرانت الغرفة، فبادرته العجوز بالقول:

- طالما وصفتك بحصان اسود يا غرانت.

- حاذري في كلامك يا ليلا والا اسرجت حصاناً يحملك بعيداً.

اخفى مزاحه بعض الجدية. تحولت عينا العجوز الشريرتان الى ادريان التي خافت مما سيحدث. تقدم غرانت من العجوز وامسك احدى يديها المثقلتين بالجواهر وقال:

- هل سمعت ايتها الشريرة؟

لم تتأثر بكلماته، بل اجابته ضاحكة:

- لن تسحرني يا عزيزي ولا استطيع ان الومك.

وفجأة طبعت قبلة على خده تقبّلها برضى كامل. تحول بعد ذلك الى الفتاتين قائلا:

- سيحضر كريستوفر بعد الظهر للخروج بالجياد. فان شئتما نخرج معاً ونترك عجائزنا للعب الورق.

لما علمت ادريان ان ليلا المتحمسة للعب الورق كانت قد رتبت جلسة

بريدج لفترة بعد الظهر، ارتبكت قليلا. صحيح ان معاشرة كريستوفر امر سهل، لكن الخروج مع غرانت ركوباً قد يكون امراً متعباً، فهو سيثيرها وهي المبتدئة في علم الفروسية بين ثلاثة فرسان مهرة. اوضحت له الامر بعد قليل بقولها:

ـ ربما كنت عبئاً عليكم.

ـ لم تكوني كذلك بالنسبة الى كريستوفر. سوف نتدبر الامر يا صاحبة القلب الرقيق.

ـ ماذا تقصد؟

تحاشى الاجابة المباشرة، وقال:

ـ اولست كذلك؟

اطالت النظر اليه قبل ان تبتعد عنه مترددة وهي توضح قائلة:

ـ انك موهوب في تعذيب الآخرين. احذرك سلفاً، ان انت قلت كلمة واحدة مزعجة عن قدرتي على الركوب، سوف اترجل عن الحصان واحاول ان اعود ادراجي الى المنزل مشياً...

خرج غرانت وفيرا وادريان الى الاصطبل بعد الغداء حيث كانت ليلا قد املت عليهم بعد المقتطفات من نشرة البورصة. اما كريستوفر فقد سبقهم الى المكان واسرج الاحصنة. لما رأته ادريان مكباً على عمله، بادرته بالقول:

ـ ارتفعت اسهم شركة غولدسبورو نقطتين. يبلغ ثمن كل سهم من اسهم كاسلريدج دولارا ونصف دولار.

رفع بصره اليها مذهولا. لكنه لم يلبث ان فهم الامر فقال:

ـ هل باتت ليلا العجوز ليلتها هنا؟ ربما كان عليك ان تصغي اليها، فهي تملك اربعة ملايين دولار على الاقل كما يقولون.

ضحك ثم امسك الركاب لتمتطي السرج فصرخت:

ـ لا تمزح يا كريستوفر لأني مضطربة اليوم.

تقدم غرانت وفيرا رفيقيهما. لم تظهر فيرا بعد ظهر هذا اليوم عداءها لادريان كما اظهرته في الليلة الماضية لأنها ادركت من نظرة واحدة ان غريمتها لا تزال في المراحل الاولى لتعلم الركوب. ابتسمت لغرانت ابتسامة عذبة احتفظت له بها وقالت:

ـ احسب ان كريستوفر وادريان سيكونان زوجين رائعين علماً ان الآنسة برنت قد لا تكون زوجة مزارع صالحة.

القى نظرة باتجاه ادريان التي كانت تضحك لرفيقتها ورد:

ـ ان جمالها ينسيك اي عيب فيها، هذا اذا كان في هذه الفتاة القديرة اي عيب.

صرت اسنانها استياء. وتمنت لو تستطيع القضاء على الآنسة ادريان برنت بضربة واحدة. ليس هذا الجواب الذي ارادت ان تسمعه من غرانت. ولكن، ماذا دهاه. في اي حال، تكلفت ابتسامة رقيقة وهي تقول:

ـ ان ما تقوله يبشر بالخير. فلقد آن الاوان لكريستوفر الطائش ان يستقر.

استدار غرانت على سرجه وقال:

ـ لا اسمح لك بالتكلم هكذا عن كريستوفر. انه شاب نشيط ومجتهد، ويحق لماريون ان تفخر به ايما فخر.

كادت فيرا تصرخ من غيظها خصوصاً انه قلما تعارضت آراؤها مع آراء غرانت، وطالما سعت الى عدم حدوث مثل هذا الامر. سرعان ما انتقلت بالحديث الى مواضيع اقل اثارة. مواشي سارانغا... هذا امر اتفقا عليه دائماً.

اما كريستوفر وادريان فتبعاهما ببطء وهما يضحكان، والاصح انه كان يتكلم وهي تغرب في الضحك. رفعت ادريان قبعتها عن رأسها بالرغم من حدة الشمس، فداعب النسيم الشعر المنسدل على صدغيها.

ساروا حتى بلغوا مرتفعاً اوقف غرانت حصانه عند اسفله، واستدار نحو ادريان آمراً اياها بقوله:

ـ ضعي قبعتك فوق رأسك مخافة ان تصابي بصداع مع حلول الظلام.

تساءلت اذا كان قد عاد الى تسلطه، وعزمت الا تلبي رغبته. لكنها سرعان ما غطت رأسها بقبعتها العريضة الحافة. انحنى صوبها ليعدل وضع قبعتها القشدية اللون، ثم تأملها بعينين مرختين. استدار نحو كريستوفر مبتسماً ليقول:

ـ انه منظر مضحك. الا توافقني على القول ان الدور لا يناسبها؟

وجد كريستوفر نفسه يوافق بالرغم منه. فنقلت نظرها بينهما قبل ان تترجل عن الحصان وتقول:

- اني اخفق بالرغم من محاولاتي المتكررة. لذلك احسب اني ساعود الى المنزل مشياً.

هذه هي فرصتها التي لا يمكنها تفويتها. جلست القرفصاء على العشب الاخضر. حنت رأسها فوق ركبتيها فانسدل شعرها جانباً ليحجب وجهها عنهم. ناداها كريستوفر قلقاً فلم تجبه. هل ادركت ان غرانت كان يمازحها لانه لم يتزعج؟ في اي حال، نزل غرانت عن حصانه وتقدم منها ليوقفها. لاحظت انه كبت المرح في عينيه عندما تأملها. قال:

- انهضي! لم تفلحي في اقناعنا.

قالت لكريستوفر وهي تضحك:

- على الاقل، خدعتك انت.

- فعلا ايتها المحتالة! ما ادهاك! اعتقدت اننا اسأنا اليك اساءة كبرى.

لم تؤيد فيرا رأي كريستوفر، وتكلمت بلهجة مبهمة:

- يمكننا ان نتابع سيرنا اذا كنا قد انتهينا من هذا المزاح المزعج.

سرعان ما احمرت ادريان بينما اجلسها غرانت فوق السرج وطوق خصرها بذراعه قائلا:

- كفاك هزاراً يا آنسة برنت. اننا لم نخرج اليوم في نزهة ركوب لنتسلى.

اختلست نظرة الى وجهه النحيل الذي بدا لطيفاً وخالياً من التعبير، وتساءلت عما اذا كان يسخر من فيرا.

تابع الاربعة سيرهم، فتحينت فيرا فرصتها للاقتصاص من ادريان لاسيما انها لم تجابه بمعارضة في خلال سنيها السبع والعشرين. لقد جمع والدها ثروة ضخمة بعرق جبينه اذ راد هو ووالده القفار الشاسعة وحولاها بقوة سواعدهما واحة خضراء. لكنه لم يرد ان يسير ولداه سيرته، فارتكب خطأ بعدم تعريضهما لأي نوع من السلطة الحازمة الأبوية او غيرها. لذلك وقفا عاجزين امام اية عقبة تواجههما. هكذا اخفق هاري ستيرلنغ الممتاز في تنمية شخصية ولديه اللذين لا تلقى عليهما كامل المسؤولية.

لمحت ادريان في عيني رفيقتها الخضراوين الحقد عليها، فتأكدت من خطأ موقف فيرا وحبها المجنون للسيطرة والتسلط. لا شك ان فيرا في

أواخر عقدها الثالث، وان غرانت عرفها منذ طفولته وقد كان امامه متسع كبير من الوقت حتى يخطو خطوة ايجابية باتجاهها. لذا، تيقنت ادريان بحدسها وحسها المرهف- بالرغم من تلميحات فيرا وتحذيرات السيدة مانينغ- انها لم تحل قط بين غرانت وبين قراره بالزواج من الفتاة.

اجتازوا ارضاً خالية من الاشجار في الغابة قبل ان يقصدوا الجدول المحاط باشجار الصفصاف عبر طريق متعرج يشتد انحداره في بعض الاماكن. كان غرانت في الطليعة في حين تولت فيرا المؤخرة. الا ان ادريان تمنت لو ان فيرا تتقدمها.

لكزت فيرا غيما بعقب سوطها لكزة قوية لحظة نظر غرانت خلفه ليرى كيف تقدم الآخرون وراءه. لمح فجأة المهرة تنحني وتوقع فارستها غير المجربة. عندئذ دوّى صوت كريستوفر في الغابة صائحاً: ادريان! ادريان!

ترجل غرانت عن جواده في الحال، واندفع الى ضفة الجدول حيث تمددت ادريان جامدة بلا حراك. لمسها بلطف، فتأكد انها لم تصب بكسور نظراً الى كثافة العشب. غير انها اصطدمت بصخر. ازاح شعرها واكتشف مكان الصدمة بسهولة حيث جرح الجلد وتورم. لقد كانت ضربة قوية كافية للقضاء على الفتاة.

احتضن رأسها بين يديه ورفع نظره الى فيرا التي بهت وجهها من شدة الرعب. كانت ملامحه مكفهرة ومخيفة اربكت فيرا المذهولة بسبب سوء مقاصدها ونواياها. يا لحظها السعيد! اغمي على الفتاة فقط.

وجهت حصانها نحو المنزل، وتكلمت بمرارة:

- يسهل علي ان اعلم متى اغدو شخصاً غير مرغوب فيه. ساغادر المكان في غضون ساعة.

تيقنت ان هذه هي النهاية. فما لمحته في عيني غرانت ليس سوى قرار نهائي حاسم. صحيح انه لم يفه بكلمة عن زواجهما، الا انها اعتبرته امراً مفروغاً منه.

عادت ادريان المستلقية على ضفة النهر الى رشدها واستردت شيئاً من نضرتها، فتطلعت الى غرانت وكريستوفر الجاثمين بقربها وتأوهت قائلة: «ماذا حدث؟» صعب عليها النطق. غير انها ادهشتهما بضحكها اذ شاهدت الخوف والذعر على ملامحهما. تمنيا لو انها لم تضحك. تكلمت

ثانية:

- هل يقول الجميع بعد ان يفيقوا من اغمائهم ماذا حدث؟ لم اكن اؤ من بذلك حتى الآن.

مد كريستوفر يده وربت على خدها. اخفت رأسها في قميص غرانت، وتذكرت ماذا حدث. ولكن احداً لم يخبرها اين ذهبت فيرا. تحدث غرانت بسخريته المعتادة:

- سأحملك معي يا ادريان على الحصان لأنك اسوأ فارسة عرفتها. اما انت يا كريستوفر، فاسرع بالاتصال بالدكتور ايفانز. لا اعتقد انها مصابة اصابة خطرة، لكنني اود ان اطمئن.

قفز كريستوفر فوراً، وامتطى جواده. خاطب ادريان المتمرغة في التراب:

- كوني فتاة مطيعة.

استلقت على ظهرها لتجد الالم يزداد في رأسها، ووجه غرانت يختفي عن ناظريها. مدت يدها بقصد لمسه وقالت:

- اني لا اكاد ارى وجهك يا غرانت.

امسك يدها وقال:

- قولي لي متى ترينه بوضوح.

اغمضت عينيها الى ان توقفت الارض عن الدوران. عندئذ فتحتهما لتجد عينيه الرماديتين مسمرتين عليها، واصبعه يداعب وجنتها. تكلمت برقة:

- انني بخير يا غرانت. عاد كل شيء الى وضعه الطبيعي وثباته.

لاحظت ان عينيه اشد ثباتاً واكثر اتساعاً وذلك لأن نظراته كانت مختلفة...

انها حزينة تعكس تأملاته. قالت متنهدة:

- اتمنى لو ابقى هنا الى الابد.

- اكاد اقول هذا هو الوضع الذي ارغب فيه.

رفعها بين ذراعيه بلطف بالغ قال:

- سأحملك معي حتى نعود بسرعة كبيرة الى المنزل. استرخي.

اجلسها فوق الحصان ثم ركب خلفها واسندها الى ذراعيه. ادنى فمه

من اذنها هامساً:

- استرخي يا حبيبتي. اغمضي عينيك.

فعلت ما امرها به. لقد اخبرته الحقيقة كلها عندما قالت انها تتمنى ان تبقى بقربه الى الابد. الا ان الالم الشديد في رأسها لم يسمح لها ان تتحقق مما اذا فهم قصدها ام لا. ضغط ذراعه حولها، وادار حصانه نحو المنزل.

عندما بلغت فيرا المنزل كان شعورها بالذنب قد تحول غضباً وضيقاً. تطلعت اليها لاعبات البريدج مذهولات، وادركن ان ثمة ما ينبيء بحلول كارثة. تأملت السيدة مانتغ وجهها المتوتر وسألتها:

- ماذا جرى يا فيرا؟ ماذا حدث؟ اين الآخرون؟

احست فيرا ان ليس هناك داع لمماقة السيدة مانتغ، فاقتحمت الباب الزجاجي متجاهلة سيدة سارانغا بكل وقاحة ولم تلقي نظرة واحدة باتجاهها. اكدت ليلا:

- يسعني التأكيد ان آمال اللعينة قد خابت.

عندئذ اصابت ليلا نوبة سعال حادة تذكرت معها قول طبيبها قبل ثلاثين سنة انها لن تعيش اكثر من ستة اشهر. التفتت اليها السيدة مانتغ بخوف. توقفت عن السعال صارخة: «العبي (الورق) يا هيلن». لم ترد ان يفسد الحديث عن فيرا جلستها، فعادت السيدة مانتغ الى اللعب خصوصاً وان احداً لا يجادل ليلا.

بعد عشر دقائق تقريباً ارتقى كريستوفر السلم قفزا. كانت هذه النهاية. اشمأزت ليلا لانه لم يعد امامها مجال لاسترداد خسارتها، فضربت الورق على الطاولة وصاحت:

- من الافضل ان نتوقف عن اللعب.

اما السيدة مانتغ فكانت قد ملت اللعب منذ وصول فيرا التي شاهدت السيدات سيارتها المرسيدس من النافذة تسرع لاجتياز الممر. تراجعت ليلا في مقعدها واسندت ظهرها قبل ان تشعل سيجارة وتقول:

- اخبرنا ماذا حدث يا بني.

استدار كريستوفر نحو السيدة مانتغ قائلا:

- سقطت ادريان عن الحصان.

تبدّلت ملامح وجهها من شدّة الخوف فاضاف قائلاً:

- لا تقلقي. انها بخير. لكن غرانت يريد احضار الدكتور ايفانز للاطمئنان.

اسرعت هيلن الى التليفون واكدت ليلا قولها: «لقد دفعتها اللئيمة عن الحصان».

تقدم كريستوفر من ليلا بعد ان تفرقت السيدات بلباقة. هز يدها وقال:

- لا تجبريني على قول ما اريده ايتها العجوز الثرثارة.

الجميع يعرف ليلا دنكن. الا ان القليل منهم تجاسر على مناداتها بالعجوز الثرثارة لأنها طالما شكلت خطراً في ايام عزها. هزت رأسها واجابته بمرح:

- ليس بوسعك خداعي يا بني، فقد عشت هنا طويلا. لقد افسد هاري ستيرلنغ ولديه

اوضحت له ذلك، لكنه لم يصغ. لا احد هنا يريد ان يصغي.

اجاب بقصد تحويل اهتمامها عن الموضوع:

- اما انا فاريد ان اصغي. ارجو ان تلقي على مسامعي تقريراً عن البورصة.

عندما يثير امر ما اهتمام ليلا، يصعب على احد ان ينسيها الموضوع. لكنها نسيت الآن وذلك لأنها تعتبر مراجعة آخر تقلبات السوق المالية اهم من اية اشاعة.

تحدثت فاصغى كريستوفر الى كلامها بامعان.

وصل غرانت وادريان بينما كانت السيدة ماننغ تقف مع الدكتور ايفانز على الشرفة حيث خرجت لتستقبله. استدارا ليراقبا الشابين يرتقيان السلم نحوهما. بدت ادريان على ما يرام، فقد سارت بخطى ثابتة مطوّقة بذراع غرانت. اصطحبتها السيدة ماننغ فوراً الى غرفتها فيما لحق الطبيب بهما.

عندما رأت ليلا غرانت يدخل الغرفة قررت استجوابه. قالت:

- لقد فعلتها المجرمة اللئيمة، اليس كذلك؟

- اصمتي يا ليلا والا اخبرت الجميع كيف استوليت على شركة فيلدنغ ترايدنغ.

- لن تفعل لان احداً لن يصدقك.

انفجر ضاحكا، فشاركته ضحكه لانها علمت ان الجميع سيصدقونه. هذه حقيقة. اما كريستوفر فخرج الى الشرفة لينتظر قرار الطبيب الذي اضطرب قليلا كعادته. لقد اضطلع على جرح ادريان، ولم يتمكن من معالجته على نحو يرضيه لان ادريان رفضت ان يقص بعضاً من شعرها، وايدت السيدة ماننغ معارضتها. لذا اضطر الطبيب ان يضمد الجرح ويتركها لتستريح.

انتظر كريستوفر حتى اعلن الطبيب سلامة الوضع، فرافقه الى السيارة، لوّح الطبيب بيده لغرانت الذي رافقها، ثم ابتعد بسيارته. راقبه غرانت حتى غاب عن ناظريه، ثم رجع الى جناح ادريان.

كانت الساعة قد تجاوزت السادسة، فتركت هيلن مصباح السرير الجانبي الذي انعكس نوره الملون بلون الذهب القديم على وجه الفتاة الشاحب المستلقي فوق الوسادة مع لون الناموسية. جلست ادريان في السرير قليلا لتشكر الله على ان قميص نومها كانت محتشمة تتميز بطوق عال حول عنقها وبثنيات مطرزة مجموعة فوق بعضها. ردت شعرها المشعث الى الوراء وهي تحس بالنعاس بسبب العقار الذي تناولته.

وقف غرانت عند اسفل السرير قبل ان ينحني فوقه ويقول:

- صحيح انك تبدين ضعيفة جداً وانت تجلسين على السرير، الا انك تشعرين بامان لا تعرفينه وانت على ظهر الجواد.

ذعرت اذ رأته يدور حول السرير. اتسعت عيناها خوفاً من رجولته الطاغية. سخر منها قائلا:

- آه يا ادريان! ان عينيك تفضحانك. هل تصورت انني ساقبلك؟

كادت تغفو لكنها ابتسمت له. اطفأ النور واقترب منها، امسك وجهها بيده، ولمست شفتاه وجنتها، بينما كانت عيناه تلمعان كنجمتين وسط ظلام الغرفة. واستقرّ رأسها قليلاً بين يديه قبل ان يهمس في اذنها:

- لن اخيّب املك بعد اليوم، هل اتفقنا؟

ابتعدت عنه عندما احست عالماً جديداً في صوته، ودفنت وجهها في الوسادة.

احست يده على شعرها قبل ان يذهب ويغلق الباب وراءه بهدوء. استلقت على السرير، وخفق قلبها بقوة. صحيح انها رأت رجالا آخرين

قبله، ولكنها لم تعرف مثل غرانت. انها لا زالت تحس بصوته العذب. أنت بصوت عال ثم غرقت في بحر النوم.

٧ ـ وصل البيانو أثناء ملازمتها الفراش. وبعد شفائها، تحوّل عزفها اليومي الى جزء من حياة البيت. . . وقبلت دعوة غرانت لحضور سباق الخيل. فعاشت وقتاً من الحب والمرح.

في اليوم التالي غادرت فيرا ليلاً سارانغا ووصل البيانو اليها ، الا ان ادريان لازمت الفراش ولم تشاهد اياً من الحدثين. عندما احضرت السيدة فورد الفطور سألتها اذا كانت ترغب في تناول طبق خاص على الغداء، وأظهرت كل استعداد لتحضيره. لقد اقتحمت فيرا المطبخ امس، وتمكنت السيدة فورد بعد ذلك من جمع القصة. صحيح انها لم تكثر من الكلام، لكن لم يفتها سوى القليل من اخبار العائلة. وقفت بجانب السرير وكدست الوسائد خلف ظهر الفتاة منتظرة جوابها. تناولت ادريان كوب عصير الفواكه المنعش وقالت:

ـ لا تكلفي نفسك عناء وجبة خاصة. سأنهض قبل الغداء بكثير.

لم تعلق السيدة فورد بشيء علماً ان غرانت كان قد انبأها بالحادث، وطلب اليها نقل الوجبات الى غرفة ادريان بغية ملازمة الأخيرة فراشها. انها لا تذكر ان سيد سارانغا تراجع مرة عن مواقفه. لذلك ستصدم الفتاة في آمالها. راقبت ادريان وهي تجرع العصير، ثم توجهت نحو الباب هامسة: «سوف نرى ماذا يحدث».

فور مغادرة السيدة فورد الغرفة شرعت ادريان بتناول البيض المقلي والخبز المحمص المطلي بالزبدة، ثم رشفت بعضاً من القهوة اللذيذة. ليس لها ان تحزن على ما اصاب فيرا، كما لا يجوز لأحد أن يلوم فيرا على حبها لغرانت. أوليست هي أيضاً هائمة فيه؟ ولكن، لماذا لم يخطر لها من قبل أن غرانت قد شجع فيرا على ان تحبه؟ قطبت جبينها. من المؤكد انه فعل، والا لما كانت فيرا قد تورطت الى هذا الحد.

www.elromancia.com

وضعت الفنجان على الصينية وهي تفكر انه من السهل على المرء أن يخدع نفسه. انها تعرف ان ثمة ما يشدها الى غرانت. يشدها اليه؟! يا لها من عبارة لا تكفي لوصف مشاعرها نحوه! الا تحبه؟ ليست ساذجة بحيث لا تستطيع التمييز بين الموقفين. ماذا يريد منها وهو يكبرها باثنتي عشرة سنة ويفوقها خبرة ومهارة؟ لا شك انه مغازل غني ونشيط للغاية. رفعت فنجان القهوة ثانية، ثم لم تلبث ان اعادته الى موضعه بجلبة. «اف! انه بارد!» لا شك انها امضت وقتاً طويلاً تفكر بغرانت، وهذا امر سيفرح ذلك الخليع الغني. نهضت واستحمت بسرعة، ثم ارتدت ملابسها. عاد رأسها يؤلمها، فاكتشفت انها لم تتحسن الى الحد الذي تصورته. اخذت تسرح شعرها فسمعت طرقاً على الباب. تماسكت ونادت «تفضل!» اغلب الظن ان السيدة مانينغ حضرت لتعودها وتطمئن عليها. كم تتمنى ان تبدو معافاة مع مطلع الاسبوع.

نظرت الى المرآة مذعورة اذ رأت غرانت يتقدم منها ويسألها:

- ماذا تفعلين؟

- الأمر في غاية الوضوح. اني اسرح شعري استعداداً للذهاب الى المكتب لأني انوي اداء بعض الأعمال هذا الصباح.

رفع حاجبيه ساخراً من الحدة في نبرتها، فأدركت انه يضحك منها. اضافت ببرودة:

- آمل الا تعترض على موقفي، فأنا هنا حتى اعمل.

- ما الذي جعلك تقولين هذا؟ اعتقد انك تسعين الى تبرير نفسك.

لاحظت المرح في نبرة صوته، فتلاشى غضبها. الا انها عضت شفتها وكادت تنفجر باكية. صاحت:

- هيا اخرج!

- لا تثوري في وجهي يا صغيرتي. اخلعي ثوبك هذا وعودي الى فراشك.

خفضت رأسها والدموع تترقرق في عينيها. طوقها بذراعيه وهمس:

- ادريان... لا تعقدي الامور يا صغيرتي. لقد تلقيت ضربة قوية على رأسك. لذلك اريد ان تستريحي قليلاً. ايزعجك الأمر الى هذا الحد؟

كانت كلماته لطيفة ومطمئنة، فلم تقوَ على مجادلته. زال توترها وعادت

الى السرير. راقبها بصمت، ثم توجه الى الباب قائلاً:

- وصل البيانو. بامكانك ان تعزفي عليه غداً. سيحضر احد الاختصاصيين بعد الظهر ليجربه.

- ولكن، من سيوزع البريد؟

- اوتحسبين اني عاجز عن تدبر امري بدونك يا آنسة برنت؟ سرعان ما سأعجز عن ذلك في حضورك.

- آه يا غرانت!

هم بالنطق، لكنه غير رأيه وذهب ملوحاً بيده.

كان رأسها يؤلمها، فخلعت ثيابها ورجعت الى فراشها حيث امضت يوماً هادئاً اصغت في خلاله الى مدوزن البيانو وهو يضرب بعض الأوتار عشوائياً ثم يعزف لحناً من تأليفه.

زارتها السيدة مانينغ عند العصر لتعترف انهم احتضنوا أفعى في منزلهم.

ذهبت ادريان باكراً في صباح اليوم التالي لتجمع البريد. لا شك ان غرانت خصص بعض وقته لتوزيعه امس. شعرت بتحسن كبير، وأكدت على ذلك حين سألتها السيدة مانينغ في أثناء الفطور عن صحتها. لن يجعلها سقوطها مرة واحدة عن ظهر الجواد طريحة الفراش الى الأبد.

نظمت البريد بسرعة، وتاقت الى بدء العمل فوراً مع انها لم تعتبر عملها في سارانغا مجرد وظيفة عادية بل سعي الى ترتيب بيت تحبه. ولكن، متى بدأت تشعر بانتمائها الحقيقي اليه؟ ربما منذ لمحت اشجار الجكرندا التي كانت فأل خير وسعادة عليها. ادركت ببعض الذهول ان هذا الشعور لا يخالجها في المنزل الجديد الذي بناه والدها لزوجته الثانية. كان من الطبيعي أن ترفض ليندا العيش في المنزل الذي نشأت فيه ادريان وترعرعت. تعاظم حزنها وعادت الى العمل. ادارت الآلة الكاتبة الكهربائية وأصغت الى ازيزها. ان العمل اليدوي البسيط يريح اذكى النساء وأشدهن تعقيداً. عملت طوال النهار، ولم تر غرانت الا عند العشاء. نظر اليها عبر الطاولة وقال:

- سوف نستمتع الليلة بسماع عزفك يا آنستي.

وافقته السيدة مانينغ على رأيه وقالت للفتاة:

- لقد طلبت الي الا اسمعك اثناء التمرين، لكني وجدت صعوبة في

تلبية رغبتك.

كانت ادريان قد تمرنت ساعة كاملة عند العصر بعد انقطاع عن العزف دام ستة اسابيع، وهذا وقت طويل بالنسبة الى أي موسيقي. تذكرت الخوف الذي كان يتملكها عندما تعزف في بعض المناسبات. الا انها ادركت ان الأمر مختلف هذه المرة وستستمتع بالعزف.

بعد العشاء انتقلوا الى قاعة الجلوس حيث رفع غرانت الغطاء عن البيانو الفاخر المصنوع من خشب الأبنوس ودعاها الى العزف. تحمست وأحست بمداعبة المفاتيح الملساء لاصابعها حتى قبل أن تقترب من البيانو.

تراجعت السيدة مانغ في مجلسها وبدت كما لو كانت تحضر حفلة موسيقية جاءت اليها مع كرسيها الخاص. رجع غرانت الى مقعده من دون أن يفوه بكلمة.

تقدمت ادريان من البيانو وجلست امامه تمرر انامله فوق مفاتيحه متفحصة مرونتها. ثم بدأت بعزف مقطوعة حالمة حزينة تبعث في النفس حنيناً الى الماضي. كانت ثورتها قد هدأت مع نهاية المعزوفة، وتمكنت من الحكم على مرونة البيانو.

لم يتكلم أي من مستمعيها عند نهاية المقطوعة، فأكملت عزفها مختارة الحاناً مختلفة لشومان ورخمانينوف وشوبان. نسيت جمهورها وأحست بالقوة تزداد في اصابعها، فكان عزفها ممتازاً خالياً من الأخطاء.

انتهت من عزفها ومرت دقيقة قبل أن ينطق احد بكلمة ثم رفعت السيدة مانغ رأسها عن مسند الكرسي قائلة:

ـ اشكرك يا عزيزتي. سحرني عزفك الرائع.

نظرت الى عيني غرانت بدون أن تدري. خاطبها مبتسماً:

ـ انك تعزفين جيداً يا صغيرتي. اننا بالغو التأثر.

نهضت وأنزلت الغطاء على البيانو بعد أن عزفت مدة ساعة استمتعت بها اكثر من جمهورها، وهذه الحقيقة تزيد العازف الماهر فرحاً وتعوضه عن السعادة الكبيرة التي يقضيها في التدرب الشاق. زال توترها وشعرت بالأمان والطمأنينة... بعد تلك الأمسية بدأت تخصص يومياً ساعة للعزف انتظرها الجميع بفارغ الصبر. لذا اقترح غرانت ان تتمرن ساعة كل صباح موضحاً ان ذلك لن يضيره في شيء طالما ادت واجبها ورتبت

اوقاتها، وهذا ما كانت تفعله بالضبط.

اعتبرت عرضه كرماً عظيماً، وعبرت له عن رأيها في صباح اليوم التالي بينما كان يملي عليها بعض الرسائل. نظر اليها ساخراً وقال:

ـ احسب انك بدأت تتغلبين على صدمتك الأولى يا آنسة برنت.

ألقت القلم على الطاولة ووضعت ذقنها في راحة يدها. قالت:

ـ كم كنت متوحشاً يومذاك! لا اذكر اني كرهت احداً كما كرهتك للوهلة الأولى.

ـ طلبت من وكالة هورتون ارسال سكرتيرة كفوءة. تصورت انها ستكون امرأة في العقد الرابع من عمرها تضع نظارتين طبيتين أثناء العمل. لكنهم بعثوا لي شابة حسناء لها عينان خضراوان وبشرة نضرة تحاكي في اشراقها زهرة الكاميليا. كما انها مفعمة بالحيوية وتستحثني على العمل وتحرمني من السيطرة على نفسي احياناً.

نظرت اليه وهي تفكر ان ليس من الرجولة في شيء ان يلجأ الى المبالغة والكذب. قال:

ـ ما هذا الصمت البليغ يا آنسة برنت؟ لماذا لا تعترفين بالحقيقة؟

ـ لا شك انك تمزح يا غرانت. اعتقد ان الجميع كانوا سيبادرونك برد فعل مماثل. لقد كنت قاسياً وصلباً وعنيداً.

ضحك ثم اخرج سيجارة اشعلها من دون أن يحول عينيه عنها. بدا مكتمل الرجولة شديد الحيوية بحيث اجبرها على البقاء في مقعدها. قال:

ـ ليس الجميع يا عزيزتي، بل وحدك انت لأن احداً لم يدجنك يا صغيرتي.

تطلعت اليه مشدوهة. لا شك انه يمزح بالرغم من الجدية الظاهرة على محياه. قالت:

ـ اني لا افهمك يا غرانت. لكنني في أي حال اشكرك على سماحك لي بالتمرين يومياً.

ـ يا لأدبك الجم! (ناولها مجموعة من الأوراق المطبوعة موضحاً) ستلاحظين بعض التغييرات. آسف لافسادي طباعتك عليك. لكن التغييرات ضرورية. علي أن اذهب الآن حتى اتمكن من تأدية بعض الأعمال في كوريونغ.

اطفأ سيجارته بعد أن دخن نصفها. قام عن الطاولة حيث كان يجلس وخرج ملوّحاً بيده.

تأملت الصفحات. بعض التعديلات! لماذا أفسد العمل الذي انجزته على نحو جيد؟ لم تأتِ الى هنا لتستفسر عن الأسباب. ادخلت الورقة في الآلة. سيستغرقها هذا العمل وقتاً طويلاً.

رجع غرانت في ساعة متقدمة بعد الظهر ليجدها تقف وسط الغرفة في حالة هياج وخوف غريبة. لم تكد تراه حتى وثبت باتجاهه صارخة:

ـ الحمدلله انك عدت. في المكتب فأر لم يتوقف عن العدو في الحجرة طوال بعد الظهر. سأجن اذا لم تقتله.

نظر اليها، فوجد انها ثائرة بالفعل هذه المرة ولا تكثر من المبالغات على عادتها. خاطبها ببرودة:

ـ يا للحيوان الوقح! اعتقد انه دخل من الحديقة نظراً الى حاجته لمن يسامره.

ـ غرانت! كان الفأر يعدو في المكتب من دون أن يكترث لوجودي. ضربته بهذا الملف الضخم لكني اخطأته. سوف اجن.

اخفق غرانت في محاولته قتل الفأر. في هذه اللحظة اندفع الحيوان الصغير من خلف الخزانة وخرج من الباب بسرعة بالغة كما لو كانت كل قطط العالم تطارده. اقتربت من غرانت الذي ربت على كتفها يطمئنها بقوله:

ـ سأعلق يافطة تقول: «الزيارات ممنوعة». هذا هو الحل.

ارتجفت قليلاً، فهزها قائلاً:

ـ يا لك من جبانة يا صغيرتي تخافين من الضفادع والفئران والغرباء! حسناً، هل انتهيت من طباعة المقال؟

ـ طبعاً، طبعاً يا سيد مانينغ.

ـ عظيم! لا بد لي ان اصفعك من وقت الى آخر حتى اظل مسيطراً عليك.

احست بشيء من الخشية وهي تناوله المخطوطة المطبوعة. تناولها وتفرس فيها قليلاً قبل أن يخرج من الغرفة. ما هي الا لحظات حتى سمعت سيارة المرسيدس تدور، فشعرت بالذنب، لأنها أخرته بامور سخيفة.

تنهدت وأملت الا يعود الفأر ثانية، فالطقس حار لا يسمح باغلاق الباب.

في المساء جعل غرانت من الحادث البسيط قصة طويلة مضحكة. اذا كان هدفه الحصول على تشجيع السيدة مانينغ، فان آماله قد خابت لأنها اخفت اشمئزازها. قالت:

ـ ما اوقحه! يجب علينا ان نكافح الفئران!

ـ اني ارحب بجهودك المشكورة يا سيدتي، فتفضلي.

تطلعت اليه ادريان وقالت:

ـ اذا كنت تبحث عمن يشاركك الضحك على قصتي وطرافتها، انتظر حتى تلتقي كريستوفر.

ضحك وغير الحديث فوراً.

سمع كريستوفر القصة يوم الجمعة لما حضر لمشاهدة عرض لتدريب الجياد على العدو. بعد الظهر سأل غرانت ادريان اذا كانت ترغب في النزول الى الميدان والتفرج على سباق تجريبي. لم تتردد في قبول الدعوة ووقفت ملهوفة. تأمل غرانت تنورتها الكتانية. قال:

ـ الأفضل ان ترتدي بنطلوناً. ربما جلست على السياج.

اظهرت له ضيقها اذ تجاوزته من دون ان تتكلم. ناداها بمرح:

ـ عودي بسرعة لأن الوقت قصير.

رجعت في أقل من خمس دقائق ليتأمل بلوزتها القطنية ذات الخطوط البيضاء والزرقاء وبنطلونها الأزرق. انزعجت وقالت غاضبة:

ـ ما اكثر ما تدقق النظر في الأشياء!

ـ أوتقصدين نفسك بهذا الكلام؟

لم تنوِ مجادلته، فاندفعت الى الخارج. لحق بها وأمسك ذراعها ليقودها الى حقل التدريب. بدا لها انه كان مرحاً.

هذه هي زيارتها الأولى للميدان الذي تأملته باعجاب. الشمس تسطع في كبد السماء وتنعكس اشعتها على العشب الأخضر والسياج الأبيض. اما الجياد الأربعة وفرسانها فكانت قد دخلت الميدان. تجمع حول السياج المقابل حوالى عشرين عاملاً يدخنون وينظرون الى الطرف الآخر من الميدان من دون أن يوجه احدهم نظرة واحدة نحو الفتاة. لذلك استغربت قلق غرانت وتحفظه ازاء ثيابها، واقتنعت ان راكيل ولش النجمة السينمائية

المعروفة، بحسنها وفتنتها، تستطيع الدوران حول الملعب مرة كاملة من دون أن تلفت الأبصار.

اجلسها غرانت بسهولة على السياج حيث ثبتت قدميها في أسفله من دون أن تشعر بالأمان، ثم راقبته يخرج ساعته ويومىء برأسه الى مساعده. انطلق المسدس معلناً بداية السباق حيث انطلق الفرسان الأربعة حسب اسلوب الركوب الاسترالي معتمدين على الركابات القصيرة والظهور المقوّسة. تحمس الرجال وأخذوا يهتفون مشجعين، وانتقلت عدوى الحماسة الى ادريان.

تعادلت الجياد في الجولة الأولى. لكن الجواد الأكبر وهو أشهب اللون قطع المسافة في الجولة الثانية بسرعة بالغة في نصف الوقت. ضغط غرانت ساعته وتبين الوقت. بدت عليه الحماسة ايضاً علماً انه لم يشتم أو يلعن. راقبته ادريان يقفز فوق السياج ويتقدم من الفرسان الذين كانوا يربتون على جيادهم ويداعبونها بمودة.

ودت لو ترى صورة مختلفة لحياة غرانت المحب للعمل، في الخارج. انه يفرح بعمله فتضيء عيناه سعادة وتخف حركاته بحيث يقفز السياج بدون خوف. لكنها لم تألف هذه الحياة مع انها احبت مراقبة السباق خصوصاً وان الجياد حيوانات رائعة. الا ان الناس هنا يختلفون عنها. التفتت حولها لترى الجميع يربتون على ظهور بعضهم ويقذفون بقبعاتهم في الهواء ثم يقفزون ويتصرفون بطريقة بدائية. ضحكت بصوت عال، فتطلع اليها احد العمال مندهشاً. امال قبعته القديمة البالية وتقدم منها. قال:

ـ هل رأيت السباق يا آنستي؟ ان روبي اللعين يستطيع ان يسحر الجياد.

ـ فرهانك اذن على روبي. كنت اتصور ان الحصان هو الذي فاز في النهاية.

ـ الحصان! انه مبارز جيد. ينبغي أن نقول ان ريغل رولر تغلب على تيودر غولد.

تأملت ادريان كريستوفر يترجل عن حصانه ويتطلع اليها ملوّحاً بيده. لوّحت له في المقابل وكادت تسقط عن السياج. اندفع صديقها الجديد اليها بخفة وساعدها. قال:

ـ اثبتي في مكانك يا آنستي. كدت تقعين عن السياج.

تقدم منها غرانت ببضع خطوات عريضة وقد تنازعه القلق عليها والهزء منها. قال:

ـ يا لك من حمقاء! انك تشكلين خطراً على نفسك يا ادريان!

انزلها عن السياج وهو يمسكها بيد قوية ثابتة ازدادت دهشتها عندما لمحت قلق كريستوفر وتعبيره الغريب الموحي بانه خشي ان تكون قاعدة تمثاله رخوة الى هذا الحد. احسنت فهمه، فضحكت له وخاطبته قائلة:

ـ هل تحسبني عرضة للسقوط دوماً يا كريستوفر؟

علا الارتياح محياه وتيقن ان ادريان لا تخجل البتة من ضعفها في الاحتفاظ بمجلس ثابت فوق سياج او حصان. توجهت نحو غرانت وسألته:

ـ ما هو وجه القربى بين ماونت غولد وتيودر غولد؟

ضحك كريستوفر، وتردد غرانت في الاجابة. الا انه قال:

ـ لا شيء. غير ان تخمينك صائب.

ـ لا يزعجني ان تضحكا علي لأنني اعرف اشياء كثيرة تجهلانها.

لمس غرانت شعرها الطويل قائلاً:

ـ ماذا تعرفين؟

ـ الفائزين الثلاثة الأول في سباق ميلبورن منذ نشأته.

بدا كريستوفر مصدقاً، اما غرانت فاكتفى بشد احدى خصلها وقال:

ـ لن نحرجك بالسؤال.

الحقيقة انها لا تعرف الحصان الأفضل في سباق السنة الماضية ولا تعرف الفارس الرابح. لذا قررت ان تغير الموضوع:

ـ اشكرك لأنك سمحت لي بالنزول الى الميدان. استمتعت بمشاهدة السباق مع اني لا اعرف الكثير عنه.

لم يقتنع كريستوفر انها لا تستطيع زيادة معرفتها. فقال:

ـ بوسعك ان تتعلمي كل ما يتعلق بهذه الأمور. سأرافقك الى المنزل حتى انقل رسالة من والدتي الى هيلن العزيزة.

التقت عيناها بعيني غرانت الساخرتين. قال:

ـ احسب ان من الأفضل ان لا يختلق الانسان حجة حتى يعمل عملاً. في اي حال، لا تتأخر يا كريستوفر لأننا لم ننته بعد.

راقبهما يبتعدان، ثم استدار نحو الرجال الذين كانوا يعدّون اجورهم او ما يشبه ذلك. نظر كريستوفر الى الفتاة السائرة بجانبه قائلاً:

- كلما التقيتك لاحظت حسنك.

- لا تكثر من مجاملاتك لئلا يصيبني الغرور.

لم يتوقف عن مزاحه طوال الطريق، فوجدت صعوبة في تحاشي مجاملاته. بدا عليهما التحرر والفتوة. راقبتهما السيدة مانتغ من المنزل وحزنت لكونهما لا يناسبان بعضهما. انها معجبة بكريستوفر وبشخصيته المنفتحة التي يرتاح اليها الجميع. لكن ادريان فتاة معقدة تمتاز بتعدد اوجه شخصيتها الراقية. ولن يكفي ان يجتمع فيهما الشباب والاندفاع. لن ينجح كريستوفر مهما حاول أن يقدّر مواهبها الموسيقية على سبيل المثال، وكم هي مهمة بالنسبة اليها! ان ابنة دونالدسون الجميلة البسيطة تناسبه. لكنه للأسف لا يفكر بهذه الطريقة. اتضح للسيدة مانتغ في الوقت نفسه هيام ادريان بغرانت الذي لم يعاملها الا معاملته لطفل. يا لها من فتاة حسناء موهوبة! عليهم ان يحلوا مشاكلهم بطريقتهم الخاصة. تنهدت وابتعدت عن النافذة.

توقف كريستوفر في الممر ليتأمل الزنابق التي اعجب وضعها الحالي السيدة مانتغ فأبقت عليها. لمس احدى البتلات برقة وقال:

- شاهدت هذه الزنابق عشرات المرات، لكنني لم انتبه لحسنها الا الآن.

خرجت السيدة مانتغ اليهما. قبلها كريستوفر قائلاً:

- احمل اليك رسالة من والدتي. اود ان اعلمك ان ليلا مصممة كل التصميم على استضافتي في الحفلة القادمة. هذا ما علمته والدتي من خالتي في سيدني.

- هل هذا صحيح؟ يا للعينة!

قهقه كريستوفر وادريان لأن هذه الكلمة لا تليق بشفتي السيدة مانتغ وأدبها. تأملتهما ثم قالت بلهجة غريبة:

- لدي افكاري الخاصة.

تحدث كريستوفر الى ادريان برهة بعد ذلك، ثم اتجه الى الميدان حيث كان غرانت ينتظر، مع ان احداً لا يبقي غرانت منتظراً!

٨- بالرغم من الأعمال والمناسبات التي كانت تشغل ادريان، احسّت بوحشة فراق غرانت. وبينما كانت تحلم بعودته متأملة اشجار الجكرندا، وصل ليفاجئها بانه التقى بوالدها وبأن زوجته تحمل مولوداً...

لم تر ادريان غرانت كثيراً في الاسابيع القليلة التالية لأنه لازم الحقول وميدان الخيول من الشروق الى الغروب، ولم ينس مشاغله اثناء العشاء. وذات ليلة، اوت فيها السيدة مانتغ الى فراشها باكراً نتيجة الم في رأسها، خاطبته ادريان:

- تبدو كثير المشاغل والشرود هذه الايام، فماذا هنالك؟

تطلع اليها بلهفة، ثم كرر كلامها بلهجة مثيرة:

- ماذا هنالك؟ هذه الأيام مزدحمة بالعمل. لقد فقدت بعض المواشي، وانا منهمك بالبحث عنها الآن، علاوة على انشغالي ببعض الأمور الأخرى. انه لوضع يدعو الى الشرود!

احمرت وجنتاها وقالت بارتباك:

- تبدو وكأنك تجد عبارتي سخيفة.

- لم يقل لي احد من قبل اني كثير الشرود. اني اتأمل وقعها.

شعرت بشيء من الضيق على عادتها معه:

- لماذا لا تحمل كلامي على محمل الجد وتسخر باستمرار؟

- لو حملت كلامك محمل الجد فماذا سيحل بي يا صغيرتي، خصوصاً في زحمة الاعمال؟

تنهدت واستلقت على المسند وقد تحولت امارات الرغبة في عينيها الى لامبالاة. رفع رأسه وهمّ ان يفوه بكلمات مطمئنة، لكنه غيّر رأيه. اكتفى بالابتسام. اما هي فاختلست نظرة اليه وتيقنت من عزمه على الكلام بالرغم من التعب البادي على محياه. تخلت عن صمتها لتسأله:

ـ هل استطيع ان اركب مع الرجال؟ ربما استطعت مساعدتهم في رعاية المواشي.

تبدد تعبه وقهقه قائلا:

ـ ما اغرب اقوالك يا صغيرتي. لا شك انك ستقعين من اللحظة الاولى. عندئذ ماذا يحل بي؟

وقفت وهي في غاية الغضب، لكنه لم يتوقف عن الضحك، فصرخت:

ـ حاولت ان اساعدك خصوصاً واني اعلم ان تامي دونالدسون تساعد والدها في مزرعته. تبدو وكأنها ولدت على ظهر جواد.

لمسها بحنو فوجدت نفسها تضع يدها في يده على غفلة منها فأخذ يربت على راحة يدها. يا لحيله! ثم حدثها بلطف:

ـ هل ترغبين في تقليد العمال بركوب الخيل والسعي اثر المواشي؟ ان الحاجة تدعو تامي الى العمل في مزرعة والدها، لكن لا داعي لأن تفعلي الشيء عينه هنا. ما اكرمك واحلى روحك! اني اشكر لك استعدادك.

صمتت فهز يدها قائلا: كنت ساطلب اليك ان تعزفي قليلا لترتاح اعصابي.

نظرت اليه بارتياب، لكنها رأت الجدية على قسماته فاتجهت الى البيانو وقالت:

ـ حسناً! ماذا تحب ان تسمع؟

ـ شيئاً هادئاً حتى تسترخي اعصابي.

شرعت تعزف مقطوعة لم ترقها كثيراً على رغم ما فيها من اثارة. لم تكد تعزف جملتين منها حتى استوقفها معلناً:

ـ لست ادري لماذا لا احب هذه المعزوفة. ارجوك اعزفي غيرها.

شاطرته رأيه، وحاولت تذكر معزوفة اخرى هادئة ترضيهما. اخذت تعزف الحاناً متنوعة بينما اشعل سيكارة واتكأ على مسند الكرسي. بعد نصف ساعة استدارت على مقعدها امام البيانو لتكتشف ان غرانت يغطّ في النوم. الحمد لله، لقد غفا مطبقاً فمه. ولكن، ما لها وللطريقة التي يغفو بها الرجل؟ مشت على رؤوس اصابعها نحو مقعده وانحنت فوقه، فانفتحت عيناه فوراً. مد يديه وشدها نحوه متسائلا:

ـ ماذا كنت تفكرين؟

ـ انك تغفو وانت مطبق الفم، وهذا امر جيد.

انتفض ووقف فاوقفها معه ثم سألها:

ـ من يعتبره امراً جيداً؟ (اكمل وهو يراقب حمرتها تتعاظم:) اوتدرين اني اعتبرك مجنونة احياناً؟ (ثم ادارها نحو الباب قائلا:) مري على هيلن في طريقك الى غرفتك.

ـ هل تصرفني؟

ـ اجل يا عزيزتي. انك احد اسباب شرودي.

اكتفت باطلاق ضحكة خفيفة من دون ان تودعه وتتمنى له ليلة سعيدة لانه لا يستحقها. قرعت باب السيدة مانينغ ثم دخلت لتجدها جالسة في السرير متكئة على كدسة وسائد مطرزة الاطراف. الا انها فوجئت اذ شاهدتها تضع نظارتين طبيتين لم تكن قد رأتها من قبل خاطبتها السيدة:

ـ تفضلي يا عزيزتي. لقد سمعت عزفك المهدىء.

وجدت صعوبة في تركيز بصرها على السيدة الجالسة في السرير اذ بدا لها ان قطع الاثاث ليست قديمة فحسب، بل جميلة ونادرة. فهناك الى جانب اللوحات الزيتية المرسومة في القرن الثامن عشر مكتب وطاولة للعب الورق مصنوعان من خشب الجوز يعودان الى عهد الملكة آن. كما يوجد بساط فاخر لا شك انه حيك في مدينة بخارى المشهورة بصنع السجاد والبسط، وكرسي محفور ومطلي بالذهب غطى الرخام اعلاه فتحول بذلك منضدة عرض عليها احد التماثيل الجميلة. حاولت جاهدة الا تبدو مشدوهة اذ احست ان الزمان قد رجع بها قرنين كاملين الى الوراء. جلست بحذر على احد المقاعد العائدة الى ايام الملك لويس الرابع عشر وهي تشعر انها اشبه بوصيفة. لم يخف شعورها على مضيفتها التي تطلعت حولها مزهوة وقالت:

ـ هل تعجبك تحفي؟

ـ كثيراً. ان غرفتك رائعة تماماً ككل اجزاء المنزل.

ـ انا وغرانت نهوى جمع التحف. فهو قد احضر الثريتين والمرآة المصنوعة من مدينة البندقية. اما انا فتوفر لي تحفي السلوى والعزاء واعتبرها اولادي، وأنت تعلمين انه لا زوج لي ولا اولاد.

وافقتها ادريان ضمناً على رأيها.

سرعان ما تخلصت هيلن من انقباضها وعادت تتحدث عن مشاريعها:

ـ انني افكر باعداد مهرجان نجري فيه دورات لسباق الخيل وسحب بانصيب ونختتمه بحفلة راقصة وعشاء يعده كل فرد لنفسه. فما رأيك؟

امتنعت عن ابداء تحفظها. لكنها قالت:

ـ انها فكرة رائعة، لكنها تتطلب جهداً وعملا عظيمين.

ارتدت نظارتيها لحاجتها اليهما وقالت:

ـ هذا صحيح. الا انني ارغب في حرمان ليلا من فرصة العمل على انشاء الجناح الجديد لانها لن تستعمله. لذا ارغب ان اسبقها الى العمل. لا اعتقد انها ستأتي بفكرة افضل من فكرتي.

لما وجدت ادريان في كلامها اجحافاً بحق ليلا وظلما لنفسها قالت:

ـ اني اوافقك على رأيك. ولكن، الا تعتقدين ان كل هذا العمل والجهد سيرهقك؟

لقد حاولت ثنيها عن المشروع لعلمها انه سيرهقها هي ايضاً. السيدة ماننغ هي صاحبة القرار بالطبع، غير انها تحتاج الى جنود وعمال كثر. طمأنتها قائلة:

ـ من هذه الناحية لا تخافي علي لأنني سأكون اشد تنظيماً هذه المرة.

هزت رأسها تعبيراً عن اقتناعها ولم تنطق بكلمة ظناً منها ان صوتها سيخونها في ذلك، ثم وقفت وهي تقول مبتسمة:

ـ لن ازعجك اكثر يا سيدتي. اؤكد لك اني ساساعدك بكل طريقة ممكنة.

ـ اني اعلم ذلك يا عزيزتي واراهن عليه.

حافظت على هدوئها بالرغم من انزعاجها وتمنت لها ليلة سعيدة. وفي طريقها الى جناحها رأت النور مشعلا في مكتب غرانت المنفصل عن مكتبها. قرعت بابه المفتوح قائلة:

ـ سأراك في المهرجان الكبير.

ـ ماذا؟

ضغطت اصبعها على شفتيها وابتعدت بهدوء.

تحركت عربة المهرجان بسرعة وكاد غرانت ان يضع العصي في دواليبها صباح اليوم التالي حين خاطب هيلن بلهجة حادة:

ـ لعل من الخير ان امول المشروع بكامله وانتهي من هذا العناء، فانا

الآن سأدفع الفاتورة بالتقسيط. اعتقد ان المشروع سيرهقك يا هيلن.

ـ ولكن لا احد يريدك ان تفعل ذلك لان المشروع جماعي بطبيعته.

ـ اذا كان كذلك، فليتعاون الجميع على تنفيذه، والا فليلغ. لا اريد ان اراك انت وادريان متعبتين ومنهكتي القوى.

تمسكت بموقفها على غير عادتها لخوفها من ان تطلع ليلا بفكرة بارعة تقضي على آمالها. قالت:

ـ اعدك يا عزيزي ان اكون اشد تنظيماً هذه المرة. ان السيدات يرغبن من اعماقهن في تنفيذ المشروع.

وضع فنجان قهوته الساخن على الطاولة بانفعال ثم كلمها ساخراً قبل ان يخرج من الغرفة:

ـ ابلغي السيدات الامر اولا ثم اطلبي اليهن المشاركة.

تساءلت بقلق واضطراب: ماذا دهاه؟

ـ اتوقع ان يكون متعباً من كثرة الاعمال والسهر.

ـ لا تزيدي. اولست اعرف؟

طالما اعتبرت السيدة ماننغ غرانت مصدر طاقة ونشاط لا ينضب وتناست انه يتعب كغيره من البشر. بعد الفطور انطلقت ادريان الى المكتب بينما جلست السيدة ماننغ الى الهاتف لتضع مع سيدات اللجنة تفاصيل خطة المهرجان، الامر الذي استغرقها النهار كله.

في المساء لم يحضر غرانت الى العشاء مخالفاً عادته ابلاغ هيلن امر غيابه سلفاً. عند العاشرة تملك الخوف ادريان وتنبأت بوجود خطر. غير ان هيلن لم تشاركها مخاوفها، بل قالت:

ـ لا داعي للخوف. سآوي الى فراشي بعد هذا النهار المضني.

همست ادريان بشرود: «حسناً! اين هو غرانت؟»

تأملتها رفيقتها بقلق اذ لاحظت ان الامور تزداد تعقيداً. وها هي ادريان تسأل بهلع عن مكان وجود غرانت.

طمأنتها بقولها:

ـ لا تقلقي يا عزيزتي لان مشاغله كثيرة وهو يعرف كيف يعتني بنفسه أنّى ذهب. اطمئني، انه بخير. تصبحين على خير.

عند الحادية عشرة والنصف سمعت ادريان وقع اقدام في الممر فعرفت

فورا انها خطوات غرانت. انطلقت الى الخارج تحت جنح الظلام الذي يلف الحديقة. نادت وقلبها يخفق بعنف:

- غرانت! هل عدت؟ اين انت؟

ركضت نحوه، فحملها بين ذراعيه. قالت مذعورة:

- ظننت اللصوص قادمين.

- هل تتظاهرين بالجنون ام انك مجنونة فعلا؟

اسندت رأسها الى صدره وهي تشكر الله. لقد عاد، وهذا كل ما تريده.

خاطبته برقة:

- اخبرتني ان هناك من يسرق مواشيك. ولما تعودت ان اعرف سلفاً اذا كنت ستتخلف عن العشاء ام لا، ظننتك احد اللصوص.

ضحك عميقاً وهو يجيب:

- اللصوص! اللصوص! دعي مدير الشرطة يهتم بهم.

انتقل بها الى بركة الضوء المتسرب من مدخل المنزل حيث لاحظ ان التوتر قد غاب عن محياها وهي تقول: «الا تريد الدخول؟».

- لست ادري. ان الجو شاعري هنا برفقة ساحرة صغيرة مثلك.

غير انه حملها بعد قليل الى البهو حيث اوقفها قائلا:

- كم يسعدني ان تسرعي للقائي يا ادريان. اني اكره الظن بانك بعيدة عني.

سوى شعرها قبل ان يريح يده على وجنتها. احست بالارتياح والفرح يغمرانها ولم يهمها اذا كان قد فطن الى خوفها وقلقها عليه ام لا. خاطبها بقوله:

- ما اجمل ان يشعر المرء ان هناك من يعتني به ويقلق عليه. لم اختبر هذا الشعور منذ زمن بعيد. اذهبي الآن الى السرير يا صغيرتي. ان كل شيء على ما يرام.

- اني سعيدة برجوعك. تصبح على خير.

- اتمنى لك نوماً هادئاً.

ما ان اطفأت النور في غرفتها حتى تنبهت الى انه لم يخبرها اين قضى سهرته.

بعد بضعة ايام حضر غرانت الى المكتب ليودع سكرتيرته قبل ان يطير الى ميلبورن لحضور مؤتمر لمنتجي الاصواف الطبيعية. قال بحزن وهو يلمس وجنتها الناعمة باصبعه:

- من المحزن الا تكوني قد تجاوزت الاربعين.

هبت تستنكر وتصيح: ولكن، ان بعض...

اشار عليها بالصمت، وقال:

- انا لا اقصد... اللعنة! ما ارمي اليه هو اني كنت ساستعين بخدماتك. اما الآن، فلا يمكنني اصطحابك.

لم تكن مغفلة بحيث تسأله عن السبب. غير انها عبّرت عن تعاطفها معه بقولها:

- واخسارتاه!

اوقفها وهو يبتسم فشحب لونها. قال:

- هل اودعك الآن؟

طوى ذراعه فوق كتفيها وهو ينظر بشوق الى عينيها الحائرتين، ورأى انها مضطربة بعض الشيء بعد ان اثار خبر سفره قلقها. وانتظر حتى تكلمت:

- من منا سيقذف امام الاسود حتى تلتهمه؟

رفع يدها الى فمه ثم ودعها ضاحكاً.

مرت باقي ايام الاسبوع رتيبة مزعجة. الا ان نهايته شهدت، فبينما جلست السيدة ماننغ وادريان ترشفان بعض القهوة المثلجة صباح السبت سمعتا هدير سيارة تجتاز الممر المفضي الى المسكن. فرقص قلب الفتاة طرباً وتفجرت السعادة داخلها ينبوعاً متدفقاً. لقد رجع غرانت! توجهت هيلن الى النافذة ثم استدارت لتقول وقد بدا الخوف والاشمئزاز على محياها:

- يا الهي! لقد حضرت ليلا مع امتعتها.

خرجت الى المدخل لتستقبلها بعد ان كبتت مشاعرها. سمعت ادريان كيف حيت سيدة المسكن ضيفتها غير المرغوب فيها، فضحكت وهي تستغرب الحرارة في لهجة هيلن التي ربما احصت الحقائب وما فيها. انتظرت قليلا قبل ان تخرج الى الشرفة حيث وقفت الصديقتان القديمتان تتبادلان القبل والاشواق. خاطبت السيدة دنكن بقولها:

- صباح الخير يا سيدة دنكن. هل تريدين ان اساعدك في نقل امتعتك؟

استدارت نحو الفتاة التي ذعرت اذ رأتها تقترب منها وقد فتحت ذراعيها. طفح وجهها باشراق الحب الاخوي العارم وقبلتها بقوة وهي تقول:

ـ الم يتزوجك غرانت حتى الآن يا آنستي؟

يا لها من عجوز مخيفة، لكنها محبوبة! جفلت ادريان وهزت السيدة ماننغ رأسها محذرة صديقتها صاحبة الشعر الاحمر. لماذا فجرت هذه العجوز اللعينة القنبلة الموقوتة في هذه اللحظة؟ غير ان ليلا التي لم تحب ان يطول الاستقبال، استأنفت حديثها:

ـ هيا ندخل، فلدي اخبار كثيرة اطلعكم عليها.

تبعتها المرأتان. لكن ادريان انطلقت الى المطبخ لابلاغ السيدة فورد امر وصول ليلا. لا تحتاج مدبرة المنزل الى من ينبهها لأنها تملك جهاز انذار خاص بها جعلها تعد الشاي الذي تحبه ليلا. عندما رجعت ادريان الى البهو كانت ليلا مسترسلة في حديثها وهي تحمل اداة امساك السجائر وتمنع السيدة ماننغ من مقاطعتها قالت:

ـ ساشرح لك كيف اطبق مشروعي: (امالت عنقها نحو الفتاة) هل طلبت اليها اعداد الشاي لي؟

ـ انها في طريقها اليك.

عبثت السيدة ماننغ بعقد اللؤلؤ الإنيق الذي يحيط بعنقها فيما خاطبت ادريان:

ـ ما رأيك يا عزيزتي بمروءة ليلا التي حضرت لمساعدتي؟ انها تحسب اني شخت ولم اعد قادرة على تدبر الامر بمفردي. اليس هذا لطفاً عظيماً؟

تأوهت ليلا استياء من السخرية الظاهرة في حديث هيلن وقالت:

ـ لا شك انك ستحتاجين الي عليك ان تقري ان ليس بوسعك فعل كل شيء بمفردك.

اشتد حنق هيلن لان ليلا تكبرها كثيراً في السن. انها تقارب الثمانين من العمر وقد عمرت اكثر من الجميع بحيث لا يعرف احد عمرها بالضبط. جاء كلام العجوز ليزيد نار غضب هيلن تأججاً:

ـ لم تعودي شابة كما كنت قبل عشر سنوات.

لم تصرخ مع ان الاجهاد بدا عليها، لأنها تتصرف دائماً كمضيفة ممتازة.

ايدت ادريان صديقتها بالقول:

ـ اعتقد ان السيدة ماننغ قد وضعت الترتيبات لكل شيء تقريباً، اليس كذلك؟

ـ طبعاً يا عزيزتي.

لم تقنع ليلا لعلمها ان المشروع يتطلب جهداً جماعياً. لذا صممت ان تكون احد المساهمين فيه. ما الطف الصدفة التي جمعتها باحدى عضوات اللجنة التي اخبرتها عن المشروع حتى تتسنى لها المشاركة في تحضيره وهي تعرف ان هيلن لن تفسح لها المجال حتى تشترك. لو انها تأخرت يوماً واحداً عن الحضور لاصبح من المستحيل عليها ان تفعل شيئاً. تراجعت في مقعدها وهي تتناول الشاي من يد السيدة فورد وتقول:

ـ كيف ساقك يا نل؟

تطلعت السيدة ماننغ نحوها بانشداه اما من السؤال بحد ذاته أو لأنها نادت مدبرة المنزل باسمها. اظهرت السيدة فورد سرورها بلقاء ليلا في حين حولت هيلن بصرها الى ادريان على نحو يوحي بيأسها من الوضع الخارج عن سيطرتها. ضحكت الفتاة على رغم محاولاتها العديدة لقهر رغبتها. اما ليلا فاكملت حديثها:

ـ اصبحنا اثنين يا عزيزتي. اني اشكو من الم في ساقي.

تحدثت السيدة ماننغ في هذه اللحظة الى مدبرة المنزل بكل جدية ولطف:

ـ ستقيم السيدة دنكن عندنا بعض الوقت يا سيدة فورد، فارجو ان تعتني بها وبامتعتها.

اومأت مدبرة المنزل برأسها اعراباً عن استعدادها ثم خرجت من القاعة بسرعة وانضباط. عادت ليلا الى الكلام:

ـ لا اخفي عليك انني حاولت الحصول على شيء من نقود صديقتنا.

ما أزعجها! لا تذكر هيلن انها اضطربت وغضبت كما فعلت الآن.

عادت ليلا تتحدث:

ـ لا شيء ينفع معها. اتراهنين انها ستحضر المهرجان وتساهم؟

قهقهت ثم اخذت تكح بشدة، فنهضت هيلن وربتت على ظهرها بقوة تعجبت معها ادريان كيف ستمضي الصديقتان القديمتان عطلتهما معاً. يا

للغرابة، انجلى سوء التفاهم وزال التوتر في المساء وبعد صباح مشحون.

سعت ليلا لاثبات شخصيتها فروت قصصاً مضحكة تتطرق الى مواضيع حساسة وتجاهلت اعتراضات مضيفتها التي ادعت ان ادريان لا تحب هذه الاحاديث وهي صغيرة لا يليق ان تسمعها. الا ان الضيفة اصرت على رواية نكاتها والتمتع بها. في هذا المساء ارتدت بروشا ماسيا وقرطاً مماثلا لم تحول ادريان بصرها عنهما حسدا وطمعا. انها واثقة انها ستبدو اشد جمالا وجاذبية ان ارتدتهما بدل السيدة دنكن العجوز التي زجرتها قائلة:

ـ لا تنظري الى حليي يا فتاتي، فهي هدية من زوجي المتوفي.

لمست البروش بحنو وصاحت شائمة حين نخزتها مسكته. راقبتها ادريان ترفع المنديل الحريري عن الطاولة وتمسح قطرة الدم التي سالت على رغم ما في ذلك من وقاحة تجاه مضيفتها التي بدا عليها الارتياح والتشفي حين جرحت ليلا اصبعها. من المؤكد ان الصديقتين القديمتين تشعران بالراحة عندما تصاب احداهما بمكروه.

انقضى المساء ومعظم اليوم التالي وهن فرحات. ما ان تتآلف مع ليلا وشخصيتها حتى تحس انها مصدر تسلية ومرح. ومن شدة ما سرت السيدة فورد باقامة ليلا في سارانغا نسيت نفسها وزلت قدمها وهي تحمل الى البهو صينية عليها شاي مثلج. سمعت ادريان الجلبة واسرعت نحو المرأة الطريح وسألتها: هل تشكين شيئاً؟

كيف تستطيع مساعدة المسكينة؟ ليت غرانت كان هنا! فهي لا تستطيع ان ترفعها. لعل افضل ما تعمله هو المحافظة على دفء الجسم وحرارته، الامر البالغ السهولة في الطقس الدافىء. اما الآن، فعليها البحث عن احد العمال.

تصبب العرق من وجه السيدة فورد فذهلت الفتاة. قالت مدبرة المنزل المطروحة ارضاً:

ـ آه من كاحلي. لقد سقطت عليه.

ادركت ادريان ان عليها خلع حذاء المرأة بسرعة ثم مناداة احد العمال. ولكن، اين هي ليلا؟ حضرت العجوز بناء على تمنياتها لتسأل السيدة فورد بشيء من اللامبالاة:

ـ ماذا تفعلين وانت منبطحة على الارض يا نل؟

ردت الفتاة بجفاء: «انها لا تمسح الغبار طبعاً!»

ـ هذا صحيح. احسنت يا فتاتي.

اقتربت من صديقتها واسرعت في نزع حذائها. ما هي الا دقائق حتى صفقت بيديها لعاملين وقفا بجانبها معلنة ضرورة نقل المريضة الى الفراش. حملا السيدة فورد الى فراشها حيث رفعا قدمها ثم استدعت السيدة مانينغ الطبيب.

وصل الدكتور ايفانز ليبدي رأيا تطابق مع رأي ليلا. السيدة فورد مصابة بالتواء في كاحلها. حقنها بعقار مسكن ثم تركها في رعاية ليلا لأنها بدت اقدر النساء الثلاث واثبتهنّ جناناً.

اوضحت السيدة مانينغ بحقد لادريان ان مصيبة السيدة فورد ربما كانت جزءاً من حملة لتخريب مشاريعها، ومع ان ليلا لم تكن قرب مدبرة المنزل المتألمة حين وقعت الا انه لا يمكن استبعاد تورطها. في أي حال واجهت الجميع مشكلة اضافية تتلخص في البحث عن بديل للطاهية المريضة.

لم يشك احد بعدم قدرة السيدة مانينغ على طهي شيء، في حين ان ليلا الثرية العجوز لا تعرف كثيراً خصوصاً وانها لم تمس صحناً منذ سنين. لكنها فاجأت الجميع اذ حضرت الى البهو حيث كانت السيدة مانينغ تسأل ادريان بصورة غير مباشرة ان تجرب حظها في تحضير الطعام. لوحت بملعقة خشبية وهي ترتدي مئزراً كما لو كانت تقدم اوراق اعتمادها وقالت:

ـ ما رأيكما بتناول المعكرونة المطهية على الطريقة البولونية؟ هذا هو طبقنا اليوم.

تحمست ادريان للفكرة خصوصاً وانها تحب المعكرونة. صاحت: «عظيم!» اما هيلن فظلت صامتة بعض الوقت. نظرت ليلا اليها بحدة وسألتها:

ـ ماذا تقولين يا هيلن؟

بدا القلق على وجه سيدة سارانغا ففهمت رفيقتاها انها لا تتوقع ان تكون وجبة لذيذة. غير انها لم تقل الا ما يلائم التطرف من كلام:

ـ حسناً يا ليلا. انني احب المعكرونة. اصنعيها اذا كنت تستطيعين.

عقبت ليلا بعبارة نابية قبل ان تنطلق الى المطبخ. ضحكت ادريان

ولحقت بها حتى تساعدها نظراً الى معرفتها المحدودة بالطهي. وسرعان ما وظفتها في فرم البصل وطحن الثوم وغسل الفطروام تنزعج من صحبة العجوز الوقحة والمسلية في آن. كان العشاء لذيذاً، ولزيادة نجاحه اعلنت السيدة فورد بعد تذوقها المعكرونة انها شهية، وهذه افضل شهادة تقدمها لليلا التي بدأت ترسم الخطط للمهرجان مع مضيفتها فيما تناولتا القهوة والحلوى. تركتهما ادريان بعد ان لان موقف السيدة ماننغ وتوجهت الى غرفة نوم مدبرة المنزل لتعودها. انتقلت بعد ذلك الى غرفتها وهي تحس ببعض التعب.

في الاسبوع التالي ابدت السيدة ماننغ شهامة بالاعتذار عن حنقها الى ليلا بادىء الامر، فهي كنز نفيس. انها تتمتع بنشاط وقوة، يندر ان تجدهما في نساء اصغر منها سناً، وقد سرها العمل مدبرة للمنزل ربما لأن الفترة قصيرة. كانت السيدة فورد تتحسن باستمرار. اما ادريان، والحق يقال، فأدت وظائف بسيطة متعبة احبت ليلا ان تسميها (اعمال العبيد).

نما شعور محبة متبادل بين المرأتين الى حد ان ليلا ساعدت ادريان في غسل الاطباق. وذات مساء كانت الفتاة تعيد الصحون المغسولة الى الخزانة وليلا تراقبها حين بدأت تردد لحناً كلاسيكياً لم تلبث ان شاركتها ليلا في ترداده. لكنها توقفت فجأة لتقول:

ـ لدي شيء بسيط اود تقديمه اليك تقديراً لحسن سلوكك.

استدارت نحوها مندهشة، فاشارت عليها بالعودة الى عملها وقالت:

ـ هذه احدى المرات القليلة التي تكافأ فيها الجدية والوفاء والفضيلة.

لم يكن «الشيء البسيط» في الواقع غير خاتم من اللؤلؤ يحوي واحدة من اجمل اللآلىء التي شاهدتها الفتاة واكبرها. تأملته مذهولة وهي عاجزة عن النطق لان الهدية عوضت عن كل اعمالها واكثر. اخيراً قالت:

ـ آه يا ليلا! لا يسعني ان اقبل هديتك النفيسة.

ـ ضعيه في اصبعك. هل يعقل ان تكوني ابنة العصر وفي هذه السن ولا تقبلي مثل هذه الهدية؟ خذيها يا فتاتي. حين تقدم اليك اي هدية اقبليها فوراً بغض النظر عن مهديها. هذا اقل ما يجب ان تفعليه.

ادخلت اصبعها في الخاتم فتأملتها ليلا. ان يدي الفتاة تلائمان الجواهر وبشرتها تناسب بريقها. لم يبد الخاتم جميلا ابداً كما هو الآن. اما ليلا فلم

تتعود تقديم الهدايا، لذا تمتعت باحساس الفرح الذي يراود المعطي. قالت:

ـ البسيه يا فتاتي. فاللآلىء ينبغي ان تلبس حتى تحافظ على لمعانها وجاذبيتها. اوتدرين ان بلادك استراليا تنتج افضل اللآلىء الصناعية في العالم؟

لم تعرف ذلك بل تصورت ان اليابان هي افضل منتج لهذا الصنف من الاحجار الكريمة. غير انها لم تقل شيئاً عن ذلك لأنها احست ان ليلا اشبه بمدير العلاقات العامة في شركة تصنيع اللآلىء الاسترالية. امسكت ليلا اصبعها الذي ادخلته في الخاتم قائلة:

ـ في هذا الخاتم لؤلؤة غير منتظمة الشكل. لكنها مع ذلك تساوي ٨٥٠ دولاراً.

تأوهت ادريان نتيجة دهشتها والألم الذي اصابها بسبب ضغط ليلا على اصبعها.

غير ان الاخيرة تجاهلتها اذ راقها الحديث عن الجواهر واللآلى:

ـ لا يتجاوز قطر اللؤلؤة الصناعية المنتجة في اليابان نصف بوصة (انش). اما لآلئنا فتراوح اقطارها بين نصف بوصة وسبعة اعشارها. انها تباع في اوروبا لأن السوق واسع ومريح. اننا لا نستطيع شراءها هنا. (تنفست بعمق ثم اكملت) املك سلسلة تساوي مئة الف دولار. سأريك اياها يوماً. شيء مختلف، اليس كذلك؟

تمسكت ليلا بلطفها ومرحها الليلة اذ استطردت في حديثها:

ـ بامكاني ان اريك مجموعتي من حجار الاويال اذا كنت ترغبين. اؤكد لك انها مجموعة رائعة.

لم تشك ادريان في صحة كلامها لأن الرسالة تعرف من عنوانها. صمتت ليلا قليلا ثم استأنفت حديثها بلهجة تشبه طريقة العرّافين:

ـ سترين في مجموعتي اللون الناري البراق والليلكي الرائع والازرق الزمردي تتآلف لتنشر مزيجاً من الاشعاعات والالوان المحيرة.

فرحت السيدة ماننغ بالهدية عندما رأتها وتعجبت كيف كرمت ليلا على الفتاة بهذه العطية الثمينة وهي التي لا تميل الى مقاسمة ممتلكاتها مع احد قالت:

- أري الخاتم لغرانت يا عزيزتي.

عقدت ادريان العزم على اطلاع غرانت على الأمر ولكن بعد ان يقع بينهما حادث طريف يقدم للموضوع.

ذهبت السيدة ماننغ وليلا يوم الثلاثاء التالي الى كوريونغ لحضور اجتماع لجنة المستشفى بعد ان اشبعتا نقاط المشروع المختلفة نقاشاً ودرساً اثناء الفطور حين تجددت خصومتهما غير المعلنة. وكم سعدت ادريان لانهما لم تصطحباها نظراً الى عدم حاجتهما الى عملها. خرجت الى الشرفة لتنظر الى روبي الذي احضر سيارة الستايشن الى امام الباب الكبير. رأت ان السيدتين قد ازدادتا اناقة على نحو يظهرهما متنافستين على سباق لانتخاب ملكة الاناقة. الا ان السيدة ماننغ لم تنبه بثيابها الفخمة نظراً الى ميل ليلا الى ارتداء الملابس المترفة في كل حين. صاحت ادريان:

- انك تبدين رائعة يا ليلا...

لقد كانت بالفعل كذلك وهي ترتدي ثوباً من الحرير التيلاندي المتموج بلون البطيخ بحيث اشعر الفتاة بحرمانها. ردت على مجاملتها:

- لو لم يكن الامر كذلك لطلبت الى صانع الثوب ان يحيك لي ثوباً آخر.

رمتها السيدة ماننغ بنظرة ساخرة وهي تعلق:

- هل خطر لك يوماً ان تستعملي شعراً مستعاراً؟

- انك بقولك هذا تشبهين من يطلب اضافة الزينة الى زنابق الحقل.

لم تكد تنتهي ليلا من كلامها حتى سوّت عمامتها واندفعت الى الخارج بابهة السلاطين المعتزين بثروتهم. ابتسمت السيدة ماننغ لادريان التي ودعتها وظلت منتظرة على الشرفة قدوم كريستوفر الذي وعد بالحضور.

هبطت السلم لتستقبله، فبادرها بالقول:

- صباح الخير يا فتاتي الجميلة. اويسعني التمني بأن تكوني قد اشتقت الي؟

- طبعاً يا كريستوفر. اين سنذهب؟

- اعتقد اننا سنزور آل دونالدسون، فتامي مفتونة بك على ما يبدو.

- وهل رأيتها مؤخراً يا كريستوفر؟

- اجل. كنت اكثر من زياراتي لهم قبل ان تتزوج رينيه لشدة ما كنت معجباً بها. والآن عندما افكر بتامي، اجد انها اصبحت اكثر اناقة وحسناً.

ضحكت في سرها لانه لا بد ان تكون تامي قد عملت بنصيحتها. الواقع ان ذلك صحيح، فهي قد استبدلت تفصيلة ثيابها القديمة باخرى عصرية وغيرت من نوع القماش في الملابس الجديدة وبالتالي تغيرت هيئتها وزينتها. رمت ادريان بنظرة جانبية وغمزتها في حين تأملها كريستوفر وقال:

- هل تعلمين يا تامي اني كنت احدث صديقتنا ذات العينين الزرقاوين عن تغيرك وازدياد حسنك؟

ضحكت برقة ثم ادارت له ظهرها بشيء من عدم الاكتراث قائلة:

- اوتعتقد ذلك يا كريستوفر؟

اكرهت ادريان نفسها الا تضحك لان كريستوفر بدا مندهشاً. امسكتها تامي بذراعها بكل لطف وهي تقول:

- تفضلي بالدخول. امي مشتاقة للقائك.

لحق كريستوفر بالفتاتين الى الداخل.

من الواضح ان المسكن معد لايواء الاولاد الستة في اسرة دونالدسون وقد اعدت مساحة الجلوس على نحو يساعد في تلبية مطالبهم الكثيرة والمتنوعة، الا ان قاعة الجلوس الرسمية تخلو دائماً من الالعاب والدمى. في اي حال لم يكترث صغيرا الاسرة بزوارهم، فتركا احدى لعبهما على مدخل القاعة وداستها ادريان على غير عمد. القت عليهما التحية، فرد احدهما بينما حافظ الآخر على صمته. علمت بعد ذلك ان اصغر الاولاد لا يتجاوز الثانية من عمره، وهو مع ذلك قادر على الخوض في محادثة سريعة يمل بعدها حديث الكبار. خطر لها ان الاولاد يكبرون بسرعة وينضجون في الاسر الكبيرة.

كانت السيدة دونالدسون امرأة صغيرة القد لا تدل نضارتها وحيويتها على انها بلغت الاربعين وهي لا تشبه ابنتها في شيء. لعل الاخيرة تشبه والدها الذي تساءلت ادريان عن امكان مقابلته.

يتميز ورق الجدران في قاعة الجلوس بروعة رسومه التي تمثل انواعاً متعددة من خضار وفواكه جميلة المنظر عريضة الاوراق. لم تستطع ادريان تحويل بصرها عنها.

قالت لها تامي وهي تضحك مرحة:

- انها من اختيار والدي الذي اشتراها في مزاد علني.

- انها اوراق رائعة يا سيدة دونالدسون.

عادت تامي بعد قليل بالشاي، ثم اتبعته بفطور شهي صنعت مواده المختلفة في المنزل. اظهرت عائلة دونالدسون كرماً عظيماً لا تجده الا في الأرياف، اقبل كريستوفر على الطعام ببعض النهم مع انه تناول فطوره قبل ساعات قليلة في منزله. قالت ادريان:

- ما الذ فطورنا يا سيدة دونالدسون.

- يسعدني انه اعجبك مع ان الجميع في المنطقة لا يدانون السيدة فورد في جودة الطهي واتقانه.

تحدثت بعد ذلك السيدة دونالدسون عن الولائم الشهية التي اعدتها السيدة فورد وعن مآخذ بنات المدن عليها المتلخصة في عدم استعمالها وصفة فعلية لتحضير اي شيء. بعد ذلك وجهت حديثها الى ابنتها:

- اري كريستوفر مكيف الهواء الجديد.

لاحظت ادريان من بريق الحنو والامومة في عيني السيدة دونالدسون سعيها لجمع ابنتها بكريستوفر. بعد ان ابتعدا ولم يعد باستطاعتهما سماع حديثها قالت السيدة بشيء من الاعتزاز:

- تذكري كلامي يا عزيزتي. ان تامي فتاة ممتازة تصلح ان تمسي زوجة لكريستوفر.

تمنت ادريان ذلك من قلبها خصوصاً وان والدتي العروسين ترغبان في الامر. رافقت مضيفتها في جولة حول البيت تخللها حديث عذب ممتع كشف لها غيرة السيدة دونالدسون على مصالح ابنتها واقتناعها بصدق نوايا ادريان تجاه الفتاة.

راقبتا كريستوفر وتامي يرجعان الى المنزل عبر الشرفة وقد بدا عليهما المرح والحيوية، وكل ما استطاعت ادريان ان تفعله هو عدم الضحك على جهد الام وابنتها المشترك لاجتذاب كريستوفر الذي قال بشيء من البرودة:

- الواضح انها تحسن التعرف على الآلات وادارتها.

تيقنت ادريان ان زيارتها لحظيرة البقر قد طلعت بنتائج مشجعة. بقي الضيفان لتناول الغداء. سألت تامي ادريان رأيها في اختيار ثوب الحفلة

الرقص المنتظرة. فالجميع يعرفون الآن بعزم السيدة ماننغ على احياء مهرجان ضخم. وخطر لها ان احد اثوابها المحفوظة في سيدني قد ينفع لهذه المناسبة.

عند الواحدة ودعا السيدة دونالدسون وابنتها لان افراد الاسرة الآخرين لم يحضروا للغداء. عرجا في طريق العودة على كاريوا حيث كانت ماريون الفنانة الموهوبة تعكف على رسم اعلانات عن تاريخ المهرجان الموعود. انها اعلانات جذابة وانيقة. سألت ادريان وهي تنظر الى الرسوم مشدوهة:

- هل تكثرين من هذه الاعمال يا ماريون؟

- احياناً يا عزيزتي. لقد تدربت على الرسم مدة اربع سنوات قبل ان اتزوج.

نهضت ونقبت في الخزانة ثم عادت بحقيبة تضم رسوماً لكريستوفر وغرانت والسيدة ماننغ والسيدة فورد تنهض من فوق الموقد، وعشرات الاشخاص الذين لا تعرفهم ادريان علاوة على الكثير من رسوم الازهار والاشجار والطبيعة. اعجبت بالرسوم البديعة وطلبت اليها السماح باخذها معها لتتأملها بعمق. وافقت قائلة:

- خذيها يا عزيزتي. ليس فيها ما يغري.

لم تشاطرها رأيها لاقتناعها انها تملك موهبة حقيقية وباستطاعتها العمل رسامة تضع الصور للكتب والروايات. وجدت نفسها تردد قول السيدة ماننغ:

- ماريون لم تخلق لتعيش هنا.

ثم سألتها:

- لم لا تدخلين اشجار الجكرندا في اعلاناتك يا ماريون؟ اخبرتني السيدة دونالدسون ان هذه الاشجار باتت تقترن بسارانغا.

فكرت برهة قبل ان تلتمع عيناها فرحاً واخذت تصور المشهد في ذهنها. قالت:

- فكرة عظيمة لم تخطر لي من قبل. ما اجمل ان يرى الناس منظر الجكرندا في الاعلان.

علق كريستوفر ضاحكاً:

- ستتركك لرسمك يا عزيزتي. سارجع هذه الحسناء الى سارانغا.

اشجار الجكرندا! ما اكثر الذين يجتازون المسافات الطويلة ليزوروا سارانغا ويشاهدوا هذه الاشجار البهية! من المؤكد ان ادريان صاحبة افكار فذة وهي موهوبة في العزف كما تؤكد هيلن. ودّعت ماريون الشابين وهي تقول:

- اخبري هيلن عن فكرة رسم الجكرندا في الاعلان. ستفرح كثيراً.

اتضح من انسجام السيدة مانغ وليلا غير المألوف انهما قضتا يوماً جيداً زادته فكرة رسم اشجار الجكرندا متعة. قالت ليلا وهي الميالة الى ادعاء اشياء لم تفعلها:

- اؤكد لكما انني فكرت بالأمر قبل الآن.

عقدت السيدة مانغ جبينها بدون ان تعلّق لمعرفتها ان ليلا تنزع الى الكذب.

عصر اليوم التالي نزلت ادريان الى الممر الموصل الى المسكن تتأمل اشجار الجكرندا. انشاها النسيم العطر والظل الرطب حيث اختبأت عشرات العصافير. لا شك ان البستاني يحرق بعض اغصان الصمغية التي تملأ الجو برائحتها. اجتازت المنعطف في الممر حيث رأت اشجارها الجميلة تزين المكان وتزيد مشهد الشمس الغاربة بهاء وحسناً.

الجكرندا وازهارها الشبيهة بالاجراس واريجها الزكي وعمرها القصير! انه في اي حال وقت كاف ليوقع المرء في الحب. لقد اشتاقت كثيراً لغرانت واحست اياماً عديدة ان لا داعي لنهوضها من الفراش، فليس ثمة ما يملأ فراغ نفسها سوى حب غرانت الغائب. قالت بصوت عال: «علي ان افكر بمخرج من هذه الورطة»

حطت على كتفها فراشة وحيدة. تمسكت بقماش ثوبها ثم طوت جناحيها وفتحتهما. غير ان الفتاة حافظت على هدوئها لشدة ما اعجبت بالمكان الذي اعطاها شعوراً بالانتماء. اغمضت عينيها بعد ان طارت الفراشة وتمنت لو يعود غرانت. ما هي الا لحظة حتى جفلت اذ سمعت صوت بوق سيارة المرسيدس. فتحت عينيها وهي تستغرب قوة حدسها.

احست بقشعريرة ورعشة في عنقها ورأسها. يا لهذا الأمر المخيف! انها تكاد تنهار. تذكرت انها لم تلبس الخاتم حتى يتسنى لغرانت ان يشاهده ويبدي لها رأيه فتعرف بالتالي موقعها من قلبه. لذا تسمرت في موضعها،

فضغط الفرامل على بعد بضعة اقدام منها ونزل من السيارة طويلا اسمر محبوباً. سرها ان تراه، فمدت له يدها فرحة. امسك يدها، وبدل ان يهزها للتسليم عليها رفعها الى شفتيه وقبلها قائلا:

- يا لك من مخلصة يا صغيرتي! لا شك انك تنتظريني.

- كلا، بل اراقب الجكرندا.

طوق كتفيها بذراعه وتقدم بها نحو السيارة من دون ان يبدو عليه الانزعاج. راقبته يدور خلف السيارة وهو يبتسم. كم يبدو وسيماً ومثيراً! استقرت في موضعها بينما ركب السيارة مردداً: «يا صغيرتي الحلوة» صغيرتي الحلوة! لا يمكن لرجل ان ينادي المرأة التي يحبّها بهذه الطريقة. غير انه لم يقبلها كما يقبل الصغار. تطلع اليها وسألها:

- بما تفكرين يا صغيرتي؟

- لا يمكنني ان استمر في عملي سكرتيرة لك.

شد شعرها المشعث وتأملها قائلا:

- ابقي صديقة العائلة اذن.

لم يكن هذا حلاً مناسباً، لأنه يفوقها مكراً. تنهدت واخبرته عن الجكرندا ورسم ماريون للاشجار في اعلاناتها. اصغى اليها بتهذيب ثم ادارها نحوه وهو يمسك يدها. قال:

- لدي اخبار تهمك فقد مررت بوالدك في طريق العودة.

دهشت للغاية وصرخت بلهجة تنم عن عدم تصديق: «ماذا؟»

ورد ضاحكاً:

- اني لا اسلق خضاري مرتين، كما يقول بستانينا الطريف.

- هل انت جاد؟

- كل الجد يا عزيزتي. علي افهام والدك اننا نهتم بك.

تجاهلت ضحكاته وتساءلت عن معنى زيارة غرانت لوالدها. ما الدافع وراءها؟ سألته بجفاء:

- هل التقيت ليندا؟

- اجل. لقد تناولت العشاء معهما لأن والدك لم يسمح لي بالخروج قبل العشاء. كم احببته. كما اخبرك ان زوجة والدك حامل...

كان يوماً حافلاً بالمفاجآت. شهقت:

- ماذا؟ تعسا لها!

- ما اغرب كلامك! ليندا مسرورة ووالدك سعيد لذلك. انه يرغب في ولد ذكر يورثه عمله.

ولفرط ما ذهلت شرعت تبكي كالاطفال بقلب مكسور وقد سترت وجهها بيديها.

هذه نهايتها. ان احداً لا يريدها ان تعود الى البيت، لأنها لا يمكن ان تتحمل سيطرة ليندا وابنها على الجو. ما اكثر تقلب الرجال وتذبذبهم! هل يسعد والدها بحمل زوجته؟ الحقيقة ان عليه الخجل من هذا الواقع. راقب غرانت تصرفها الغريب بصمت ثم انزل يديها عن وجهها ومسح دموعها بمنديله بكل رقة قائلا:

- احبسي دموعك. انها لا تليق بفتاة في عمرك.

- خبرك يعتبر ناقوس الخطر بالنسبة الي.

ضحك من منظر عينيها الحزينتين ولهجتها المتشائمة وقال:

- كفاك سخفاً. ما اعظم حب والدك لك! لا يستطيع احد ان ينسيه ابنته الحبيبة. لكن، ينبغي ان تسير الحياة مسارها الطبيعي، وان يأخذ والدك منها قسطه. لا يمكنه ان يعيش حسب ما ترسمين له من تصورات. ان ليندا تسعده وتحبه حباً جماً، ولا غرو، فهو وسيم بهي الطلعة، وانت لا تشبهينه. كم كانت ستسهل الحياة مع ليندا لو انت أدركت ذلك. أظنني مثلك اكرهها على رغم طيبتها وكرمها.

تأملته صامتة من شدة ما تأثرت بالصدمة. سيولد لها أخ من ابيها وتعيش مع نسل ليندا. امسك ذقنها ولمس شفتيها بشفتيه قائلا:

- احسب انني لن اعتاد على طرقك وتصرفاتك.

ادار السيارة وانطلق بها نحو المنزل. لقد اخطأت في حق والدها الذي طالما اثنى على مزاياها. لكن غرانت لاحظ فظاظة ليندا وحبها للسيطرة والتملك فلم يمل اليها. من الخير ان ادريان ابتعدت عن طريقها.

بعد العشاء وزع الهدايا عليهن من دون ان يستثني ليلا التي حصلت على تمثال من البرونز في حين اهدى السيدة مانغ طقماً من فناجين الشاي وملاعقه وسائر ادواته. اما سكرتيرته فتلقت قرطاً رائعاً من الكهرمان الاسود والذهب مصمم على شكل قلادة. طلب اليها ارتداءه قائلا:

- ارتديه لان القرط الذي لبسته في حفلة الشواء اعجبني.

توجهت نحو المرآة المصنوعة في البندقية حيث لحق بها واسدل شعرها على عنقها لابراز القرط الجديد. استدارت نحوه، فضحكت ليلا. الا ان السيدة مانغ حدجتها بنظرة حادة اخرستها. لا شك ان ادريان استسلمت لسحر غرانت واظهر وجهها حبها الجارف لهذا الشاب الوسيم والماكر والغني في آن. قررت ليلا المحافظة على صمتها لشدة ما اظهرت هيلن من عنف وغضب.

احتفظت برسالة والدها الى حين تأوي الى الفراش حتى لا تواجه الخبر «السار» قبل ذلك. كما احضر غرانت معه علبة كبيرة تضم ثوب الرقص الذي طلبته من والدها والثوب الذي ظنته يلائم تامي. لقد اطنب غرانت في القول ان والدها متحمس لفكرة ان يرزق بطفل وهو في الثامنة والاربعين لانه يتمنى من اعماقه ان يورث عمله الذي بذل عمره في انشائه وتطويره لفلذة كبده. احست دموعها تترقرق في عينيها. يا الهي! ما اعذب رسالته التي تحوي في اسفلها ملاحظة خاصة: «لشد ما اثر غرانت مانغ فيّ يا فتاتي، فهو ذكي ومستقيم. ولولا ذلك لما حقق كل تلك الانجازات وهو لا يزال شاباً، كما انه شديد الوسامة، فحاذري الوقوع في هواه. تصرفي بوعي. اثق انك في رعاية رجل طيب.

حاشية. ارسلي خطاباً صغيراً الى ليندا، فلعله يلطف الاجواء خصوصاً وان الطفل قد يرثني»

وضعت الخطاب جانباً ورددت ثلاث مرات «الطفل قد يرثني». شعرت بتحسن. للاطفال الذكور طريقتهم في الحصول على ارث والديهم.

رفعت الصندوق الورقي ووضعته فوق السرير بحماسة ثم قصت الخيط المربوط حوله بمقص اظافرها. انتزعت كمية كبيرة من الاوراق قبل ان تعثر على الثوب الازرق الموضوع فوق الثوب الآخر. حملته ولم تتكلف عناء تعليقه اذ فتنتها فخامته وسعدت بذوق والدها الكامل. تأملت عباءة من حرير لماع مزودة بياقة تزينها حبوب لماعة من اللؤلؤ والكريستال علاوة على الخرز. ستبدو رائعة اشبه بالحلم عندما ترتديها. حملتها واخذت ترقص فرحاً حول الغرفة ولكن، بحق السماء، ماذا سقط منها؟ انه قرط متسق الشكل يلائم لمعان ثوبها، وهو هدية ليندا التي كتبت عليه الاهداء التالي:

اتمنى لك اطيب الاوقات واسعدها. يقول الناس ان الحمل يؤثر على اخلاق النساء. جربت القرط، فزادت حماستها واحست بنشوة كما لو كانت الليلة ليلة المهرجان.

تفحصت الثوب الآخر بعناية وتأكدت ان لونه الاخضر والنقوش الرائعة المزود بها والورود الحمراء المطرزة عليه كلها تناسب تامي. ولكن، لماذا نسيت حذاء السهرة؟ رجعت الى الصندوق مستغربة ان يكون والدها قد تذكره. لقد فعل. بامكان تامي شراء حذاء مناسب من كوريونغ. علقت الثوبين، ثم اخذت تتزين وكأنها تستعد لحضور المهرجان. لقد نسيت نفسها وكادت تنوي الاندفاع خارج الغرفة.

تذكرت قول والدها (لقد انتظرت هذا الطفل الحلو طوال حياتي) نفضت قميص نومها وارتدتها. ابتسمت اذ تذكرت تعبير الحب على وجه غرانت، فاطفأت النور ووقفت عند النافذة تتأمل القمر الصغير وتستنشق الهواء المشبع بشذى الغاردينيا.

٩ ـ التقت بفيرا التي أخبرتها أن غرانت على علاقة بامرأة اخرى، وحاولت أن تثير مشاعره فأظهرت اعجابها بكريستوفر. ولكنه سرعان ما عرف قصدها وأثناها عن «جنونها» بحزم.

ذهبت ادريان يوم الأربعاء التالي الى المدينة برفقة السيدة ماننغ وليلا. قاد روبي سيارتهن والطقس ينذر باشتداد الحر. اجتازت السيارة الطريق الجميل المحاط بأشجار الحور حيث أمكنهم اختلاس النظر بين حين وآخر الى الجبال الخضراء. قالت ادريان:

ـ لماذا اتصور دائماً الريف سهلاً مستوياً؟

اجابت ليلا نيابة عن الجميع:

ـ امر مألوف يا عزيزتي. اننا نملك كل انواع المناخ والمناظر الطبيعية في استراليا. فهناك الصحارى الشاسعة ومناطق التزلج الشبيهة بجبال الألب، ومزارع مماثلة في طبيعتها للريف الانكليزي في بعض انحاء ولاية فيكتوريا، ومواقع خاصة بالتزلج المائي، علاوة على مروج فسيحة متناثرة الأشجار وتلال وعرة كالتي تجدينها في اسكوتلندا.

تدخل روبي في الحديث، وقال وهو يربت على المقود:

ـ طالما انكم تتحدثون عن التلال، اؤكد ان هذه السيارة تتسلق التلال برشاقة.

ارتفعت في كل مكان من المدينة اعلانات ماريون، وشابهت قاعة ماننغ التذكارية قفير النحل بحيويتها. تفرق شمل النساء عندما رأين قائدتهن التي افتتحت الجلسة بسرعة. اكثرت ليلا من الكلام واستمرت تعارض مواقف الرئيسة طوال الجلسة. تمتعت ادريان بحضور الاجتماع خصوصاً لأن السيدات اظهرن بعض التمرد. كان العمل على تأمين قرض من الدولة قد بدأ، ففرحت نساء المدينة وتطلعن بشغف الى يوم المهرجان.

www.elromancia.com

توقع الجميع حضور مئات المحتفلين القادمين من اماكن بعيدة، وكانت النساء المنتظرات اشتراك ازواجهن وأبنائهن في ركوب الخيل أو اللواتي يراهنّ على الجياد يتطلعن بحماسة الى المهرجان. وعهدت اللجنة الى ثلاثة من مستشاري الحكومة المحلية بادارة السباق. انسلت ادريان من القاعة قبيل انتهاء الاجتماع لابتياع بعض حاجاتها. بينما هي خارجة من المتجر تعد النقود التي اعادتها اليها البائعة البليدة كادت تصطدم بفيرا التي أملت الاّ تلتقيها ابداً. صاحت الأخيرة بصوت عال جعل البعض يلتفت اليهما:

ـ صباح الخير يا آنسة برنت، يا ذات العينين الزرقاوين.

امسكت ذراعها وأخرجتها الى مدخل المتجر، فشعرت بتبخر السعادة التي نعمت بها هذا الصباح. ان اي شيء تقوله فيرا مؤلم ويعبر عن لؤمها وخبثها. قالت ادريان:

ـ علي الاقرار بانك تحسنين الفرار والتواري.

اجابتها والحقد باد في عينيها:

ـ لا تزعجيني ايتها الماكرة، أوتحسبين اني كنت اريد الابتعاد عن المسرح؟

ـ كلا. في اي حال، لا اريد تبادل الشتائم معك هنا. كما لا اود مناقشة عملك الطائش.

منعتها فيرا من الانصراف وأظهرت هدوءاً غريباً:

ـ لا تكوني مثلي. غرانت يطارد برو غوان.

اصابت فيرا هدفها بدقة، فشحب لون ادريان. كل من يقرأ صفحات المجتمع في المجلات يعرف من هي برو غوان الوارثة الوحيدة لثروة ضخمة جمعها والدها من مصنع توضيب اللحم، وهي الى ذلك حسناء. تكلمت ادريان ببرودة:

ـ لا يعنيني ابداً الفتاة التي يطاردها غرانت.

ـ اخبرني والدي انه اكثر من لقاءاته معها في الآونة الأخيرة.

احست بالقشعريرة في جسمها بالرغم من حر الجو وأحست بشيء من الدوار. ونظرت الى الفتاة الواقفة قبالتها لترى ان عينيها قد غارتا، فحزنت من اجلها. فجأة قالت:

ـ آسفة من اجلك خصوصاً وان غرانت لا يحبك. لست ممن يسهل

حبهم، اليس كذلك؟ لماذا لا تحاولين تغيير تصرفاتك فقد يحبك احدهم يوماً.

تركت رفيقتها واقفة في مكانها لعجزها عن النطق بكلمة اخرى وخرجت الى الشارع. قرقع صندلها على الرصيف الملتهب، وأحست كآبة وانقباضاً عظيمين في نفسها. يا لها من فتاة بائسة لا تعرف كيف تقيّم الرجال والأوضاع المحيطة بها وتسلم قلبها لرجل بمجرد ان يطبع على وجنتيها وشفتيها بضع قبل لا اكثر. رددت بصوت عال: «عليه اللعنة».

دل عليها سائق شاحنة مر بقربها لأنك لا ترى فتاة تحادث نفسها في الشارع وبصوت عال خلال النهار الا اذا كانت مجنونة. الآن فقط تدرك مدى حمقها وسخافة احلامها وآمالها. انها تستحق الشفقة تماماً مثل فيرا. قالت:

ـ يكتب لنا القدر مصيرنا ويحفظ لنا خطواتنا.

توجهت فوراً نحو السيدة مانتغ وليلا التي قررت قيادة السيارة بنفسها لاستيائها من بطء الرحلة الأمر الذي تفضله السيدة مانتغ. وصلوا الى المنزل بسرعة مذهلة جعلت الركاب يتصورون وجود بعض الفساد في دائرة السير التي منحت اجازة قيادة لليلا.

كم فرحت ادريان لعدم حضور غرانت العشاء، فهي لا تستطيع مقابلته بسبب كآبتها. اما ليلا والسيدة مانتغ فلم تنتبها الى وضعها وغرقتا في حديث طويل. انها أول فتاة تحب رجلاً متجاهلة الواقع ومتنكرة للحقائق الثابتة في حياتها لإيمانها بالمستحيل. صاحت بصوت عال:

ـ اف!

تطلعت ليلا اليها وسألتها:

ـ ماذا دهاك يا فتاتي حتى تحادثي نفسك طوال السهرة؟

كفاهما تغاضياً! يا للعجوز الوقحة! اوضحت بانتباه:

ـ تشغلني بعض الأمور.

ـ امورك لا تدعو الى السرور.

اقترحت السيدة مانتغ تناول طبقاً آخر من الحلوى، الا ان الفتاة استأذنتها بالانصراف لأنها لم تحس بالبهجة. انها تعيسة، ورغم ذلك لن تجعلهم يرون دموعها التي تجاهلتاها. تذكرت القول المأثور: «الحزن

العظيم يظل دفيناً في قلوب المحبين».

جلست الى البيانو وأخذت تعزف لحناً مؤثراً الى ان دخلت عليها ليلا حاملة قهوتها قائلة:

- أوتندبين حظك؟

- كلا، بل لعل المقطوعة من اجمل الألحان.

- بالنسبة اليك يا آنستي. اما انا فلا اطيقه. اسمعينا شيئاً من الفالس.

باشرت بعزف فالس الدانوب الأزرق. بعد عشرين دقيقة تركتها السيدتان وتوجهتا الى غرفتي نومهما. الا انها لم تستطع أن تستريح أو تقرأ كتاباً، بل جلست على احد المقاعد الوثيرة وشرعت تحدق الى سقف الغرفة. بعد قليل نهضت وأدارت الفونوغراف. هدأتها الموسيقى الصاخبة وانستها واقعها الأليم برهة استغربت بعدها ان يدوس غرانت على قلبها، وتصورت نفسها تنهار. لقد وصفه والدها بالمستقيم. لكن، على الرجل المستقيم أن يعرف اين يضع قدمه. «سر بخفة لأنك تدوس على احلامي». تشنجت عضلات فكها وسالت دموعها على وجنتيها الى ان سمعت صوت غرانت يقول:

- ماذا تفعلين يا صغيرتي؟

بذلت جهداً للسيطرة على نفسها ثم نهضت وأدارت له ظهرها. جلس على الكرسي وهو يقول مبتسماً:

- كم انا متعب! أدريان.

عليها الاقرار بانها تشعر بالهدوء والارتياح في حضرة هذا الخليع الغشاش. غير ان كبرياءها تمنعها من التطلع اليه وتلبية رغبته. حاولت ان تتخطاه وتهرب. الا انه امسكها وطوقها بذراعيه. تشنجت وأغمضت عينيها كيلا يلاحظ التغير فيهما. سألها برقة:

- ألن تفتحي عينيك يا صغيرتي المليئة بالألغاز؟

- بل قلبي ايضاً، عند سماع صوتك العذب.

لم تقوَ على التفكير لحظة. كان عليها النهوض. بعد الافلات منه، سعت الى التخلص من دوامتها. ما هي سوى لحظة حتى تغيب فيه الى الأبد. التمع برق امام عينيها وصاحت في وجهه:

- انك تسير سيراً حثيثاً نحو الثروة والجاه.

ظهر الغيظ في عينيه، فأدارت له ظهرها وولت الادبار.

بعد نوم طويل متقطع ملأته الأفكار الفلسفية قررت ادريان الا تستقيل معتبرة ان الرجال ينزعون الى تعدد العشيقات او الزوجات. من المنطقي أن يفرح المرء بعصفور في يده اكثر من عشرة على الشجرة. لماذا اذن تهتم بالغد طالما ان يومها جميل؟ ليست الحياة سوى اهتمام دائم بالغد. لكن، من يضمن الغد؟ لعل من الأفضل للمرء ان يختزن ذكرياته الحلوة لأنه لن يعرف طعم السكينة والسلام بل سيظل يجد في القلق حافزاً للاندفاع الى الأمام ومصدر سحر لا ينتهي.

داعبت الدموع جفونها. انها كسائر بنات جيلها تكشف كل أسرارها. مع الصباح قررت التصرف ببرودة مقبولة.

تعاظم اندفاع ماريون الحاضر دائماً والدفين احياناً، للرسم، فأقنعت ادريان بأن تسمح لها برسمها.

أدركت انها تملك موهبة عظيمة وان زواجها المبكر في سن التاسعة عشرة كان نقطة تحول خرجت معها من دائرة اهتماماتها، لا لعجزها عن ممارسة الرسم في الريف، ولكن لطول اعتمادها على التقدير والتشجيع اللذين وجدتهما في معهد الفنون حيث تنبأ اساتذتها لها بمستقبل زاهر. لكن حياتها نحت منحى مختلفاً وهي في عز شبابها وعنفوان حبها الممتع لتوم. صحيح انهما نضجا معاً وعاشا اياماً سعيدة، الا انهما اخفقا في ايجاد انسجام فكري بينهما. فتوم رجل ريفي لا يهمه من الحياة غير اسرته ومزرعته، في حين ان زوجته خسرت معه المناظرات الفكرية والطروحات الفنية التي كان يتبادلها والداها وهما من كبار ملاك الأراضي. طالما عرضت على توم رسومها بادىء الأمر اذ لم تدرك عجزه عن التمتع بأي نمط من انماط الفنون. لقد كان يكتفي بالقول: «هذا جميل يا حبيبتي». ثم يغير الموضوع من دون أن يهتم بأبدع رسومها. لم يكن ذلك خطأه أو خطأها، بل نجم عن عدم وجود قواسم مشتركة تجمعهما سوى بيتهما وأسرتهما، لذا تركت عملها واهتمت بكريستوفر، وهو شاب تفخر به كل أم علماً انه يشبه اباه في كثير من جوانب شخصيته. لذا لم تشجعه على زيادة تعلقه بأدريان التي تضمر له الاعجاب فحسب.

لا شك ان غرانت وأدريان سيغدوان زوجين مثاليين. تملكها المرح اذ

فكرت بغرانت، فهي تعتبره مصدر قوة لها منذ صغره وترى فيه سحراً خاصاً. انه الرجل الرجل، مع ذلك يفهم المرأة ويسمح لها ان تحدثه وتفتح له قلبها وتتأكد من فهمه لها. لكن، اذا قالت هي الأمور نفسها لكريستوفر، يكتفي بالنظر اليها والقول: «غيري الموضوع». تضحك وتتذكر وجه الشبه بينه وبين والده. اجل، ان غرانت شخص نادر يقترب من حدود الكمال الانساني. وعليه، سيفضل ادريان وستكمل شخصيته شخصيتها، وهكذا سيكبران معاً. ما أسرع ما تعلقوا جميعاً بأدريان التي احسوا انها فرد من أفراد الأسرة. انها تتمتع اضافة الى حسنها بحساسية وشفافية بالغتين تمنت ماريون اظهارهما في الرسم.

مر زمن طويل عليها في الرسم الزيتي، لذا تحمست للفكرة. ذهب كريستوفر الى كوريونغ لاحضار ادريان وتامي بعد انتهائهما من جولتهما في المحلات التجارية. رجعوا عند الحادية عشرة، فعدوا متسلقين السلم الأمامي. اسرعت ماريون نحوهم بقصد القاء التحية على ضيفتيها. قالت:

- كيف كانت جولتكما؟

- موفقة للغاية، أليس كذلك يا تامي؟ سنريك ما ابتعناه.

- هيا! انني في غاية الشوق.

اثار الحذاء والقفازان الجديدان اعجابها علاوة على أدوات الزينة، ثم ذهبت تامي الى السيارة لاحضار ثوب السهرة الموضوع في الصندوق الورقي. قالت بعد أن صرفت كريستوفر وأمسكت الثوب باحترام:

- عبرت ادريان عن ابلغ اللطف والمحبة اذ اعارتني الثوب. الا ترغبين في رؤيته؟

لقد احسنت في اختيار اللون الأخضر، فهو يناسب تامي ويزيد بشرتها الخمرية سناء. اما أدوات الزينة فرائعة تستر بدقة آثار الكلف في وجهها لا لأن كلفها قبيح، ولكن لشدة ما تكرهه. ان تامي تعلق اهمية كبرى على مظهرها أثناء الحفلة وأثره السحري على كريستوفر. لقد املت ادريان الا يتسبب اي شيء في احباطها. سيذهب الجميع الى الحفلة باستثناء السيدة فورد والبستاني لعجزهما عن الرقص.

بعد الغداء ارجع كريستوفر تامي الى منزلها وجلست ادريان للمرة

الأولى امام رسامتها حيث لاحظت صمتها بالرغم من حيويتها ومرحها، فهي تنزع عادة الى الكلام.

لم تطرح سؤالاً واحداً طوال فترة الرسوم الأولية حتى تتمكن ماريون من رسمها كما تراها. اعجبت ماريون بالفتاة الجالسة امامها وأسرعت في تصوير يديها. مر الوقت سريعاً وحضر غرانت لاصطحاب سكرتيرته قائلاً:

- هل يسعني ان اقطع عليكما خلوتكما؟

نظرت الى عينيه الرماديتين الباردتين في حين رمت ماريون قلمها الفحمي واتجهت نحوه. راقبته يقبل وجه عمته قائلاً:

- ما احسن ان اراك تعملين!

قصد لوحة الرسم فهتف:

- العينان والفم! الشعر والعاطفة! اليدان! ينبغي ان ترسميها وهي تستدير مبتعدة عن البيانو. تعالي انت وكريستوفر لتناول العشاء معنا الليلة حتى تتسنى لك مراقبتها. انك تبدين سعيدة يا ماريون العزيزة.

- اجل. اذا نجحت في رسم هذه اللوحة، واعتقد انني سأوفق في مسعاي، انوي الاشتراك بها في مسابقة كاسون للفنون الجميلة، هذا بالطبع اذا أذنت لي يا عزيزتي.

نقلت الفتاة نظرها بينهما وقد فطنت الى انه لم يكلمها. قالت:

- يشرفني ذلك يا عزيزتي.

- سنشرب القهوة يا غرانت، وستشاركنا طبعاً.

اومأ لها برأسه فمضت الى المطبخ، فحدث سكرتيرته قائلاً:

- هل هناك قطيعة بيننا يا آنسة برنت؟

- اني لا احدث الا من يحدثني يا سيد مانغ.

- آه لو كان ذلك صحيحاً! اقتربي مني.

لم تلب دعوته لاحساسها الوهن في ركبتيها واجابته:

- من الخسارة ان تضيع ماريون مواهبها في الريف هنا.

- لا احب هذا التعبير «في الريف هنا» اذ يستطيع الفنان الرسم في أي مكان وزمان. ان الريف هنا بديع جداً خصوصاً عند تغير الفصول. الا ان اختصاص ماريون هو رسم الوجوه. ما يعوزها هو الاندفاع والزخم

اللازمين لنجاح اي فنان وفن. لا شك ان الأمر كان سيختلف لو اظهر توم تقديراً اكبر لمواهبها. لو سكنت المدينة لامتلأت حياتها بالحوافز، لكنها فضلت البقاء في الريف هنا. عندما يتزوج كريستوفر ستنضم، على ما اظن، الى خالتي سارا التي ستوفر لها كل تشجيع ومساعدة. في أي حال، الا يعجبك العيش في الريف هنا يا عزيزتي؟

تمنت لو تصرخ وتبكي مثل بطلات الروايات العاطفية القديمة، فهو يدلي بتعليقاته الماكرة من جديد. هتفت:

ـ تكلم بصراحة، واكشف عن نواياك الخبيثة.

لن يفعل طبعاً. التفت خلفه ليرى ماريون مقبلة وهي تقول:

ـ سنشرب القهوة على الشرفة نظراً الى برودة الجو هناك.

تقدمتهما الى مؤخر البيت المواجه لقمم الجبال. فتن المنظر ادريان فقالت:

ـ ما اروع هذه الخلوة!

خرجت الى الشرفة حيث تنشقت نسيم الجبل المنعش. كانت تمتد امامها جنة صغيرة فيها ثلاث اشجار دراق مزهرة ترمي ظلالها على الأرض المرصوفة بالحجار ويقربها شجرة قيقب تحمي البركة الجميلة المحاطة بأزهار البنفسج ورعي الحمام وشجيرات الغار المحروسة بأزهار الاضالية المزروعة في أحواض خاصة. قالت ماريون مبتسمة:

ـ هل نخبرها عمن انشأ هذه الخلوة؟

صب القهوة ثم ادنى الكراسي الحديدية وهو يجيبها:

ـ لا ارى مانعاً. اريد ترك انطباع جيد في نفسها. لقد رتبت هذه الجنة الصغيرة بيدي.

نظر اليها بسخرية كما لو كان يتوقع الا تصدق كلامه. غير انها فاجأته اذ قالت بهدوء:

ـ انها غاية في الروعة.

وقفت تتأمل شجرة القيقب، ثم اخذت تلقي بعضاً من أبيات الشعر المتفرقة. بعد قليل دعاها لتناول قهوتها قبل أن تبرد. جلست، فتحدثوا بمرح وهم يرشفون القهوة. رافقتهما ماريون الى السيارة وودعتهما قائلة:

ـ سنصل انا وكريستوفر عند السابعة.

جلست في مقعدها قلقة. خاطبته بحدة:

ـ لم اودع كريستوفر.

ـ ستتاح لك الفرصة مجدداً هذا المساء.

ـ لا اعرف لماذا تقول ذلك.

ـ ماذا اقول؟

تنهدت بضيق ثم نظرت من النافذة. انها لا تحاكيه تعقيداً ومكراً، ولعل هذا ما يحبه في برو غوان. قالت:

ـ رأيت فيرا الاسبوع الماضي في المدينة.

حوّل بصره عن الطريق برهة ليسألها:

ـ هل فعلت؟ هذا يلقي بعض الأضواء.

ـ قلت ذلك لطرق موضوع نتحدث فيه، فأنت صعب المراس هذه الأيام.

ضحك فاستغربت عجزها حتى عن ذكر اسم الفتاة. حاولت ثانية ان تحادثه:

ـ هل ستحضر الحفلة؟

ـ وسأرقص معك كل الرقصات.

ـ لا احسب انك تستطيع لشدة ما سأبدو فاتنة تلك الليلة.

ـ سأدعو شلة من اصدقائي المقيمين في سيدني لعل السيدات منهن يرثين لحالي.

خفق قلبها واضطربت... «شلة من الأصدقاء...» هذا كل ما تحتاج معرفته. حافظت على هدوئها وقالت:

ـ هذا ما اتمناه لك طبعاً.

ـ كفاك هراء يا حبيبتي. لشد ما تضحكني اقوالك.

صمتت على مضض. لو انها تستطيع تحمل آلامها الى ان تدخل غرفتها. لكنها تحملتها اذ لم يرها احد مرحة كما كانت الليلة. صحيح انها غازلت كريستوفر لابراء الجرح في قلبها، الا انها استاءت من نفسها لاحقاً.

ادركت ماريون الصواب في رأي غرانت الداعي الى رسم ادريان وهي تبتعد عن البيانو الذي تكن له حباً لا يوصف. اشبعت الفكرة درساً فناولها

اوراقاً بيضاء وقلماً لاستعمالها اذا شاءت وضع بعض الرسوم الأولية.
ارتبكت ليلا لأنها طالما ظنت وجهها صالحاً للرسم. عندما انتهت الفتاة من العزف قالت ليلا لماريون:

- اذا كنت تريدين رسم وجه حقيقي، فارسمي وجهي.

ادارت العجوز رأسها فبرز ذقنها. ضحكت ماريون وأجابت:

- لست ادري اذا كان باستطاعتي التعبير عن ملامحك الجوهرية. وجهك... متحرك للغاية.

كادت السيدة ماننغ تنفجر ضاحكة لأن عبارة «متحرك» هي العبارة اللبقة. استأنفت ماريون حديثها:

- اذا نجحت في هذه اللوحة، سأشارك في مسابقة كاسون.

تحمست ليلا فهتفت:

- يا الهي! افضل ما تفعلينه هو أن ترسميني اذن. الجميع يعرفني ووجهي يبرز معالم شخصيتي بدقة. من المؤكد انك تلاحظين كم كنت جميلة أثناء شبابي.

يا للكذبة الفظيعة! الواقع انها زادت تألقاً مع مرور السنين. ارتبكت ماريون الفنانة فعلقت:

- يسرني ان ارسمك. لكن من الأسهل علي ان ابدأ بادريان واعمل حتى ابلغ المهارة المطلوبة لرسمك خصوصاً واني لم اجرب يدي في أي رسم فعلي لسنوات طويلة خلت.

انحنت العجوز الى الأمام قائلة:

- اي رسام عادي يستطيع تصوير وجه شابة، لكن وجهي يتطلب مهارة فنان حاذق.

عقبت السيدة ماننغ بصوت عال:

- لقد قلتها.

- ماذا يا هيلن؟

- اني اشاطرك الرأي بأن من الخير لماريون أن تبدأ بمحاولة رسم ادريان. غرانت، هلا اعطيتنا بعض العصير؟

هكذا تحولت المحادثة عن موضوعها الأساسي بمهارة ولباقة.

احضر كريستوفر بعض اسطواناته الخاصة حتى لا يثنيه احد عن عزمه.

ادار الفونوغراف وسأل أدريان:

- هل ترقصين يا عزيزتي؟

ابتسمت له، ففتح الباب المفضي الى الشرفة. قالت ليلا وقد أبت الا أن تعلق:

- سنراقبكما.

تخيلت ادريان عندما خرجا الى الشرفة انها تراقص غرانت. الا ان تصورها اخفق اذ ليس من الانصاف تشبيه الرجلين ببعضهما ومساواتهما. اتجها الى طرف الشرفة حيث تسربت اشعة القمر عبر الدوالي. شد ذراعيه حولها قائلاً:

- يا الله! ما اجملك!

- كريستوفر!

تنهد اذ تنبه الى اعتراضها. قال:

- لست معي، اليس كذلك؟

رفعت يدها وربتت على وجنته قائلة:

- انك تعرف اني معجبة بك.

حوّل بصره الى الحديقة وقد فطن الى الحنو البادي على محياها. قال ممازحاً:

- لا يسعك ربح الجميع.

- آسفة.

- علام الأسف؟ على حسنك؟

خرج غرانت الى الشرفة وناداهما قائلاً:

- اذا كنتما لا ترغبان في أن تخرج ليلا اليكما حاملة فانوساً صغيراً، ما عليكما الا العودة الى الداخل.

ضحك كريستوفر قائلاً:

- لا عليك. سوف اطلب اليها مراقصتي.

قرن قوله بالفعل. الا انه ندم لكثرة ما احبت ليلا الرقص، فطالت بذلك سهرتهم..

لم يغمض لأدريان جفن بسبب كآبتها واضطرابها. انها تكره ايذاء احد، لكنها بفعل طيشها الليلة قد آذت كريستوفر وشعرت بانها تستحق الصفع

والتأديب. استنشقت اريج الفرانجيباني ففتحت الباب الموصل الى الشرفة وخرجت لترى ان الحديقة قد تحولت غابة مظلمة بعد غياب القمر. تطلعت الى الأمام وسارت الى نهاية الشرفة حيث هبطت السلم الجانبي. ظهر القمر ثم توارى خلف الأشجار التي رمت ظلالها القاتمة حولها. الهواء عابق بشذى الأزهار المتفتحة في كل مكان.

انزعجت لما سمعت همسة مبهمة بقربها. الا انها لم تفاجأ اذ صدمت غرانت الذي امسكها قائلاً:

- ماذا تفعلين هنا يا صغيرتي؟

- ما تفعله انت تماماً.

هزها قليلاً وصاح:

- لا تكلميني بهذه الطريقة لأني اكرهها. هل كريستوفر هو سبب قلقك؟

كيف عرف؟! قررت خداعه بالقول:

- كلا. ولماذا يكون؟

بدا عليه الانزعاج. هتف:

- لم لا؟ تعرفين جيداً انك كنت تغازلينه لسبب يعلمه كلانا.

صرخت وحاولت الابتعاد عنه. لكن قبضته عليها ازدادت ضغطاً. قال:

- قفي مكانك. اعرف انك مضطربة وقد تصرفت بحمق عظيم اذ حاولت اثارتي. غير انك ساذجة وغير مجربة.

ساذجة، غير مجربة، غير ناضجة، حمقاء وصغيرة! لماذا يكلمها اذا كانت كذلك؟ هتفت:

- انك لا تعرف شيئاً. دعني وشأني ايها الوحش.

شدها اليه وأطبق اصابعه على شعرها. تصبب العرق من جبينها، فأفلتها بسرعة ودفعها بعيداً قائلاً:

- عودي الى غرفتك. هذا جنون عظيم.

هدأ روعها بعد رجوعها الى غرفتها. خلعت ملابسها ببطء تحت جنح الظلام ثم دخلت الفراش. سمعت بعد قليل مواء هرة، فتشنجت وصاحت: «كم اتعذب»!

١٠- أثناء غيابه قررت الهرب انقاذاً لكبريائها... وذات مساء عاد غرانت ليمسك بذراعها من جديد ويزيل قلقها بأنه لم يلتقِ بروغوان، وانه يخاف ان تبتعد عنه...

توجب على غرانت ان يطير فجأة الى ميلبورن حيث يقوم مجلس الأصواف الوطنية بدراسة آلة لضغط الصوف استوردها حديثاً من نيوزيلاندا، وهي تعتبر انجازاً تقنياً رائعاً بامكانها ضغط بالات الصوف الى نصف حجمها مما يسهل توضيبها ونقلها. توقع ألا يمكث اكثر من بضعة أيام. الا ان مشاعر مختلفة تنازعت ادريان. الخوف من ان ينكسر قلبها بسبب غيابه، واطمئنانها الى انها سترتاح بعض الوقت من حضوره المقلق، والأهم من ذلك، فضولها الذي سيدفعها للاستفسار عن نشاطاته في المدينة خارج العمل.

فتحت نوافذ المكتب واستقبلت أشعة الشمس. مدت رأسها الى الخارج لتتنشق عبير الفرانجيباني. لاحظت ان الشمس تغيب خلف أشجار الصمغية الزرقاء حيث كانت أشعتها تخطف الأبصار. عادت الى العمل وهي مصممة ألا تشغل فكرها بشيء آخر. لذا وجدها غرانت منهمكة في انجاز أعمالها عندما دخل المكتب. نظر اليها قائلا:

- هل كل شيء على ما يرام؟

هزت رأسها بدون ان تنظر اليه ثم قالت بتردد وقد احمرّت وجنتاها:

- لا يسعني قراءة رسالتك الى فرغيسون.

تناول الرسالة من يدها وقرأها ثم قال:

- ليس فيها اي غرابة. لكنني احسب انك تنوين تأخيري.

- اجل. هذه احدى حماقاتي.

أمسك أصابعها النحيلة دون ان يتبادلا كلمة واحدة. اشتدت رائحة

www.elromancia.com

الصيف في المكتب فحطّ دبور على عتبة النافذة قبل ان يطير داخل الغرفة. أسندت رأسها على غرانت الذي أمسك ورقة بيضاء وضرب بها الهواء ضربة قوية فرّت على أثرها الحشرة المذنّبة الى الخارج. تجمدت وسمعت صوته يناديها وهو يخرج مبتعداً:

- أرى ان ثمة ما يزعجك. لكن لا متسع من الوقت لدي لأساعدك. اعتني بنفسك حتى أعود، فأنت بخير الآن على ما أظن.

لما بلغ الباب استدار ليرى نور الصباح منعكساً على قسماتها. تيقن انه رأى آثار الدموع على أهدابها. رجع نحوها وشدها اليه معانقاً ثم أبعدها وهو يقول مبتسماً:

- ألا تفهمين قصدي؟

- لا تريد ان أكون سكرتيرتك.

- يا الهي! عليّ ان أقاطعك. سأغيب فترة. لكن عديني.

- بماذا؟

- ان تتركي كل هواجسك الى حين عودتي.

هواجس... اذن هو يعرف الحقيقة. اجابته بهدوء:

- سأفعل.

ربت على خدها وخرج من دون ان ترى تعبيره المليء بالرقة والحنو.

حل يوم المهرجان ولم تحس بالبهجة والفضول. ألقت رأسها على الوسادة. لا عجب اذا ضحك القرلة، هذا الطائر الغريب، وسخر منها. فغرانت لم يرجع مع انه أرسل اليها برقية مقتضبة تفيد انه سيصل برغم تأخره غير المنتظر. اذا عاد بصحبة بروغوان، فانها ستنهار بالتأكيد. لا بل ستضحك وتتحدث وتراهن على الجياد التي ستنطلق في عدة دورات للسباق أولها عند الحادية عشرة والنصف ظهراً وآخرها عند الرابعة وعشر دقائق عصراً. سترجع بعد ذلك الى المنزل وتحزم امتعتها.

استعد جميع سكان المنزل عند العاشرة والنصف، فارتدت السيدة مانينغ ثوباً بلون النعناع مزيّناً بقطع نقدية نادرة، ووضعت على رأسها قبعة قش بيضاء عريضة الحافة، في حين لبست ليلا تنورة وبلوزة من الحرير القرنفلي وزينت شعرها بأزهار كرز مصنوعة من قماش الموسلين الرقيق وحملت مظلة تناسبها لوناً. اما ادريان، فلم تأبه لمظهرها. غير ان اهتمامها

بتفاصيل هندامها ساعدها في الظهور بمظهر أنيق في حلة حريرية بلون الافوكادو وصديرية مفتوحة من اللون نفسه وقبعة بلون البرتقال. رمقت السيدة مانينغ بنظرة سريعة تنم عن الاعجاب بأناقتها وحسنها.

يبلغ طول حلبة السباق أربعة أميال تمتد الى خارج المدينة، ومعروف ان المقاطعة تفاخر بأن هذا الشارع الجميل المحاط بأشجار الصنوبر هو من أطول شوارع استراليا. الواضح ان الأولاد لم يمنعوا من حضور الحفلة، بل راحوا يقفزون ويعدون ويتمرغون فوق عشب الروضة ويزعقون قرب أعضاء اللجنة.

كانت صناديق القمامة قد فتحت والطاولات والكراسي القابلة للطي صفت في الروضة. لم تشعر ادريان بالجوع بل انطلقت تساعد الأطفال على تناول الشاي والسندويشات بلطف ومحبة. أدركت انه كلما زاد حجم السيارة ازداد اتساع الصندوق وتنوع الأطعمة في سلة النزهة. تنبهت ايضا الى ان ليلا تنأى في مراهناتها بالرغم من ثرائها، ولا تسمح لنفسها ان يزيد رهانها على عشرة دولارات- المبلغ نفسه الذي تراهن ادريان عليه- وأملت ان تضاعفه ثلاث مرات بعد الظهر.

توالت السباقات وتوالت رهانات ادريان عليها، فربحتها جميعاً علماً انها لا تملك خبرة ليلا في انواع الجياد وأصالتها وجودة فرسانها، بل كانت تبني اختيارها على مدى رومنسية اسمائها.

بينما أخرجت ماريون وكريستوفر وتامي بعض الشراب البارد من صندوق السيارة، رأتهم ادريان وابتسمت لهم. خاطبوها:

- كيف حالك؟

ثم هتف كريستوفر:

- بحثنا عنك طوال النهار، أين كنت؟

- أدور حول حلبة السباق.

تأملت ليلا حقيبة يد الفتاة المنتفخة فقالت:

- مع بعض النجاح طبعاً.

قبلت ادريان كوباً من العصير زاد من انتعاشها. وضعت الكوب الفارغ على الطاولة واستدارت نحو حلبة السباق فتطلع الجميع اليها مذهولين. قال كريستوفر مشدوهاً:

- لم أتوقع ان تكوني مراهنة جيدة.

غير ان ماريون احسنت القول اذ اكدت ان ادريان تبدو كالضائعة في غياب غرانت.

كان جو هذا اليوم رائعاً وخالياً من الغيوم فسمح باجراء دورات السباق المتعددة. استمتع الجميع من بالغين وقاصرين بيومهم. اصر كريستوفر على اصطحاب الفتاتين الى السرادق لتناول الشاي، فتناولت ادريان طعامها بمرح وهي تردد في نفسها ان الله وحده يعلم مدى عذابها. تطلعت الى خارج النافذة الزجاجية بينما سمعت كريستوفر يقول:

- يؤسفني تأخر غرانت. لا بد ان اموراً مهمة قد أخّرته.

أومأت برأسها قائلة:

- شكراً على الشاي. الحقيقة اني استمتعت به كثيراً. عليّ الاسراع في العودة اذا كنت أريد المشاركة في السباق التالي. لا تؤاخذاني.

انتهت السباقات وأخذ الجميع يستعدون لحفلة الرقص عند الثامنة والنصف مساء. قررت ابلاغ السيدة ماننغ امر وصول برقية من والدها فقالت وهي تطلب عفو السماء على كذبها:

- نقلت زوجة والدي الى المستشفى الليلة للأسف. عليّ الذهاب اليها.

علقت السيدة ماننغ بكل عطف:

- آسفة يا عزيزتي. هل استطيع مساعدتك؟

ابتسمت لنجاحها في استعمال اسم ليندا في كذبها. قالت:

- اشكرك. ألا ينطلق باص من المدينة عند السادسة والنصف؟

ازعج قرارها المتسرع بالسفر السيدة ماننغ التي استنتجت خطأ وجود نفور بين المرأتين. لكنها قالت:

- كم أتمنى ألا تذهبي. غير ان ذلك ضرب من الانانية. اذهبي اذا كان الواجب يدعوك.

تغلب الضحك عليها وهي تحزم أمتعتها بعد ان سمعت صوتاً يقول في أعماقها:

- لا شك انني مجنونة، بل سأصبح مجنونة عندما أرى غرانت وصحبه يدخلون الحفلة.

لم ترَ سوى الهرب حلا لمشكلتها لأنها تصرفت بحمق طويلا وسلكت

سلوكاً مشيناً. انها بذلك تنقذ كبرياءها. ستغادر بين لحظة وأخرى وتنفذ خطتها تساءلت بصوت عال عن مصير لوحتها التي ترسمها ماريون. لكنها لم تجد جواباً.

ودّعها الجميع وداعاً مؤثراً لاحظت انه جعل الدموع تلوح في عينيّ ليلا. لوحت لهم بيدها يائسة.

انطلق الباص خارج المدينة، فتطلعت الى سماء المساء الزرقاء وقد كادت تظلم وتأملت الأشجار المبتعدة، كما تنشقت النسيم العابق بشذى الأزهار الذي هب عليها من النافذة. طال الطريق المتعرج فغفت.

بدت ليندا الحامل قبيحة المنظر صحيحة الجسم. اقتنعت برواية الفتاة عن اجازة حصلت عليها لبضعة أيام، فرحبت بها على طريقتها الخاصة. أدهش حضورها المفاجيء والدها، لكنه أفرحه بعد ان انطلت عليه حيلتها. لاحظت ابنته بلادة في ذكائه مع اقتراب وضع زوجته الثانية. اما ليندا، فتنبهت الى تحسن ادريان التي ازدادت هدوءاً وتأملا كما أظهرت قلقاً في ما يتعلق بصحة زوجة والدها. الواقع ان كلتا المرأتين ازدادت عذوبة ونضجاً. ان ادريان مشغولة الآن بمشكلتها الشخصية في حين ان ليندا اكتسبت ثقة متزايدة نتيجة اكتمال أنوثتها. لذا سادت هدنة بينهما.

مساء الأربعاء توجهت ادريان الى قاعة الاحتفالات الموسيقية لحضور حفلة خاصة احياها أحد قواد الفرق الموسيقية التشيكوسلوفاكيين واحتلت مقعداً في طرف احد الصفوف.

قبل الاستراحة بعشرين دقيقة وبينما كان الجمهور يصفق بحماسة، أحست ان أحداً يمسك ذراعها ويضغط عليها. استدارت بدون ان تتكلم. سمعته يقول:

- هيا نخرج قبل الاستراحة.

لحقت به، فقفز احد موظفي القاعة الى الباب ليسأل عن سبب خروج الفتاة. لا شك انها أصيبت بمكروه، فقد حضرت الحسناء بمفردها وها هي الآن تخرج برفقة شاب وسيم. أغلق الباب وراءهما بعد ان أدى واجبه...

دفعها على منحدر السلم وفي داخل السيارة. أغلق الباب بيد وضغط باليد الأخرى على ساعدها. عندئذ استطاعت ان تتكلم فسألته:

- ما معنى هذا التصرف يا غرانت؟

أقفل باب السيارة وهو يشعر بضيق لم يسمح له باجابتها. أدار المحرك قائلا:

ـ الآن أنا استنطقك.

قاد السيارة خارج المدينة. اوقفها قرب تل يشرف على الميناء حيث انعكست أشعة القمر على صفحة المياه فزادت الفتاة حزناً. علت ملامحها تعابير الشوق واللهفة الممزوجة بالحماسة. ان غرانت هو غرانت في كل الظروف والأحوال. أشعل الأنوار الداخلية واستدار نحوها وعيناه تقدحان شرراً. قال وهو يرفع يده أمام وجهها مهدداً:

ـ لعلك تستطيعين تبرير هربك والأكاذيب التي روجتها امام الجميع. اطمئنك بأني التقيت والدك، وهو الذي اخبرني أين أجدك.

ـ ماذا قلت له؟

ـ اني آمل بالعثور عليك في المنزل. هل كان يجب ان أصف ابنته بالمجنونة؟ حين اخبرتني هيلن عن مرض ليندا، راودني الشك لأني عندما رأيتها مساء الجمعة الماضي كانت في صحة جيدة. أصدقيني القول. هل تتصورين ان بوسعي احتمالك أكثر؟

اكتأبت وهتفت:

ـ قل اني مجنونة.

بدت مرتبكة وغاضبة الى حد جعله يبتسم مرغماً. أجابها:

ـ انت مجنونة بعض الشيء. لكنني مصمم على انقاذك. اخبريني كامل القصة.

تنفست عميقاً وتطلعت من النافذة لتلاحظ ان القمر يرسل أشعة بيضاء وقد أحاطت به هالة نور فضية. هزها بعنف ثم شدها اليه قائلا:

ـ اذا قلت اني احبك وأريدك وأخاف ان تبتعدي عني، فهل هذا يريحك؟

اجابت وعيناها مغرورقتان بالدموع:

ـ هذا هو شعوري بالضبط. الا اني تسرعت وحسبت انك تحب بروغوان.

ـ لم ألتقي الفتاة أبداً. فليساعدني الله.

ـ فليساعدك الله فعلا! هل تنوي ان تعيدني الى سارانغا؟

ـ طبعاً. اذا أسرعنا، سندرك آخر أزهار الجكرندا.